تجريد التوحيد المفيد

تأليف: الإمام العالم العلامة

تقي الدين المقريزي

٧٦٦- ٨٤٥ رحمه الله

و

يليه

تطهير الاعتقاد

عن

أدران الإلحاد

تأليف: الإمام العالم العلامة

محمد بن إسماعيل الصنعاني

ت ١١٨٢ - رحمه الله تعالى

تحقيق

صبري بن سلامة شاهين





حقوق الطبع
محفوظة للمحقق

ح دار القبس للنشر والتوزيع: ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المقريزي، أحمد بن علي

تجريد التوحيد المفيد ويليه تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد/

أحمد بن علي المقريزي؛ محمد بن إسماعيل الصنعاني؛ صبري بن سلامة شاهين-

الرياض- ١٤٢٦هـ

..ص ٢٦٤؛ .. ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٨-٢-٢٠٢-٤٩..٩٩٦

١- التوحيد ٢- علم الكلام ٣- البدع في الإسلام أ. الصنعاني، محمد بن إسماعيل (مؤلف) ب. شاهين، صبري بن سلامة (محقق) ج. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٦/٤٢٥٩

ردمك: ٨-٢-٢٠٢-٤٩..٩٩٦ رقم الإيداع: ١٤٢٦/٤٢٥٩

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار القبس
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض- هاتف: ٢٦٨١٠٤٥ - فاكس ٤٣٥١٣٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم

تجريد التوحيد المفيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أنعم علينا بأن جعلنا مسلمين، ومنّ علينا فاستعملنا في طاعته، ويسر لنا أن جعلنا من حملة دعوته.

والحمد لله الذي سخر لنا ما في الكون لعبادته، وسخرنا لحماية ملته ونشر رسالته. وأصلي وأسلم على النبي الخاتم، الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، ونسخ بدينه جميع الديانات، فلا يقبل دينا إلا دينه، حيث قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه، أدّى الرسالة، وبلّغ الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع لأجل التوحيد وعبادته وحده بلا شريك. فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٥٣).

رَسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وخلق الإنس والجن من أجل ذلك فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي يوحدون الله ولا يشركون. إذاً فمعرفة التوحيد واجبة على كل مكلف قبل معرفة الصلاة والصيام والزكاة والحج، فما الفائدة فيمن يصلي ويصوم ويتصدق ويحج وهو هادم للتوحيد؟! وكيف تقبل منه عباداته وهو يشرك بربه ليل نهار وسرًّا وجهرًا وقد قال الله عز وجل لأنبيائه ورسله وصفوة خلقه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وكذلك معرفة الشرك والكفر أهم من معرفة حرمة الزنا وحرمة القتل والسرقة وغيرها من المحرمات والكبائر، لأن الموحد إذا لقي الله عز وجل بقراب الأرض خطايا ثم لم يشرك به شيئاً لغفر الله له، أما من يأتي بعبادات أمثال الجبال من قيام الليل وصيام النهار والصدقات والتبرعات والحج والاعتمار وجميع أعمال البر والخير ثم إنه يشرك بالله ليل نهار وفي مدخله ومخرجه فلا تقبل منه كل هذه الأعمال وضاعت عليه وكانت هباءً منثوراً. من أجل ذلك أخذنا على أنفسنا نحن القائمين على النشر في (**دار القبس**) أن نولي هذا الجانب عناية خاصة وأهمية بالغة فحرصت الدار على أن تكون طليعة عملها نشر الرسائل التي تعتني بالتوحيد وتحذر من الشرك، فوقع اختيارنا على رسالتين عظيمتين لعالمين جليلين هما: الإمام المقريزي رحمه الله، والإمام الصنعاني رحمه الله، بتحقيق أخينا الشيخ صبري بن سلامة شاهين، الذي اعتنى بهما عناية فائقة، جعل الله ذلك في موازين حسناته، وإن شاء الله نعد القارئ الكريم بأن هذا الإصدار سوف يتبعه إصدارات أخرى تكمل اللاحقةُ السابقة، وتكون في إطار خدمة التوحيد والعقيدة في المقام الأول، وهذا لا يعني أننا لا نهتم بالجوانب الأخرى في ديننا، فسوف نصدر قريباً بإذن الله تعالى في الحديث وشروحه والفقه

والسيرة والآداب والأخلاق وجميع فروع المعرفة التي تأخذ بأيدينا ونواصينا إلى مرضاة الله عز وجل وإلى نيل الدرجات العلى في جنات النعيم بفضل الله ورحمته.

أسأل الله عز وجل أن تكون بدايتنا هذه بداية خير وبركة لنا وللقراء الكرام، كما نسأله أن تكون خاتمة أعمالنا وأعمارنا خاتمة حسنة تقر بها أعيننا وتسعد بها نفوسنا يوم لقاء ربنا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فاللهم سلِّم قلوبنا واسلل سخيمة صدورنا، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الناشـــر
دار القبس للنشر والتوزيع
هاتف: ٢٦٨١٠٤٥
فاكس: ٤٣٥١٣٩٥



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله المتفرد بالجلال والكمال، القائم على كل نفس بما كسبت، الملك الحق المبين، قيوم السموات والأرضين، الحكم العدل الرحمن الرحيم، المستحق لكل آيات التعظيم والتبجيل، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا يقبل غير التوحيد، ويغفر لصاحبه الكثير والقليل، ولا يقبل من الأعمال والأقوال شيئاً خالطه شرك وإن قل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. وقال ـ ﷺ ـ: «**من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**» وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه: وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة [١]، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة**» [٢].

وأصلي وأسلم على إمام الموحدين وسيد المسلمين ورسول رب

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٢٣٨) ومسلم (رقم ٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٨٧).

العالمين محمد وآله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الحديث عن التوحيد وفضله ومكانته ومنزلة أهله وكيف يتم الحفاظ عليه، والتحذير من الشرك وبيان خطورته وعاقبة أهله ـ لهو من أهم الموضوعات وأجل ما يدعو إليه الداعي ويصنف فيه المصنف، وهو ديدن العلماء وطلبة العلم قديماً وحديثاً، من أجل ذلك أحببت أن أشارك القوم فـ «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[(١)]، في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده سبحانه بالعبادة، والتحذير من الشرك وبيان خطورته بإخراج رسالتين لعالمين جليلين هما الإمام المقريزي والإمام الصنعاني ـ رحمهما الله تعالى ـ وجعل ذلك في موازين أعمالهما.

ورحم الله القائل:

هذه آيات التنزيل.

ليس لتكررها في موضوع الشرك مثيل.

وهذه أحاديث الرسول.

تحذر من كل ما هو منه بسبيل.

ألا تدل تلك العناية؟

على أن جناية الشرك أفظع جناية؟

وأن وقاية المجتمع منه أمتع وقاية؟!

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٠٨) ومسلم (رقم ٢٦٨٩) واللفظ له.

ليس العجب ـ لو كنا نسمع أو نعقل ـ من حديث العلماء في الشرك وبيانهم له، إنما العجب من سكوتهم عنه[١].

ورحمه الله القائل:

ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين، وينشد:

إن اللبيب إذا بدا من جسمه مرضان مختلفان داوى الأخطرا[٢]

قال الشيخ مبارك الميلي ـ رحمه الله ـ:

إذا كان الاحتياج إلى معرفة الشرك شديداً، كان تعريف الناس به أمراً لازماً أكيداً، وإذا كان الباعث على هذا التعريف إقامة العقيدة، فهو من النصيحة المفيدة الحميدة، وليس الإرشاد إلى الخير النافع بأولى من التنبيه على الباطل الضار، بل كلاهما غرض حسن وسَنن، لا يعدل عنه الساعون في خير سُنن، وهذا ما حمل المصلحين المجددين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التوحيد وتخليصه من خيالات المشركين[٣].

وقال رحمه الله:

إن ما وقع فيه العرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم، إذا ما

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي (ص٩١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/ ٥٤).

(٣) رسالة الشرك ومظاهره (ص٥١).

جهلوا مثلهم أصول الدين، وبالغوا في التبرك بالصالحين، فإن الله يقول: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح:٢٣]. وعلماء الاجتماع يقولون: التاريخ يعيد نفسه.

والمتكلمون يحكمون بأن ما جرى على المثل يجري على المماثل. فإذا كان مجموع المسلمين قد انتهوا في الدين إلى جهالة المشركين، فمحاولة تبرئتهم من الشرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: وكتب الله من أولها إلى آخرها تأمر بإخلاص الدين لله، لاسيما الكتاب الذي بعث به محمد ـ ﷺ ـ أو الشريعة التي جاء بها، فإنها كملت الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقد جعل قوام الأمر بالإخلاص لله والعدل في الأمور كلها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ﴾ [الأعراف: ٢٩، ٣٠].

ولقد خلَّص النبي ـ ﷺ ـ التوحيد من دقيق الشرك وجليله، حتى قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» رواه الترمذي. وقال: «**إن الله ينهاكم**

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره (صـ١٦٣).

أن تحلفوا بآبائكم، فمن حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» وهذا مشهور في الصحاح. وقال: «**لا يقولن أحدكم: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء محمد**». وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء وحده**» وروي عنه أنه قال: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**» وروى عنه أن الرياء شرك.

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وعلّم بعض أصحابه أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم**»(١).

وقال ـ رحمه الله ـ: والمشركون الذين كفَّرهم رسول الله ـ ﷺ ـ وقاتلهم واستباح دماءهم وأموالهم من العرب لم يكونوا يقولون: إن آلهتهم شاركت في خلق السموات والأرض والعالم، بل كانوا يقرون بأن الله وحده خالق السموات والأرض والعالم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٤،٨٥]. الآيات إلى قوله: ﴿تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩] وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال طائفة من السلف: يسألهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون:

---

(١) جامع المسائل (٣/ ١١٢ ـ ١١٣).

الله، وهم يعبدون غيره. وإنما كانت عبادتهم إياهم أنهم يدعونهم ويتخذونهم وسائط ووسائل وشفعاء لهم، فمن سلك هذا السبيل فهو مشرك بحسب ما فيه من الشرك.

وهذا الشرك إذا قامت على الإنسان الحجة فيه ولم ينته وجب قتله كقتل أمثاله من المشركين، ولم يدفن في مقابر المسلمين، ولم يصل عليه، وأما إذا كان جاهلاً لم يبلغه العلم، ولم يعرف حقيقة الشرك الذي قاتل عليه النبي - ﷺ - المشركين، فإنه لا يحكم بكفره، ولاسيما وقد كثر هذا الشرك في المنتسبين إلى الإسلام، ومن اعتقد مثل هذا قربة وطاعة فإنه ضال باتفاق المسلمين، وهو بعد قيام الحجة كافر.

والواجب على المسلمين عموماً وعلى ولاة الأمور خصوصاً النهي عن هذه الأمور، والزجر عنها بكل طريق، وعقوبة من لم ينته عن ذلك العقوبة الشرعية، والله أعلم(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: التوحيد ألطف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه، فأدنى شيء يخدشه ويدنسه ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يكون، يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرأة الصافية جدًّا، أدنى شيء يؤثر فيها. ولهذا تشوَّشه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية. فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعاً يتعسر عليه قلعه...

ولكن من الناس من يكون توحيده كبيراً عظيماً، ينغمر فيه كثير من تلك

---

(١) جامع المسائل (٣/ ١٥٠ - ١٥١).

الآثار، ويستحيل فيه بمنزلة الماء الكثير الذي يخالطه أدنى نجاسة أو وسخ، فيغتر به صاحب التوحيد الذي هو دونه، فيخلط توحيده الضعيف بما خلط به صاحب التوحيد العظيم الكثير توحيده، فيظهر من تأثيره فيه مالم يظهر في التوحيد الكثير.

وأيضاً فإن المحل الصافي جدًّا يظهر لصاحبه مما يدنسه ما لا يظهر في المحل الذي لم يبلغ في الصفاء مبلغه، فيتداركه بالإزالة دون هذا، فإنه لا يشعر به.

وأيضاً فإن قوة الإيمان والتوحيد إذا كانت قوية جدًّا أحالت المواد الرديئة وقهرتها بخلاف القوة الضعيفة.

وأيضاً فإن صاحب المحاسن الكثيرة والغامرة للسيئات ليسامح بما لا يسامح به من أتى مثل تلك السيئات، وليست له مثل تلك المحاسن، كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحدٍ جاءت محاسنه بألف شفيع[1].

وقال ـ رحمه الله ـ:

التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها. ولذلك فزع إليه يونس فنجّاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة. ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه، لأن الإيمان عند

(١) كتاب الفوائد، ابن قيم الجوزية (صـ١٩٧ ـ ١٩٨).

المعاينة لا يقبل. هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد. ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي دعا بها مكروب إلا فرَّج الله كربه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكُرَبِ العظام إلا الشرك، ولا ينجِّي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها[1].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال هود لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥] وقال صالح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي ـ ﷺ ـ لرسوله معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ وقد بعثه إلى اليمن: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**» وذكر الحديث. وقال ـ ﷺ ـ: «**أمرت أن أقاتل**

---

(١) كتاب الفوائد، ابن قيم الجوزية (٥٥ ـ ٥٦).

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله. لا النظر ولا القصد على النظر ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم

فالتوحيد: أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ـ ﷺ ـ: **«من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة»** فهو أول واجب، وآخر واجب. فالتوحيد أول الأمر وآخره......

إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ توحيد ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ توحيد ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توحيد ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **توحيد** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال

الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد. ولذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهد له به ملائكته وأنبياؤه ورسله، قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩]. فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع هذه الطوائف، والشهادة ببطلان أقوالهم ومذاهبهم، وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية والحقائق الإيمانية. فتضمنت هذه الآية: أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به.......

وقوله تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ والقسط: هو العدل، فشهد الله سبحانه أنه قائم بالعدل في توحيده، وبالوحدانية في عدله، والتوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال. فإن التوحيد يتضمن تفرده سبحانه بالكمال والجلال والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه. والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب وموافقة الحكمة.

فهذا توحيد الرسل وعدلهم: إثبات الصفات، والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وإثبات القدر والحكم والغايات المطلوبة المحمودة بفعله وأمره، لا توحيد الجهمية والمعتزلة والقدرية، الذي هو إنكار الصفات وحقائق الأسماء الحسنى وعدلهم، الذي هو التكذيب بالقدر أو نفي الحكم والغايات والعواقب الحميدة التي يفعل الله لأجلها ويأمر، وقيامه سبحانه بالقسط في

شهادته يتضمن أموراً:

أحدها: أنه قائم بالقسط في هذه الشهادة التي هي أعدل شهادة على الإطلاق وإنكارها وجحودها أعظم الظلم على الإطلاق، فلا أعدل من التوحيد ولا أظلم من الشرك، فهو سبحانه قائم بالعدل في هذه الشهادة قولاً وفعلاً.....

والحق الذي خلقت به السماوات والأرض ولأجله هو التوحيد، وحقوقه من الأمر والنهي والثواب والعقاب، فالشرع والقدر والخلق والأمر والثواب والعقاب قائم بالعدل والتوحيد صادر عنهما. وهذا هو الصراط المستقيم الذي عليه الرب سبحانه وتعالى...

وقد دل قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ على أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه. قال أول الرسل نوح: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] وقال إبراهيم وإسماعيل ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] وقال يعقوب لبنيه عند الموت ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٣] وقال موسى لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس ٨٤] وقال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] وقالت ملكة

سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

فالإسلام دين أهل السموات ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن وخمسة للشيطان، فدين الرحمن هو الإسلام. والتي للشيطان: اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة ودين المشركين......

لا ريب أن أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم ـ علماً ومعرفة وحالاً ـ تفاوتاً لا يحصيه إلا الله، فأكمل الناس توحيداً الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيداً، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأكملهم توحيداً: الخليلان: محمد وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً معرفة وحالاً ودعوة للخلق و جهاداً ـ فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه، ولهذا أمر الله سبحانه نبيه ـ ﷺ ـ أن يقتدي بهم، كما قال سبحانه بعد ذكر إبراهيم ومناظرته أباه وقومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد، وذكر الأنبياء من ذريته، ثم قال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ فلا أكمل من توحيد من أمر رسول الله ـ ﷺ ـ أن يقتدي بهم.........

فقسم سبحانه الخلائق قسمين: سفيها لا أسفه منه ورشيداً. فالسفيه: من

رغب عن ملته إلى الشرك. والرشيد: من تبرأ من الشرك قولاً وعملاً وحالاً، فكان قوله توحيداً وعمله توحيداً وحاله توحيداً ودعوته إلى التوحيد، ولهذا أمر الله سبحانه جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١،٥٢].....

وقد أخبر الله عن كل رسول من الرسل أنه قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ وهذه أول دعوة الرسل وآخرها، قال النبي ـ ﷺ ـ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**» وقال: «**من مات وهو يعلم: أن لا إله إلا الله، دخل الجنة**» والقرآن مملوء من هذا التوحيد، والدعوة إليه وتعليق النجاة والسعادة في الآخرة به، وحقيقته: إخلاص الدين كله لله، والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق تعالى في قلبك وتنفي إلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات، فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء، وحقيقته: أن تفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وكذلك بموالاته وسؤاله والاستغناء به والتوكل عليه ورجائه ودعائه والتفويض إليه والتحاكم إليه واللجأ إليه والرغبة فيما عنده. قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام:١١٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر : ٦٤ ـ ٦٦]..

وهذا في القرآن كثير بل هو أكثر من أن يذكر، وهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وذروة سنامه وقطب رحاه. وأمرنا تعالى أن نتأسى بإمام هذا التوحيد في نفيه وإثباته، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]...

وكمال هذا التوحيد هو أن لا يبقى في القلب شيء لغير الله أصلاً، بل يبقى العبد موالياً لربه في كل شيء، يحب من أحب وما أحب، ويبغض من أبغض وما أبغض، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما نهى عنه.....

والحق أن وجوبه ثابت بالعقل والسمع، والقرآن على هذا يدل، فإنه يذكر الأدلة والبراهين العقلية على التوحيد، يبين حسنه وقبح الشرك عقلاً وفطرة، ويأمر بالتوحيد وينهى عن الشرك، ولهذا ضرب الله سبحانه الأمثال، وهي الأدلة العقلية، وخاطب العباد بذلك خطاب من استقر في عقولهم وفطرهم حسن التوحيد ووجوبه، وقبح الشرك وذمه. والقرآن مملوء بالبراهين العقلية الدالة على ذلك، كقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] وقوله: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٥، ٧٦] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤] إلى أضعاف ذلك من براهين التوحيد العقلية، التي أرشد إليها القرآن، ونبه عليها.

ولكن هنا أمر آخر، وهو أن العقاب على ترك هذا الواجب يتأخر إلى حين ورود الشرع، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] فهذا يدل على أنهم ظالمون قبل إرسال الرسل، وأنه لا يهلكهم بهذا الظلم قبل إقامة الحجة عليهم، فالآية رد على الطائفتين معاً، من يقول: إنه لا يثبت الظلم والقبح إلا بالسمع، ومن يقول: إنهم معذبون على ظلمهم بدون السمع....

وهذا في القرآن كثير، يخبر أن الحجة إنما قامت عليهم بكتابه ورسوله، كما نبههم بما في عقولهم وفطرهم من حسن التوحيد والشكر وقبح الشرك

والكفر....

واعلم أنه إن لم يكن حسن التوحيد وقبح الشرك معلوماً بالعقل مستقراً في الفطر، فلا وثوق بشيء من قضايا العقل، فإن هذه القضية من أجل القضايا البديهيات، وأوضح ما ركب الله في العقول والفطر، ولهذا يقول سبحانه عقيب ذلك: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وينفي العقل عن أهل الشرك، ويخبر عنهم بأنهم يعترفون في النار: أنهم لم يكونوا يسمعون ولا يعقلون، وأنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل، وأخبر عنهم أنهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]...

وقبح الشرك والكفر مستقر في العقول والفطر، معلوم لمن كان له قلب حي وعقل سليم وفطرة صحيحة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]...

وهو سبحانه يذكر في سورة الشعراء ما أوقع بالمشركين من أنواع العقوبات، ويذكر إنجاءه لأهل التوحيد. ثم يقول: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٨، ٩] فيذكر شرك هؤلاء الذين استحقوا به الهلاك، وتوحيد هؤلاء الذين استحقوا به النجاة، ثم

يخبر أن في ذلك آية وبرهاناً للمؤمنين[1].

وقال ـ رحمه الله ـ: وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين، اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى، وبتحقيقها بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ـ ﷺ ـ وإليهما رغَّب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم من أولهم إلى آخرهم:

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص.

التوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضى به ربًّا وإلهاً ووليًّا، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص، وهما: سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ المتضمنة للتوحيد الخبري العلمي.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال. وسورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل

---

(١) مدارج السالكين (٤/ ٤٣١ ـ ٥٠٩) باختصار.

ما سواه، ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي ـ ﷺ ـ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والوتر، اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته، ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً.

فالتوحيد العلمي الخبري له ضدان: التعطيل والتشبيه والتمثيل، فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها كذَّب تعطيله توحيده، ومن شبهه بخلقه ومثَّله بهم كذَّب تشبيهه وتمثيله توحيده.

والتوحيد الإرادي العملي له ضدان: الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه، أو الإشراك به في ذلك واتخاذه أولياء وشفعاء من دونه(١).

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ:

فالفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين، أن توحيد الرسل: إثبات صفات الكمال لله تعالى على وجه التفصيل وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندًّا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يدفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته، كما أنها معدومة في نفس الأمر، لا وجود لها ألبتة، فلا يجعل لها وجوداً في قلبه ولسانه.

وأما توحيد المعطلين فنفي حقائق أسمائه وصفاته وتعطيلها، ومن أمكنه منهم تعطيلها من لسانه عطَّلها، فلا يذكرها ولا يذكر آية تتضمنها ولا حديثاً يصرح بشيء منها، ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفي حقيقتها، وجعلها اسماً فارغاً لا معنى له، أو معناه من جنس الألغاز

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (صـ٩٣ ـ ٩٤).

والأحاجي...

والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب: أن تجريد التوحيد أن لا يعطي المخلوق شيئاً من حق الخالق وخصائصه، فلا يعبد ولا يصلي له ولا يسجد ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل عليه، ولا يؤلَّه ولا يقسم به على الله، ولا يعبد ليقرب إلى الله زلفى، ولا يساوى برب العالمين في قول القائل: ما شاء الله وشئت، وهذا منك ومن الله، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض. وهذا من صدقاتك وصدقات الله، وأنا تائب إلى الله وإليك، وأنا في حسب الله وحسبك، فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم، يحلق رأسه له، ويحلف باسمه، وينذر له، ويسجد لقبره بعد موته، ويستغيث به في حوائجه ومهماته، ويرضيه بسخط الله، ولا يسخطه في رضا الله، ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى الله، ويحبه ويخافه ويرجوه أكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه أو يساويه....

وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن ريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**».

فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وآلهتهم، وأبوا ذلك كله، وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله، وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم، وقد هضموا جانب الإلهية غاية الهضم وتنقصوه، فلهم نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥][1].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو بعينه قامت عليه الحجة أم لا. فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول.

هذا في الجملة والتعيين موكول إلى علم الله عز وجل وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية مع ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا، لهم حكم أوليائهم، وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة، وهو مبني على أربعة أصول:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ

---

(١) كتاب الروح (صـ٥٧٦ ـ ٥٨٢) باختصار.

جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك: ٨، ٩] وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١] وقال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وهذا كثير في القرآن، يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة، وهو المذنب الذي يعترف بذنبه وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦] والظالم من عرف ما جاء به الرسول أو تمكن من معرفته، وأما من لم يكن عنده من الرسول خبر أصلاً ولا يمكن من معرفته بوجه، وعجز عن ذلك فكيف يقال: إنه ظالم؟.

الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين: أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها. والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد.

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.

الأصل الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر: إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون. وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئاً ولا يتمكن من

الفهم، وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم القيامة.

الأصل الرابع: أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته، التي لا يخل بها سبحانه، وأنها مقصودة لغايتها المحمودة وعواقبها الحميدة[١].

(١) طريق الهجرتين (ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩).

ترجمة المصنف

رحمه الله

*** اسمه ونسبه:**

هو تقي الدين، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزي، كناه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بأبي محمد. بينما كناه الإمام السخاوي بأبي العباس[١]. والمقريزي نسبة إلى حارة المقارزة في بعلبك، قد نزلها جده الأعلى إبراهيم، فاشتهر بذلك[٢].

*** مولده ونشأته:**

ولد المصنف في القاهرة[٣] سنة ست وستين وسبعمائة للهجرة في حارة تسمي برجوان قديمًا، تبع قسم الجمالية حاليًا قريبًا من قلعة محمد علي.

نشأ في أسرة متدينة، فحفظ القرآن في صغره وبعض المختصرات في الفقه الحنفي. أما أبوه فقد ولد في دمشق وسمع فيها الحديث، ثم انتقل إلى القاهرة، وتولى فيها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء[٤].

---

(١) انظر: التبر المسبوك ١/ ٤٠ والضوء اللامع ٢/ ٢١

(٢) الضوء اللامع ٢/ ٢١

(٣) المواعظ والاعتبار ١/ ٢/ ٤

(٤) السلوك ٣/ ٣٢٦

وأما جده لأبيه: عبد القادر بن محمد كانت له رحلة في طلب الحديث إلى حمص وحلب ودمشق والقاهرة وغيرها، وكان من أعيان الحنابلة وكبار المحدثين في الشام[١].

أما جده لأمه: محمد بن عبد الرحمن بن علي فقد كان عالمًا بالفقه والقراءات والعربية[٢] وعرض على جده لأمه ما حفظه.

*** شيوخه:**

لقد قرأ المصنف الفقه والحديث والقراءات والتاريخ واللغة والنحو والأدب وغير ذلك من المعارف والعلوم على عدد وفير من أعيان علماء زمانه، حيث صرح بأنهم بلغوا ستمائة شيخ، كما ورد عند السخاوي في الضوء اللامع[٣] من أشهرهم:

محمد بن علي بن يوسف الكردي الدمياطي الحراوي (٧٨١هـ) وجويرية بنت أحمد بن الحسين الهكارية (٧٨٣هـ) والنويري: محمد بن أحمد بن عبد العزيز، كمال الدين أبو الفضل (٧٨٦هـ) وابن طراد: أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري شهاب الدين أبو العباس (٧٨٨هـ) والجمال الأميوطي: إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخمي (٧٩٠هـ) وقد سمع عليه صحيح البخاري في مكة. والعز بن الكويك محمد بن عبد اللطيف بن أحمد الربعي

---

(١) السلوك ٢/ ٣٦٥

(٢) السلوك ٣/ ٢٤٥

(٣) الضوء اللامع ٢/ ٢٣

(٧٩٠هـ) والعفيف النشاوري: عبد الله بن محمد النيسابوري المكي (٧٩٠هـ) والنجم بن رزين: عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن عبد الكريم العامري القاهري (٧٩١هـ) وابن الشهيد: محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (٧٩٣هـ) وابن الشيخة: عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك الغزي (٧٩٧هـ) والنجم بن الكويك: أحمد بن إسماعيل بن محمد (٧٩٩هـ) وابن أبي المجد محمد بن يوسف (٨٠٠هـ) والبرهان التنوخي: إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد (٨٠٠هـ) وابن سكر: محمد بن علي بن محمد (٨٠١هـ) وابن الملقن: عمر بن علي بن محمد (٨٠٤هـ) والسويداوي: أحمد بن الحسن بن محمد المقدسي (٨٠٤هـ) والعماد الحنبلي: أبو بكر بن أبي المجد بن ماجد المقدسي (٨٠٤هـ) والزين التاجر: أبو بكر بن محمد بن عبد الله (٨٠٥هـ) والإمام البلقيني: عمر ابن رسلان بن نصير سراج الدين العسقلاني (٨٠٥هـ) والزين العراقي: عبدالرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المهراني (٨٠٦هـ) والفرسيسي: محمد بن حسن بن علي (٨٠٦هـ) والنور الهيثمي: علي بن أبي بكر بن سليمان (٨٠٧هـ) والبرهان الظاهري: أحمد بن محمد بن إسماعيل (٨٠٨هـ) وابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد (٨٠٨هـ) وطاهر بن الحسن بن عمر الحلبي (٨٠٨هـ) والأشموني: أحمد بن منصور بن عبد الله النحوي (٨٠٩هـ) والأوحدي: أحمد بن عبد الله بن الحسن (٨١١هـ) والفيروز آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين الشيرازي (٨١٧هـ) والتاج الفرغاني: أحمد بن محمد بن أحمد (٨٣٤هـ) وابن خطيب الناصرية: علي بن محمد بن سعد (٨٣٤هـ).

*** أعماله ووظائفه:**

استطاع المصنف - رحمه الله - نتيجة ثقافته الواسعة ومعارفه وعلومه واتصالاته ببعض الأمراء أن يتبوأ مكانة ومنزلة لدى الظاهر برقوق (٨٠١هـ) وكذلك ابن الناصر فرج (٨١٥هـ)، ففتح له ذلك الباب على مصراعيه، فتقلد بعض الوظائف الهامة، فناب في الحكم، وكتب التوقيع، وولي الحسبة والخطابة بجامع عمر، والإمامة بجامع الحاكم، وقراءة الحديث بالمؤيدية بدلاً من المحب بن نصر الله، وقام بكل ذلك خير قيام، فحمدت سيرته، وكل ذلك كان بمصر، وعندما انتقل إلى دمشق قال عنه السخاوي: وكذا دخل دمشق مرارًا، وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان النوري والتدريس في مدرسة دار الحديث الأشرفية والمدرسة الإقبالية، وقد عُرض عليه قضاء الشافعية في الشام فأبى[(١)].

وفجأ اعتزل المصنف - رحمه الله - كل تلك الوظائف، وأعرض عنها جملة. قال السخاوي - رحمه الله -: ثم أعرض عن ذلك، وأقام ببلده عاكفًا على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره، وبعد فيه صيته، وصارت له فيه جملة تصانيف[(٢)].

*** مذهبه:**

نشأ المصنف - رحمه الله - في بداية طلبه للعلم منذ الصغر على حفظ كتاب الله وبعض المختصرات في الفقه الحنفي، فنشأ على مذهب أبي حنيفة،

---

(١) الضوء اللامع ٢/ ٢٢.

(٢) الضوء اللامع ٢/ ٢٢.

حيث كان جده لأمه كذلك. أما أبوه وجده لأبيه كانا على مذهب الإمام أحمد رحمهم الله، ثم ما لبث أن تحول شافعيًا بعد أن جاوز العشرين[1].

واضطربت الأقوال في انتسابه للمذهب الظاهري، فقال عنه تلميذه ابن تغري بردي: إنه كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم، لميله إلى مذهب الظاهر[2].

ثم أشار تلميذه بكلام يفهم منه نفي انتسابه للمذهب الظاهري، فقال - رحمه الله -: وكان ينسبه بعض الناس إلى الميل لمذهب الظاهر، والله أعلم بالباطن، لأنه كان يعظم ابن حزم المغربي إلى الغاية، ليس في ذلك ما يعاب، لأن ابن حزم كان رجلاً حافظًا عالمًا ولو كان ظاهريًا لم ينكر فضله[3].

أما الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ينفي نسبته للمذهب الظاهري بقوله: كان يتهم مذهب ابن حزم، لكنه لا يعرف به[4].

*** عقيدته:**

أما عقيدة المصنف - رحمه الله - فهي بحمد الله تعالى عقيدة سلفية خالصة مبرأة إن شاء الله من العيوب والمثالب، وتعد هذه الرسالة أصدق وأخصر تعبير عن عقيدته، فهي منتقاة من كلام الإمام ابن قيم الجوزية في

---

(١) إنباء الغمر ١/ ١٧١.

(٢) المنهل الصافي ١/ ٣٩٦.

(٣) حوادث الدهور ١/ ٩.

(٤) إنباء الغمر ١/ ١٧١.

كتابيه «الجواب الكافي» و«مدارج السالكين» وربما يقول قائل: لِمَ لم ينسب هذا الكلام إلى صاحبه كما هي عادة أهل العلم في عزو نقولاتهم إلى مصادرها؟!

أقول: هذا سؤال وجيه، ومن يقف على كلام المصنف الذي ذكره في «الخطط» بخصوص هذا الشأن، فقال: «فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في أنواع العلوم فإني أعزو كل نقل إلى الكتاب الذي نقلت منه، لأخلص من عهدته، وأبرأ من جريرته...»[1].

ويتأكد السؤال: فلِمَ لم يعز ما نقله في كتابه هذا إلى ابن القيم في كتابيه المشار إليهما؟!

فالجواب: أن يقال: إن الوقت الذي كتبت فيه هذه الرسالة كان من أشد وأصعب الأوقات تعصبًا ومحاربة لمنهج ابن القيم وشيخه ابن تيمية في تقرير العقائد ونشر الدين الخالص ومحاربة البدع والشركيات، التي انتشرت في عصرهما، مما جعل الناس لا يقبلون كلام ابن القيم وابن تيمية ومن سار على نهجهما، فلو صرح المقريزي في كتابه هذا بأنه نقل عن ابن القيم لم تقبل رسالته ولم ينتفع بها أحد، فآثر المصنف - رحمه الله - عملاً بقاعدة ارتكاب أخف الضررين، من أجل أن يصل هذا الحق إلى الناس عامة. وهذا هو شأن عمل المصلحين. فقد ذكر الأستاذ عبد المنعم الجداوي في رسالته المسماة: «اعترافات.. كنت قبوريًا» (ص٢١) فقال: «وأخذت الزوج إلى زاوية في البيت، وتعمدت أن يرى في يدي كتاب «الإمام محمد بن عبد الوهاب» ومد

(١) الخطط ١/ ٧.

يده فجعل الغلاف ناحيته، وما كاد يقرأ العنوان حتى قفز كأنه أمسك بجمرة نار» فهذا هو شأن أصحاب الشركيات والكفريات، إذا قلت له: قال شيخ الإسلام ابن تيمية أو ابن القيم أو محمد بن عبد الوهاب أو غيرهم من أئمة التوحيد والسنة هاجوا وماجوا، وأرغوا وأزبدوا، ولم يقبلوا الحق، طالما جاء عبر هذه القنوات. فآثر المقريزي - رحمه الله - أن يصل إلى الناس هذا الحق وهذا التوحيد الخالص بهذه الطريقة، فأجاد وأفاد - رحمه الله تعالى - وأجزل له المثوبة والعطاء على ما فعل.

تنبيه: هذه الطريقة أي نقل كلام الغير دون عزو إلى صاحبه لا ينبغي ولا يحق لأحد مهما كان أن يستغلها لغرض دنيء خسيس، وهو أن يحمد بما لم يفعل، فيأخذ جهود الآخرين وينسبها لنفسه، زاعمًا أنه من المصنفين والمؤلفين والمحققين ويلبس ثوبي زور. وعما قليل سوف تنكشف سوءته ويفتضح أمره.

وجاء في مقدمة كتاب «مختصر قيام الليل» للمروزي الذي اختصره المقريزي، جاء فيه في (ص٦) «ومن تصانيفه كتاب تجريد التوحيد المفيد، وهو كتاب لا نظير له في بابه، حذا فيه حذو طريقة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله - قد طبع بالهند قريبًا وعم به النفع انتهى.

*** مصنفاته:**

١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

وهو الكتاب المشهور بخطط المقريزي في تاريخ مصر وخططها، ذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٢ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٧ وكشف الظنون ١/ ٣٠٤،

٧١٦ ـ ٢/ ١٨٨٩ وشذرات الذهب ٧/ ٢٥٥ وحسن المحاضرة ١/ ٥٥٧ والهدية ١/ ١٢٧.

٢- إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع.

استعرض فيه المؤلف سيرة الرسول ﷺ وحدّث به في مكة ما بين سنتي ٨٣٩-٨٤٣ ويقع في تسع مجلدات، ذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٢ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٧ وشذرات الذهب ٧/ ٣٥٥والكشف ١/ ١٦٦ والهدية ١/ ١٢٧.

٣- الخبر عن البشر.

مدخل لكتاب إمتاع الأسماع في خمس مجلدات، تحدث فيه المؤلف عن تاريخ الخليقة إلى وقت ظهور الإسلام، ذكره له في شذرات الذهب ٧/ ٢٢٥ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٧ والكشف ١/ ٧٠٠ والهدية ١/ ١٢٧.

٤- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة.

ذكر فيه من مات بعد مولده إلى يوم وفاته في ثلاث مجلدات، ذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٢ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٧ وشذرات الذهب ٧/ ٢٥٥ والبدر الطالع ٧/ ٨٠ والخطط الجديدة ٦/ ٧٠ وكشف الظنون ١/ ٧٤٧ وهدية العارفين ١/ ١٢٧.

٥- خلاصة التبر في كتاب السر.

ذكره المقريزي لنفسه في كتابه الخطط ٢/ ٦٣.

٦- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك.

ذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٣ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٨ والكشف ٢/ ١٠٢٠ والهدية ١/ ١٢٧.

٧- جنى الأزهار في الروض المعطار.

ذكره له في الإيضاح ١/ ٣٧٠ والهدية ١/ ١٢٧.

٨- السلوك في معرفة دول الملوك .

ذكر فيه تاريخ مصر في ظل حكم السلاطين الأيوبيين والمماليك من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٨٤٤.

ذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٢ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٧ وشذرات الذهب ٧/ ٢٥٥ والبدر الطالع ١/ ٨٠ وحسن المحاضرة ١/ ٥٥٧ والكشف ١/ ٣٠٤ والهدية ١/ ١٢٧.

٩- شارع النجاة في أصول الديانات.

ذكره المقريزي لنفسه في كتابه الذهب المسبوك ٧،٥. ذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٣ والكشف ٢/ ١٠٢٠ والهدية ١/ ١٢٧.

١٠-شذور العقود في ذكر النقود.

تحدث فيه عن أمور النقود الإسلامية وتاريخها، ذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٣ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٨ والكشف ٢/ ١٠٣٠ والهدية ١/ ١٢٧.

١١-رسالة في الذكر.

يوجد منها نسخة بخط المؤلف - رحمه الله – في جامعة ليدن برقم ٥٦٠/ ٤ وفي جامعة القاهرة برقم ٢٦٢٤٧/ ١١.

١٢-توضيح بعض فروع المذهب الحنفي.

يوجد منها نسخة بخط المؤلف في جامعة ليدن برقم ٥٦٠/ ٣.

١٣-رفع الريب في خضاب الشيب.

يوجد منها نسخة في جامعة ليدن برقم ٥٦٠/ ١٨.

١٤-حصول الإنعام والمير في سؤال خاتمة الخير.

يوجد منها نسخة في جامعة ليدن رقم ٥٦٠/ ١٠ وفي جامعة القاهرة رقم ٢٦٢٤٧/ ١٢ بخط المؤلف، ذكرها له في الكشف ١/ ٦٧٠ والهدية ١/ ١٢٧ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٨.

١٥-الضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري.

يوجد منها نسخة خطية بخط المؤلف في جامعة ليدن رقم ٥٦٠/ ٥ - وذكره له في الضوء اللامع ٢/ ٢٣ والمنهل الصافي ١/ ٣٩٨ والكشف ٢/ ١٠٨٨ والهدية ١/ ١٢٧.

١٦-الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة.

١٧-عقود جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط.

١٨-العقود في تاريخ العهود.

١٩-مجمع الفرائد ومنبع الفوائد.

٢٠-مختصر عجائب المقدور في نوائب تيمور. أصل الكتاب لابن عرب شاه أحمد بن محمد.

٢١-مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر الأصل للإمام المروزي.

٢٢-مختصر الكامل في الضعفاء لابن عدي.

٢٣-معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم.

٢٤-المقاصة السنية لمعرفة الأجسام المعدنية.

٢٥-منتخب التذكرة.

٢٦-نحل عبر النحل

٢٧-البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب.

٢٨-تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء

٢٩-الأوزان والمكاييل الشرعية.

٣٠-الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام.

٣١-اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.

٣٢-الأخبار عن الإعذار.

٣٣-الإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء.

٣٤-الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام.

٣٥-إغاثة الأمة بكشف الغمة.

٣٦-البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد. (ويقال: إن هذا الكتاب هو نفسه كتاب تجريد التوحيد المفيد).

٣٧-تجريد التوحيد المفيد، وهو كتابنا هذا، ذكره له السخاوي في الضوء اللامع ٢/ ٢٣ وتلميذه ابن تغري بردي في المنهل الصافي ١/ ٣٩٨ وحاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٣٤٥ والبغدادي في هدية العارفين ١/ ١٢٧.

ويوجد منه نسخة خطية في جامعة بريستون مجموعة جاريت برقم (١٤٩٦) وفي مكتبة جامعة القاهرة برقم (٢٦٢٤٧/ ١١) وثلاث نسخ في مكتبة ندوة العلماء بالهند أرقامها (١٢٨٣ –٧٨٥-٧٨٦).

*** وفاته:**

توفي رحمه الله في رمضان سنة ٨٤٥هـ عن عمر يناهز الثمانين بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والتصنيف، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

عملي في هذه الرسالة

١- قمت بنسخ المخطوط مراعياً قواعد الإملاء الحديثة.
٢- تصويب الأخطاء والتصحيفات.
٣- عزو الآيات إلى أرقامها وسورها.
٤- تخريج الأحاديث ونقل تصحيح وتضعيف المحدثين على الأحاديث.
٥- قدمت للكتاب مقدمة مناسبة لموضوع الكتاب.
٦- ترجمت للمصنف ـ رحمه الله ـ ترجمة تدل عليه وتبين فضله ومكانته.
٧- وضعت هوامش من كلام أهل العلم، تبين المقصود، وتجلي المراد، وتزيد الرسالة وضوحاً على وضوحها، وجمالاً على جمالها.
٨- عزوت النقولات إلى أصحابها من مصادرها، التي اعتمد عليها المصنف ـ رحمه الله ـ.

النسخ المعتمدة:

اعتمدت على نسخة خطية من مصورات المكتبة السعودية بالرياض، وهي ضمن مخطوطات مكتبة الملك فهد بالرياض رقم ٨٦/٧١، وبالمناسبة أشكر الأستاذ عبد الله المنيف ـ حفظه الله مدير قسم المخطوطات الذي أتاح لي فرصة تصوير هذه المخطوطة فجزاه الله خير الجزاء ونفع الله به.

والنسخة خطها جيد ومقروء، ويوجد بهامشها بعض التصويبات كتبت سنة ١٣١٠هـ، كتبها عبده بن عبده مطلق الفهيد.

ونسخة مطبوعة ضمن كتاب «**عقيدة الفرقة الناجية**» إعداد وتقديم عبد الله حجاج، وهي الرسالة الثالثة في الكتاب، وهو من منشورات دار الجيل بيروت ومكتبة التراث الإسلامي القاهرة، تشمل الصفحات من ٨١: ١٢٤.

ونسخة ثانية مطبوعة بتحقيق علي حسن عبد الحميد، لم أعثر عليها إلا عند الشيخ الدكتور يوسف السعيد ـ حفظه الله ـ فقام مشكوراً بتصويرها وأعطاني إياها لما علم أني بصدد تحقيق هذه الرسالة المباركة. ونسخة ثالثة بتحقيق طه محمد الزيني من علماء الأزهر، وهي من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونسخة رابعة بتحقيق أحمد محمد طاحون، طبع مكتبة التراث الإسلامي.

ولما انتهيت من تحقيق هذه الرسالة صدرت طبعة جيدة بتحقيق الشيخ علي بن محمد العمران طبع دار عالم الفوائد، ولما نظرت فيها وجدت أنه قد وفق ـ حفظه الله ـ في تحقيقه وعمله، أسأل الله عز وجل أن يبارك في جهوده، فكدت أن أصرف نظري عن طباعة رسالتي هذه، وظلت عندي سنوات عديدة بخط يدي، ثم شجعني بعض الأخوة على إصدارها مع بعض الرسائل الأخرى على أن تكون مجلداً، يحتوي أكثر من رسالة في التوحيد، لتكون مرجعاً لطلبة العلم وعموم المسلمين، فاستحسنت الفكرة، وعزمت على أن أجعلها ضمن خمس رسائل تعالج مسألة توحيد رب العالمين، فانتهيت من تحقيق «**تطهير الاعتقاد**» للإمام الصنعاني وظلت هذه الرسالة وأختها عندي زمنا تجاوز الأربع سنوات فاقترح عليَّ

بعض الناشرين أن نعجل بطباعة هاتين الرسالتين.

فأبديت موافقتي، ونظرت فيهما مرة أخرى للتدقيق والتصحيح واستدراك ما يمكن استدراكه، على أمل أن يجد فيهما طالب العلم بغيته، ويجد المسلم العامي فيها حلاً لإشكال وقع فيه، أو معضلة حدثت أمامه، سائلاً المولى عز وجل أن ينفع بهاتين الرسالتين، ويدخر للعالمين المقريزي، الصنعاني حسن الثواب، وألا يحرمني على ما بذلت الأجر والمثوبة وحسن الذكر في الدنيا والآخرة.

وأخيراً أكرر وأقول: إن ما في هذه الرسالة من حق وصواب فهو في الحقيقة فضل ومنة من الله عز وجل، يستوجب مني الشكر الجزيل والثناء الجميل على الرب الجليل، وإن كان فيها خطأ أو خلل أو تقصير فهو مني ومردود عليَّ، والله ورسوله والمؤمنون بريئون منه، فلك أيها القارئ ويا طالب العلم غنمه وصفوه، وعليَّ أنا غرمه وكدره، وأسأل الله عز وجل أن يتجاوز عن الزلات، ويعفو عن الخطيئات ويغفر السيئات، ويتقبل الحسنات، ويضاعف المثوبات، فإنه سبحانه الجواد الكريم البر الرحيم، عليه التكلان، وإليه المآب.

كتبها: **صبري بن سلامة شاهين**

بمدينة الرياض

فجر يوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٦هـ

الموافق ٣١ مايو سنة ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب تجريد التوحيد المفيد تأليف
الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أحمد
ابن علي المقريزي المتوفى في سنة ٨٤٥ رحمه
الله تعالى وصلى الله وسلم وعلى
سيدنا ونبينا محمد سيد
الأولين والآخرين وعلى
آله وصحبه

وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين يا الله

ان تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

ان تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

صورة الغلاف الأولى

صورة اللوحة الثانية

صورة اللوحة الأخيرة

كتـــــاب

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الشيخ الإمام العالم العلامة

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي

٧٦٦- ٨٤٥ رحمه الله

تحقيق

صبري بن سلامة شاهين

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـــه نستعيـــن

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا كتاب جم الفوائد، بديع الفرائد، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة، سميته «تجريد التوحيد المفيد» والله أسأل العون على العمل به بمنه وكرمه.

اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه. فالرب مصدر: رب، يرب، ربًّا. فهو راب فمعنى رب العالمين: راب العالمين[١]. فإن الرب سبحانه وتعالى: هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وإصلاح دين ودنيا[٢].

والإلهية: كون العباد يتخذونه سبحانه محبوبًا مألوهًا، ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل، ونحو

---

(١) أي المتكفل بأمرهم. انظر «النهاية» لابن الأثير (٢/ ١٨١) «واللسان» لابن منظور (١/ ٣٩٩-٤٠٤) ويلزم من كونه سبحانه رب العالمين أن يفردوه بالربوبية دون سواه وهذا ما يسميه علماء الإسلام بتوحيد الربوبية، وقد أقر بذلك الخلق: مؤمنهم وكافرهم إلا من انتكست فطرتهم ومسخت عقولهم الذين يزعمون أن لا إله والحياة مادة من أهل الإلحاد، وقد أخبر الله عن الكفار الأوائل بتوحيدهم للربوبية بقوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ وغير ذلك في القرآن كثير.

(٢) في الأصل: «ودين ودنيا».

هذه الأشياء[١].

فإن التوحيد حقيقة أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم والرضا عن الله والتسليم لحكمه. وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى. والعبادة والتأله من عباده له سبحانه، كما أن الرحمة هي الوسيلة[٢] بينهم وبينه سبحانه.

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدرًا توحيد الله تعالى[٣]، غير أن التوحيد له قشران[٤]: الأول: أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله. ويسمى هذا

---

(١) هذا هو الحد الفاصل بين المؤمنين والكفار، وهو القدر المنجي من الخلود في النيران.

(٢) كذا بالأصل، بينما في المطبوعة: «الوصلة» قال ابن الأثير في «النهاية» (٥/ ١٨٥): «الوسيلة، هي في الأصل ما يُتوصَّل به إلي شيء ويُتقرَّب به، وجمعها وسائل. يقال: وَسَلَ إليه وسيلة وتوسَّل». وقال ابن القوطية في «الأفعال» (ص٣٠١): «ووسل إلى ربه وسلاً: تقرب، والوسيلة: القربة» وكذا قال السرقسطي في «كتاب الأفعال» (٤/ ٢٦١).

(٣)إذ لا تصح جميع الطاعات ولا تقبل جميع الأعمال إلا بعد صحة التوحيد وقبوله، وقد ثبت في صحيح مسلم (١/ ٦٣ رقم ٣٥/ ٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»** والحديث أخرجه البخاري مختصرًا (١/ ٥١ رقم٩).
قال النووي في شرحه لمسلم (٢/ ٤): «وقد نبه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته».

(٤) لعل مراد المصنف - رحمه الله - بقوله «غير أن التوحيد له قشران» أي ظاهرًا وباطنًا، وهو ما يدل عليه بقوله: «أن تقول بلسانك»وما يتبعه من أعمال ظاهرة للعيان من صلاة وزكاة وحج وجهاد وغيرها مما تقوم به الجوارح. والثاني هي الأعمال الباطنة من خضوع وخشوع وإخبات وخشية =

القول: توحيدًا، وهو مناقض التثليث الذي يعتقده النصارى، وهذا التوحيد يصدر أيضًا من المنافق الذي يخالف سرُّه جهرَه(١).

والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول. بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به. وهذا هو توحيد عامة الناس(٢). ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى، ثم يقطع الالتفات

=

وإنابة وتوكل وحب وخوف وسائر أعمال القلوب

(١) إطلاق المصنف على ما يصدر من المنافق بأنه توحيد، إطلاق مجازي وليس حقيقيًا، إذ فيه صورة المشابهة بالتوحيد.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في «الرسائل المفيدة » (ص٣٩٦، ٣٩٧) وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/ ٤٤٦، ٤٤٧): « ومجرد التلفظ من غير التزام لما دلت عليه كلمة الشهادة لا يجدي شيئًا، والمنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار. نعم إذ ا قالها المشرك ولم يتبين منه ما يخالفها فهو ممن يكف عنه بمجرد القول، ويحكم بإسلامه، أما إذا تبين منه وتكرر عدم التزام ما دلت عليه من الإيمان بالله وتوحيده والكفر بما يعبد من دونه، فهذا لا يحكم له بالإسلام ولا كرامة له، ونصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة تدل على هذا...»

(٢) هو أصل الدين، وهو القدر المنجي من الخلود في النار ـ أعاذني الله وإياكم ومنها ومن كل كرب ـ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «كتاب المورد العذب الزلال» ضمن كتاب الرسائل والمسائل النجدية»(٤/ ٢٨٩): «إن أصل دين الإسلام وأساسه، وعماد الإيمان ورأسه هو توحيد الله تعالى، الذي بعث به المرسلين، وأنزل به كتابه المحكم المبين، قال تعالي: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝﴾ [هود: ١، ٢] هذا هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا الله وأن لا يعبد الله إلا بما شرع لا بالأهواء والبدع. وقد قال شيخنا – رحمه الله تعالى – إمام الدعوة الإسلامية والداعي إلى الملة الحنيفية: أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأمر بعبادة الله وحده والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه. والنهي عن الشرك بالله في عبادته والتغليظ فيه والمعاداة فيه وتكفير من فعله». أ.هـ

=

عن الوسائط، وأن يعبدوه سبحانه عبادة يفرد بها ولا يعبد غيره، ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى، فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده. قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده، إنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل. وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها باتباع الهوى[(١)]، ويخرج عن هذا التوحيد السخط عن الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه. وهذا التوحيد مقام الصديقين[(٢)].

ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده

=

وقال « في كتاب بيان كلمة التوحيد» ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٤/ ٣٢١): «وهذا هو التوحيد الذي خلق الله الخلق لأجله، وأرسل الرسل لأجله، وأنزل الكتب لأجله، وهو أساس الإيمان والإسلام ورأسه، وهو الدين الحق الذي لا يقبل الله من عبد ديناً سواه» أ.هـ

(١) قال ابن كثير في تفسيره (ص١٢١٣): «أي إنما يأتمر بهواه، فمهما رآه حسنًا فعله، ومهما رآه قبيحًا تركه، وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين، وعن مالك فيما روي عنه من التفسير: لا يهوى شيئًا إلا عبده» أ.هـ وقال في تفسير سورة الفرقان آية ٤٣ (ص٩٦٠): «أي مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه» أ.هـ

وانظر فتح القدير للشوكاني (٤/ ١١٢) وأضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٢٢١ –٢٢٣).

(٢) قال ابن القيم في «طريق الهجرتين» (ص٣٠): «فإن التوحيد نوعان: عامي، وخاصي، كما أن الصلاة نوعان، والذكر نوعان، وسائر القرب كذلك خاصية وعامية، فالخاصية ما بذل فيها العامل نصحه وقصده بحيث يوقعها على أحسن الوجوه وأكملها، والعامية ما لم يكن كذلك. فالمسلمون كلهم مشتركون في إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة وقيامهم باطنًا وظاهرًا أمر لا يحصيه إلا الله – عز وجل –».

خالقهم وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، إنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ [١/أ] مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين[(١)]، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] أي يسوون به غيره[(٢)]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠] وقد علم الله سبحانه كيفية مباينة الشرك في توحيد

---

(١) قال ابن القيم في «روضة المحبين» (ص٣١٤): «وأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السماوات والأرض، وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله، فوالوا عليها وعادوا عليها وتألهوها وقالوا: هذه آلهة صغار تقربنا إلي الإله الأعظم. ففرق بين محبة الله أصلاً، والمحبة له تبعًا والمحبة معه شركًا، وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك» وقال أيضًا: «فلله حق من المحبة لا يشركه فيه غيره، وأظلم الظلم وضع تلك المحبة في غير موضعها، والتشريك بين الله وغيره فيها، فليتدبر اللبيب هذا الباب، فإنه من أنفع أبواب الكتاب إن شاء الله» أ.هـ

وقال أيضًا في «مدارج السالكين» (٣/ ٢٠): «فأخبر أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة، لا في الخلق والربوبية، فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند من الربوبية بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم» .أ.هـ.

(٢) قال ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص١٧٨): «فعدل المشرك من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فيالك من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه».

الإلهية، وأنه [حقيق][(١)] بإفراده تعالى وليًّا وحكمًا وربًّا. فقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤] [﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾][(٢)] [الأنعام: ١١٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فلا ولي ولا حكم ولا رب إلا الله الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد ربوبيته[(٣)]،

---

(١) ما بين المعكوفين أثبته من نسخة علي حسن عبد الحميد.

(٢) ما بين المعكوفين أثبته لإتمام مراد المصنف حيث قال:«بإفراده تعالى وليًّا وحكمًا وربًّا» ثم ذكر الآية التي تدل على إفراده سبحانه بالولاية، وكذا ذكر الآية التي تدل على إفراده بالربوبية، ولم يذكر الآية التي تدل على إفراده بالحاكمية.

(٣) قال ابن القيم - رحمه الله - في «مدارج السالكين» (٢/ ١٨١): «الرضا بالله ربًّا أن لا يتخذ ربًّا غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره وينزل به حوائجه. قال الله تعالى:﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤] قال ابن عباس - رضي الله عنهما: سيدًا وإلهًا. يعني: كيف أطلب ربًّا غيره وهو رب كل شيء؟! وقال في أول السورة : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] يعني معبودًا وناصرًا ومعينًا وملجأ، وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة. وقال في وسطها: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾ [الأنعام: ١١٤] أي: أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه؟ وهذا كتابه سيد الحكام، فكيف نتحاكم إلى غير كتابه، وقد أنزله مفصلاً مبينًا كافيًا شافيًا؟!

وأنت إذا تأملت هذه الآيات الثلاث حق التأمل رأيتها هي نفس الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً، ورأيت الحديث يترجم عنها ومشتقًا منها. فكثير من الناس يرضي بالله ربًّا ولا يبغي ربًّا سواه، لكنه لا يرضي به وحده وليًّا وناصرًا، بل يوالي من دونه أولياء، ظنًّا منه أنهم يقربونه إلى الله، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك، وهذا عين الشرك، بل التوحيد أن لا يتخذ من دونه أولياء والقرآن مملوء من وصف المشركين بأنهم اتخذوا من دونه أولياء. وهذا غير موالاة أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين فيه. فإن هذا من تمام الإيمان ومن تمام موالاته فموالاة أوليائه لون واتخاذ الولي من دونه لون. ومن لم يفهم الفرقان بينهما؛ فليطلب التوحيد من أساسه، فإن هذه المسألة أصل التوحيد وأساسه. وكثير من الناس يبتغي غيره حكمًا: يتحاكم إليه ويخاصم إليه،

=

فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها.

وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين. ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله. ولو قال: لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحققين. فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد، ولهذا كان أصله الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح، وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذ منهم[1]، وبهذا

=

ويرضى بحكمه وهذه المقامات الثلاث هي أركان التوحيد: أن لا يتخذ سواه ربًّا ولا إلهًا ولا غيره حكمًا. وتفسير الرضا بالله ربًّا أن يسخط عبادة ما دونه. هذا هو الرضا بالله إلهًا، وهو من تمام الرضا بالله ربًّا، فمن أعطى الرضا به ربًّا حقه سخط عبادة ما دونه قطعًا، لأن الرضا بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته، كما أن العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية« أ.هـ

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (ص٢٤): «وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى، ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل، فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له، وقد نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم، وروي عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة. قال الخطابي: ألا ترى أنك تقول: يا الله ولا تقول يا الرحمن. فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام، وقيل: إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج».

لله در الغانيات المدّه سبحن واسترجعن من تألهي.

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر، وهو التأله من أله يأله إلاهة وتألهًا، كما روي عن ابن عباس أنه قرأ: «ويذرك وإلاهتك» قال: عبادتك أي: أنه كان يُعبد ولا يَعبد، وكذا قال مجاهد وغيره، وقد استدل بعضهم على كونه مشتقًا بقوله تعالي ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله إلاه مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة. قال سيبويه: مثل الناس أصله: أناس. وقيل أصل الكلمة: لاه. فدخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيبويه» أ.هـ وانظر «فتح المجيد» (ص٨، ٩).

الاعتبار الذي قررنا به الإله، وأنه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع المعاني للأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون، ويحتج الرب سبحانه عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠] فأبان سبحانه بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا توحيد الربوبية، على أن منهم من أشرك في الربوبية، كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

وبالجملة فهو تعالى يحتج على [منكري][1] الإلهية بإثباتهم الربوبية.

والملك هو الآمر الناهي لا يخلق [خلقًا][2] بمقتضى ربوبيته، ويتركهم سدًى مُعطَّلين، لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون. فإن الملك هو الآمر الناهي، المعطي المانع، الضار النافع، المثيب المعاقب، ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة: الرب والملك والإله. فإنه لما قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم، فبقي أن يقال لما خلقهم: هل كلفهم وأمرهم ونهاهم؟ قيل: نعم، فجاء: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ فأثبت الخلق والأمر: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ

(١) في الأصل: «منكر» والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل: «خلق» والصواب ما أثبته.

﴿وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف:٥٤] فلما قيل ذلك، قيل: فإذا كان ربًا موجدًا وملكًا مكلّفا، فهل يُحبّ ويُرغب إليه، ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر؟ قيل: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ أي مألوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلَّف العابد إلا إليه، فجاءت الإلهيةُ خاتمةً وغايةً، وما قبلها [أ/ ب] كالتوطئة لها. وهاتان السورتان أعظم عوذة في القرآن(١)، وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك، وهو حين سحر النبي ﷺ وخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، وأقام على ذلك أربعين [يومًا](٢) كما جاء في الصحيح(٣)، وكانت عقد

---

(١) لحديث ابن عابس الجهني، قال له رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك**». أو قال: «**ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟**» قال: بلى يا رسول الله قال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أخرجه أحمد (٣/ ٤١٧ و ٤/ ١٤٤، ١٥٢) والنسائي (٨/ ٢٥١-٢٥٢ رقم ٥٤٣٢) كتاب الاستعاذة.

(٢) في الأصل: «يوم» والصواب ما أثبته.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٣٢-٢٣٦ رقم ٥٧٦٥، ٥٧٦٦) كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر؟ وباب السحر ومسلم (٤/ ١٧١٩-١٧٢٠ رقم ٢١٨٩) كتاب السلام، باب السحر والحميدي في مسنده (١/ ١٢٥-١٢٧ رقم ٢٥٩) وأحمد في مسنده (٦/ ٥٠، ٥٧، ٦٣، ٩٦) وابن ماجه (٢/ ١١٧٣ رقم ٣٥٤٥) كتاب الطب، باب السحر. والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٨٠ رقم ٧٦١٥) كتاب الطب، باب السحر.

قال الحافظ في «الفتح » (١٠/ ٢٢٦): «ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي «فأقام أربعين ليلة» وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد: «ستة أشهر» ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه. والأربعين يومًا من استحكامه. وقال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي ﷺ فيها في السحر حتى ظفرت به في «جامع معمر» عن الأزهري أنه ثبت ستة أشهر كذا قال. وقد وجدناه موصولاً بإسناد الصحيح فهو المعتمد» أ.هـ.

السحر إحدى عشرة عقدة .

فأنزل الله المعوذتين [إحدى عشرة][(١)]، آية فانحلت بكل آية عقدة[(٢)].

وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسم الإله الكامل [ذي][(٣)] الأسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب إليه في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه، ثم استحب التعلق باسم الإله في جميع المواطن التي يقال فيها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء. ولهذا كل اسم بعده لا يتعرف إلا به، فتقول: الله السلام المؤمن المهيمن، فالجلالة تعرِّف غيرَها، وغيرُها لا يعرفها.

والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه [خالقًا][(٤)] آخر وإن لم يقولوا: إنه إله مكافئ له، وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية[(٥)].

---

(١) في الأصل: «أحد عشر » والصواب ما أثبته.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٩٢-٩٤)

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح« (١٠/ ٢٢٥): «وقد وقع في حديث ابن عباس فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ أنهم وجدوا وترًا فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت سورة الفلق والناس، وجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس: «أن عليا وعمارًا لما بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة فذكر نحوه أ.هـ

(٣) في الأصل: «ذا» و الصواب ما أثبته.

(٤) في الأصل: «خالق» والصواب ما أثبته.

(٥) القدرية : فرقة مبتدعة ضالة، عمدة قولهم: أن لا قدر وأن الأمر أُنف، أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه. فعن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر =

وربوبيته سبحانه للعالم الكاملة المطلقة تبطل أقوالهم، لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال.

[وحقيقة قول القدرية المجوسية[1]][2] أنه تعالى ليس

=

بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد. فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم (وذكر من شأنهم) وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء.. منهم وأنهم براء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر» أخرجه مسلم (١/ ٣٦-٣٧ رقم ٨).

قال النووي في «شرحه لمسلم» (١/ ١٥٤) واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها، وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًّا كبيرًا، وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم» أ.هـ

(١) في الأصل: «وحقيقة قدرية المجوسية»

(٢) فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**».

رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١/ ١٤٩ -١٥٠ رقم ٣٣٨) والآجري في «الشريعة»

=

[ربًّا][1] لأفعال الحيوان، ولا تتناوله ربوبيته، إذ كيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه.

وشرك الأمم كله نوعان:

شرك في الإلهية.

وشرك في الربوبية.[2]

فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشايخ وعباد الصالحين: الأحياء منهم والأموات، الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلهية كلها من أولها إلى أخرها تبطل هذا المذهب وترده، وتقبّح أهله وتنص على أنهم أعداء الله. وجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالى أمة من الأمم إلا

=

(٢/ ٨٠١-٨٠٣ رقم ٣٨١) وأحمد بلفظ قريب (٢/ ٨٦، ١٢٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٣) قال الألباني في ظلال الجنة: حديث حسن.

وسوف يأتي تخريجه بأوسع من هذا.

(١) في الأصل: «رب» والصواب ما أثبته.

(٢) مستفاد من كلام ابن القيم - رحمه الله - تعالى في «مدارج السالكين» (١/ ٧٤).

بسبب هذا الشرك ومن أجله. وأصله الشرك في محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ١٦٥] فأخبر سبحانه أنه من أحب مع الله شيئاً غيره كما يحبه فقد اتخذه ندًّا من دونه، وهذا على أصح القولين في الآية [٢/أ]: أنهم يحبونهم كما يحبون الله، وهذا هو العدل المذكور في قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] والمعنى على أصح القولين: أنهم يعدلون به غيره في العبادة، فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة.

وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ٩٧، ٩٨] [ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية][1] لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم، فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها لله وحده، وأنه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وأنه سبحانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.

وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة، فمن أحب غير الله وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله تعالى أتم عنده وأحب إليه وأخوف عنده، وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاة الله؟[2] فإذا كان

(١) في الأصل: «ومعلوم قطع هذه التسوية» والصواب ما أثبته.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٩): «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، =

المسوِّي بين الله وبين غيره في ذلك [مشركًا][1] فما الظن بهذا؟! فعياذاً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحد. فهذا أحد أنواع الشرك.

والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه تبطل هذا الشرك وتدحض حجج أهله، وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله. بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده، وكذلك كل ما أمر به، فخلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بأنه الله الذي لا إله إلا هو، وأن كل معبود سواه باطل، وأنه هو الحق المبين تعالى وتقدس.

=

فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار:﴿تَاللَّـهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونهاويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده. ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث إذا حرد. وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها». ثم قال رحمه الله: «وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ديدنًا له إن قام وإن قعد وإن عثر وإن مرض وإن استوحش، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك. ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه». أ.هـ

(١) في الأصل: «مشرك» ، والصواب ما أثبته.

وواعجبًا كيف يُعصى الإلهُ أم كيف يجحدُهُ الجاحدُ
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدًا شاهدُ
وفي كلِّ شيء له آيةٌ تدل على أنه واحدُ[1]

والنوع الثاني من الشرك [الشرك][2] بالله تعالى في الربوبية: كشرك من جعل معه خالقًا آخر كالمجوس وغيرهم، الذين يقولون بأن للعالم ربين: أحدهما خالق الخير، ويقولون له بلسان الفارسية: يزدان.

والآخر: خالق الشر، ويقولون[3] له المجوس بلسانهم: أهرمن.

---

(١) ذكر ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» (٧/ ١٣٨) البيت الأخير ونسبه لأبي نواس، بينما ذكر ابن كثير في «التفسير» (ص٢٧) ط دار السلام البيت الأول والأخير ونسبهما إلى ابن المعتز، وذكر الأبيات الثلاثة الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/ ٢٥٣) في ترجمة أبي العتاهية. قال: قال الرشيد لأبي العتاهية: الناس يزعمون أنك زنديق؟ فقال: يا سيدي كيف أكون زنديقًا وأنا القائل وذكر الأبيات الثلاثة وكذا نسب الأبيات لأبي العتاهية، ابن المعتز في «طبقات الشعراء» (ص٢٠٧).

(٢) ما بين المعكوفين ليس بالأصل وأثبته لاستقامة المعنى.

(٣) كذا بالأصل، وهو جائز في لغة بني الحارث، وهم القائلون: أكلوني البراغيث.

قال الحافظ في الفتح (٢/ ٦٥٠ حديث رقم ١٠٢٠): «قوله: فسُقُوا الناسُ حولهم . كذا في جميع الروايات في الصحيح بضم السين والقاف، وهو على لغة بني الحارث».

وقال أيضاً (٢/ ٤٣ حديث رقم ٥٥٥): «قوله: يتعاقبون. قال القرطبي: الواو في قوله يتعاقبون علامة الفاعل المذكر المجموع على لغة بلحارث وهم القائلون: أكلوني البراغيث».

وانظر: كتاب سيبويه ٣/ ٢٠٩ والأصول لابن السراج ١/ ٧١، ١٣٦، ١٧٢و ٢/ ٨٢ وإعراب القرآن ١/ ٥١١ وشرح المفصل ٧/ ٧ والجني الداني ص١٧٠ ـ ١٧١ والدر المصون ٣/ ٣٥٤ وفتح الباري ٩/ ٢٥٧.

وهي لغة بليغة فصيحة، ويكفي في الدلالة على ذلك نطق أفصح البشر بها ﷺ، كما في الحديث =

وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط، وأن مصدر المخلوقات كلهم عن العقول والنفوس، وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال، فهو رب كل ما تحته ومدبره.

وهذا أشر من شرك عباد الأصنام والمجوس والنصارى، وهو أخبث شرك في العالم، إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهية والربوبية واستناد الخلق إلى غيره سبحانه [٢/ ب] ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم.

وشرك القدرية مختصر من هذا الباب، وباب يدخل منه إليه، ولهذا شبههم الصحابة رضي الله عنهم بالمجوس، كما ثبت عن ابن عمر وابن العباس. وقد روى أهل السنن منهم ذلك مرفوعًا «**أنهم مجوس هذه الأمة**»(١).

=

المخرج في الصحيح.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨٦، ١٢٥) و(٥/ ٤٠٦-٤٠٧) وأبو داود (٥/ ٦٦-٦٧ رقم ٤٦٩١، ٤٦٩٢). وابن أبي عاصم في «السنة» (ص١٤٤، ١٤٥ أرقام ٣٢٨-٣٢٩) ، (ص١٤٩-١٥١ أرقام ٣٣٨-٣٤٢). والآجري في « الشريعة» (٢/ ٨٠١-٨٠٧ أرقام ٣٨١-٣٨٦) وابن بطة في «الإبانة» موقوفًا ((٢/ ٢٠٧ رقم ١٧٥٢) والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٦٥ رقم ٢٤٩٤) ، (٤/ ٢٨١ رقم ٤٢٠٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٧٠٧-٧٠٩ أرقام ١١٥٠-١١٥٥) (٢/ ٧١١ رقم ١١٦٠، ١١٦١) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٣). والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٩٨ رقم ١٠٧٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٥١-١٥٤ أرقام ٢٢٥-٢٣٢) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.

قلت: ولا يخلو أسانيد بعضها من ضعف قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٠٥): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة. وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة».

=

وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد، وينفرد أحدهما عن الآخر.

والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية، فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات. فالشرك به[1] في الأفعال: كالسجود لغيره سبحانه، والطواف بغير بيته المحرم وحلق الرأس عبودية وخضوعًا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود، الذي هو يمينه تعالى في الأرض[2]. أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها.

=

وقال الألباني في تخريج «المشكاة» (١/ ٣٨ رقم ١٠٧) «رجاله ثقات، لكنه منقطع وأما إسناد أحمد فموصول لكن فيه رجل ضعيف، وله طريق ثالث عند الآجرى في «الشريعة» ص١٩٠ وفيه ضعف أيضًا، فالحديث بهذه الطرق حسن. وقال أيضًا في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (ص١٥١): «وإنما صححت الحديث مع ضعف إسناده لشواهده المتقدمة من حديث جابر وحذيفة وابن عمر». وكذا حسَّنه في «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ٨١٨ رقم ٤٤٤٢).

(١) من قوله: «فالشرك به» إلى نهاية هذا الكتاب المبارك ضمنه العلامة صديق حسن خان كتابه العظيم «الدين الخالص» (١/ ٣١٠ -٣٤٢).

(٢) يروى بلفظ: « **الحجر الأسود يمين الله في الأرض، يصافح بها عباده**»، أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٦/ ٣٢٨) في ترجمة إسحاق بن بشر الكاهلي رقم (٣٣٧١) وذكره الهندي في «الكنز» (١٢/ ٢١٥ رقم ٣٤٧٢٩) وعزاه للخطيب وابن عساكر وروي بلفظ آخر عن ابن عمرو: «**يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه بالحق وهو يمين الله - عز وجل - التي يصافح بها عباده**» أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٢١ رقم ٢٧٣٧). والطبراني

=

ولقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُصلَّى فيها، فكيف من اتخذ القبور أوثانا تعبد من دون الله؟ فهذا لم يعلم معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وفي الصحيحين[1] عنه ﷺ أنه قال **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[2].

=

في «الأوسط» (١/ ١٧٧ رقم ٥٦٣) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٧) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٤٢ رقم ١٧٢). وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٧٦ رقم ٩٤٥) وقال: «وهذا لا يثبت . قال أحمد: عبد الله بن المؤمل أحاديثه مناكير وقال علي بن الجنيد: شبه المتروك» أ.هـ وقال الحاكم: «وقد روي لهذا الحديث شاهد مفسر غير أنه ليس من شرط الشيخين، فإنهما لم يحتجا بأبي هارون عمارة بن جوين العبدي»وتعقبه الذهبي بقوله«عبد الله بن المؤمل واه» وقال ابن عدي: «وإسحاق بن بشر الكاهلي.. في عداد من يضع الحديث (١/ ٣٩٠-٣٩٢ رقم ٢٢٣)وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (ص ٤٠٩ رقم ٢٧٧٢) وقال عنه في «الضعيفة» «منكر» وتعجب من صنيع الحافظ ابن رجب في «الذيل على طبقات الحنابلة» في ترجمة علي بن المبارك بن الفاعوس (٣/ ١٧٤-١٧٥) حيث ذكر عنه هذا الحديث وتأويله وتفسيره. وقال الألباني رحمه الله: «وكان يغنيه عن ذلك كله التنبيه على ضعف الحديث، وأنه لا داعي لتفسيره أو تأويله، لأن التفسير فرع التصحيح، كما لا يخفى» أ.هـ.

وكذا لا يؤخذ بتصحيح العجلوني لهذا الحديث على ما ذكره في «كشف الخفاء» (١/ ٣٤٨ – ٣٤٩ رقم ١١٠٩).

(١) في الأصل: «الصحيح» والمثبت من «الجواب الكافي» لابن القيم (ص١٩٦) حيث نقل المصنف قطعة كبيرة من «الجواب» ولكن بتصرف يسير، والحديث في الصحيحين كما سيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٠٠ رقم ١٣٣٠) كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ومسلم (١/ ٣٧٦ رقم ٥٢٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد. وأحمد (٢/ ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٨٥، ٣٦٦، ٣٩٦، ٤٥٣، ٥١٨)، (٥/ ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٣)، (٦/ ٨٠، ١٢١، ٢٥٥). والحميدي في «مسنده»

=

وفيه عنه أيضًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[(١)].

وفيه أيضًا عنه ﷺ: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[(٢)].

وفي مسند الإمام أحمد[(٣)] وصحيح ابن حبان[(٤)] عنه ﷺ: «**لعن الله**

=

(٢/ ٤٤٥ رقم ١٠٢٥). وأبو داود (٣/ ٥٥٣ رقم ٣٢٢٧) كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر. والنسائي (٤/ ٩٥ رقم ٢٠٤٦) كتاب الجنائز، باب اتخاذ القبور مساجد.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥، ٤٣٥، ٤٥٤) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨٨ رقم ١٠٤١٣) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٦ ـ ٧ رقم ٧٨٩) وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٦٠-٢٦١ رقم ٦٨٤٧) والبزار كما في «كشف الأستار» (٤/ ١٥١ رقم ٣٤١٩-٣٤٢٠) وأبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٢١٦ رقم ٥٣١٦) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٣٢ رقم ١١٨١٥) والشاشي في «مسنده» (٢/ ٤٥ - ٤٦ رقم ٥٢٨).

قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٧): رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. وقال في (٨/ ١٣): «رواه البزار بإسنادين في إحدهما عاصم ابن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وعلقه البخاري في «صحيحه» (١٣/ ١٤ رقم ٧٠٦٧) كتاب الفتن، باب ظهور الفتن عن أبي عوانة عن عاصم، به دون قوله: «**والذين يتخذون القبور مساجد**».

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٧-٣٧٨ رقم ٥٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور... والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٢/ ٤٤٢ ـ٤٤٣ رقم ٣٢٦٠).

(٣) (١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤) ومختصرًا في (٢/ ٣٣٧، ٣٥٦).

(٤) (٧/ ٤٥٢-٤٥٤ رقم ٣١٧٩، ٣١٨٠) الإحسان.

وهذا الحديث أخرجه أبو داود (٣/ ٥٥٨ رقم ٣٢٣٦) كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور

=

زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

وقال: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

وقال: «**إن من كان قبلكم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»(٢).

=

والترمذي (٢/ ١٣٦-١٣٧ رقم ٣٢٠) أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجد وكذا في (٣/ ٣٧١ رقم ١٠٥٦) كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء وفي مسند الطيالسي (ص٣١١ رقم ٢٣٥٨) و (ص٣٥٧ رقم ٢٧٣٣) والنسائي (٤/ ٩٤-٩٥ رقم ٢٠٤٣) كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور وابن ماجه مختصرًا (١/ ٥٠٢ أرقام ١٥٧٤-١٥٧٦) كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور. والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٧٨) والحاكم (١/ ٣٧٤) وابن أبي شيبة (٣/ ٣١-٣٢ رقم ١١٨١٣) والطبراني مختصرًا في «الكبير» (٤/ ٤٢ رقم ٣٥٩١، ٣٥٩٢) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٤١٦-٤١٧ رقم ٥١٠). وقال البغوي: هذا حديث حسن وقال الترمذي: حديث ابن عباس حديث حسن وقال في موضع آخر عن الرواية المختصرة: هذا حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٧٢ رقم ٨٥) كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٤٠-٢٤١)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١/ ٤٠٦ رقم ١٥٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٣٢ رقم ١١٨١٨». والبزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٢٢٠ رقم ٤٤٠).

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٨): «رواه البزار وفيه: عمر بن صهبان، وقد اجتمعوا على ضعفه».

وانظر «التمهيد» لابن عبد البر (٥/ ٤١-٤٤)

وللحديث شواهد عند أحمد (٢/ ٢٤٦) والحميدي (٢/ ٤٤٥ رقم ١٠٢٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨٣) في ترجمة هشام الدستوائي.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٢٣-٥٢٤ رقم ٤٢٧) كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ ومسلم (١/ ٣٧٥-٣٧٦ رقم ٥٢٨) كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب

=

والناس في هذا الباب ـ أعني زيارة القبور ـ ثلاثة أقسام:

قوم يزورون الموتى فيدعون لهم، وهذه الزيارة الشرعية.

وقوم يزورونهم يدعون بهم، فهؤلاء هم المشركون في الإلهية والمحبة.

وقوم يزورونهم فيدعونهم، أنفسهم وهؤلاء هم المشركون في الربوبية.

وقد حمى النبيُّ ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[١] حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين ذريعة [٣/ أ] إلى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين.

وسد الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر والصبح، لاتصال هذين الوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس[٢].

=

النهي عن بناء المساجد على القبور.. وأحمد (٦/ ٥١). والنسائي (٢/ ٤١-٤٢ رقم ٧٠٤) كتاب المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد وفي «السنن الكبرى» (١/ ٢٦٠ رقم ٧٨٣) كتاب المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد. وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٧ رقم ٧٩٠).

(١) فـ «هذه آيات التنزيل ليس لتكررها في موضوع الشرك مثيل وهذه أحاديث الرسول تحذر من كل ما هو منه بسبيل، ألا تدل تلك العناية على أن جناية الشرك أفظع جناية، وأن وقاية المجتمع منه أمتع وقاية؟! ليس العجب ـ لو كنا نسمع أو نعقل ـ من حديث العلماء في الشرك وبيانهم له، وإنما العجب من سكوتهم عنه» نقلاً عن رسالة الشرك ومظاهره (ص٥٣)

(٢) ذكر العلامة ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/ ١٣٩ -١٤٠) تحت عنوان منع ما يؤدي إلى الحرام فقال - رحمه الله -: «الوجه الرابع عشر: أنه ﷺ نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وكان من حكمة ذلك أنهما وقت سجود المشركين للشمس، وكان النهي عن الصلاة في ذلك الوقت سدًّا لذريعة المشابهة الظاهرة، التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بعد هذه الذريعة، فكيف بالذرائع القريبة» أ.هـ وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال:شهد عندي

=

وأما السجود لغير الله فقد قال النبي ﷺ: «**لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا الله**»[(١)].

«ولا ينبغي» في كلام الله ورسوله إنما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع[(٢)] كقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ وقوله: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفرقان:١٨]

ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود[(٣)] عنه ﷺ أنه قال: «من

=

رجال مرضيون، وأرضاهم عندي عمر، أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس» أخرجه البخاري (رقم ٥٨١) ومسلم (رقم٨٢٦).

(١) أخرجه ابن حبان كما في الموارد (٤/ ٢٢٥ رقم ١٢٩١) بلفظ: «**ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد، ولو كان أحد ينبغي له أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظّم الله عليها من حقه**» والحديث عند الترمذي بلفظ قريب (٣/ ٤٦٥ رقم ١١٥٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٩١) وفي السنن الصغير (٣/ ٩٢ رقم ٢٥٩٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١ -١٧٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الألباني: صحيح لشواهده (المشكاة ٣٢٥٥).

(٢) جاء في الجواب الكافي (ص١٩٨): «هو في غاية الامتناع شرعًا» بينما جاء في إعلام الموقعين (١/ ٤٣) قوله: «وقد اطرد في كلام الله ورسوله استعمال: لا ينبغي. في المحظور شرعًا أو قدرًا. وفي المستحيل الممتنع».

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤، ٨٦) وأبو داود (٣/ ٥٧٠ رقم ٣٢٥١) والترمذي (٤/ ١١٠ رقم ١٥٣٥). وقال: هذا حديث حسن.

حلف بغير الله فقد أشرك» صححه الحاكم وابن حبان(١).

قال ابن حبان: أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا عبد الله بن عمر الجعفي، ثنا [عبد الرحيم](٢) بن سليمان، عن الحسن بن [عبيد](٣) الله النخعي، عن [سعد](٤) بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر فحلف رجل بالكعبة، فقال ابن عمر: ويحك لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»**.

ومن الإشراك قول القائل لأحد من الناس: ما شاء الله وشئت. كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: **«أجعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاء الله وحده»**(٥).

هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٨، ٥٢)، (٤/ ٢٩٧) وابن حبان في الموارد (٤/ ٧٢-٧٣ رقم ١١٧٧) وفي الإحسان (٦/ ٢٧٨ رقم ٤٣٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٩). وأبو داود الطيالسي (١/ ٢٤٦ رقم ١٢١٢).

(٢) في الأصل: «عبد الرحمن» والتصويب» من مصادر التخريج وكتب الرجال.

(٣) في الأصل: «عبد» والتصويب من مصادر التخريج والتقريب (رقم ١٢٦٤).

(٤) في الأصل: «سعيد» والتصويب من مصادر التخريج والتقريب (رقم ٢٢٦٢).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢١٤) وابن ماجه (١/ ٦٨٤ رقم ٢١١٧) والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤) رقم ١٣٠٠٥، ١٣٠٠٦) البيهقي في الكبرى (٣/ ٢١٧) وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم ٣٤٥) وفي إسناده الأجلح بن عبد الله بن حُجَيَّة بالمهملة والجيم مصغر لكن أبا حجية الكندي يقال: اسمه يحيى، صدوق شيعي من السابعة (التقريب رقم ٢٨٧) واختلف فيه، والحديث صحيح إن شاء الله لغيره.

﴿يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]. فكيف بمن قال: أنا متوكل على الله وعليك[١]، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض[٢].

[وَازِنْ][٣] بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهي عنه من: «ما شاء الله وشئت» ثم انظر أيها أفحش يتبين لك أن قائلها أولى [بالبعد][٤] من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وبالجواب من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ ندًّا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندًّا.

وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي السجود والتوكل والإنابة والتقوى [والخشية][٥] والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير

---

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في «معجم المناهي» (ص١٥٣): «هذا في معنى الشرك المنهي عنه» ثم ذكر الحديث المتقدم ذكره ثم قال: «وفي فتاوى الشيخ محمد رحمه الله تعالى ـ أن هذا لا يجوز حتى ولو أتى بلفظ ثم، لأن التوكل كله عبادة».

(٢) قال ابن القيم - رحمه الله - في «كتاب الروح» (ص٥٨٠): «والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب، أن تجريد التوحيد أن لا يعطي المخلوق شيئًا من حق الخالق وخصائصه» إلى قوله: «ولا يساوي برب العالمين في قول القائل: ما شاء الله وشئت، وهذا منك ومن الله، وأنا بالله وبك، وأنا متوكل على الله وعليك، والله لي في السماء وأنت في الأرض، وهذا من صدقاتك وصدقات الله، وأنا تائب إلى الله وإليك، وأنا في حسب الله وحسبك» أ.هـ وانظر أيضًا «معجم المناهي اللفظية» (ص٤٨٦) ومختصر الإغاثة (ص٣٧٩) .

(٣) في الأصل: «وزن» والتصويب من «الجواب الكافي» (ص١٩٩).

(٤) في الأصل: تصحفت إلي: «بالعبد» والصواب ما أثبته.

(٥) في الأصل: «والخشية والإنابة» فحذفت كلمة «والإنابة» لأنه تكرار لا فائدة فيه حيث ذكر «الإنابة» قبل كلمتين.

والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس [خضوعًا][(١)] وتعبدًا والدعاء. كل ذلك حق لله تعالى.

وفي مسند الإمام[(٢)] :أن [رجلاً][(٣)] أتي به النبي ﷺ وقد أذنب ذنبًا، فلما وقف بين يديه قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد.

فقال ﷺ: « **عرف الحق لأهله**[(٤)]» أخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود بن سريع. وقال [٣/ ب]: حديث صحيح[(٥)].

وأما الشرك في الإرادات والنيات فهو البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فإن ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام[(٦)].

---

(١) في الأصل: «خضوع» والصواب ما أثبته.

(٢) أي الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -.

(٣) في الأصل: «رجل» والصواب ما أثبته.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥) والطبراني في الكبير (١/ ٢٨٦-٢٨٧ رقم ٨٣٩، ٨٤٠) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٥) والإسناد منقطع فإن الحسن البصري لم يسمع من الأسود بن سريع وفيه أيضًا محمد بن مصعب وثقه أحمد وضعفه وغيره وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (رقم ٦٣٤٢): صدوق كثير الغلط. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٣٧٠٧). جاء في الحديث: أن النبي ﷺ أتي بأسير.

(٥) تعقبه الذهبي بقوله: ابن مصعب ضعيف.

(٦) من قوله: «فالشرك به في الأفعال: كالسجود لغيره ـ سبحانه ـ والطواف بغير البيت المحرَّم» إلى هنا مستفاد من كلام العلاقة ابن قيم الجوزية في «الجواب الكافي» (١٩٦-٢٠٠).

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] واستمسك بهذا الأصل، ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تتحقق معنى الكلمة الإلهية[(١)].

فإن قيل: المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى، وإنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك. فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية، وإنما قصد تعظيمه، وقال: إنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه، وتدخل بي عليه، فهو الغاية وهذه وسائل[(٢)]. فلِمَ كان هذا القدر

---

(١) قال العلامة صديق حسن خان في كتابه «الدين الخالص» (١/ ١٨٥): «فالله الله أيها الناس! تمسكوا بأصل دينكم الذي ارتضاه الله تعالى لكم ودعا إليه نبيكم، وقاتل المشركين عليه، وندبنا إليه وجاهد فيه لله حق جهاده وأساس هذا الدين ورأسه ونبراسه شهادة أن لا إله إلا الله (أي لا معبود) إلا الله. واعرفوا معناها واستقيموا عليها وادعوا الناس تبعًا لرسول الله ﷺ واجعلوها كلمة باقية في عقبة في أبناء زمانكم، إتمامًا للحجة وإيضاحًا للمحجة، وكونوا من أهلها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم في الدين ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وأبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم ولم يكفرهم أو قال: ما عليَّ منهم. أو قال: ما كلفك الله بهم. فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلَّفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئًا».
قلت: ما أحلى هذا الكلام! وما أعذبه عندما يمر على قلب الموحد فيجد له حلاوة وطلاوة وطمأنينة وسكينة هذا هو الحق المبين، فدع عنك أخي الحبيب ترهات المتأولين ومغالطات المشاكسين، وعليك بعلماء الأمة الموحدين الربانيين الهادين المهديين، جعلني الله وإياك ممن سلك سبيلهم واقتفى آثارهم وحشرنا وإياهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم آمين.

(٢) هذه حجة المشركين قديمًا وحديثًا، وهي كما ترى حجة داحضة واهية، أوهن من بيت العنكبوت، وفيها من تنقيص جناب الربوبية والألوهية ما فيه، وكذا فيها هضم حق الرب جل جلاله، وهذا من تلبيس إبليس، ولولا هذا التدليس لما استطاع الشيطان أن يروج هذه الضلالة على عقول أهل =

موجبًا لسخط الله وغضبه ومخلدًا في النار [وموجبًا][1] لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم؟ وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع والعقل. يمتنع [أن][2] تأتي به شريعة من الشرائع؟[3]

= الجهالة، وألبسها لباسًا يروق على الطغام أشباه الأنعام.

(١) في الأصل: «وموجب» والصواب ما أثبته.

(٢) رسمت في الأصل هكذا: «ن» بدون الألف. وجاء في نسخة علي حسن عبد الحميد: «وهل يمنع أن» وجعل [هل] بين معكوفين ثم ذكر في الحاشية قوله: استدركتها لتصحيح السياق وليته لم يفعل. فقد غيَّر المعنى وبدّل المراد.

(٣) الإجابة عن هذا السؤال مزلة أقدام إلا من وفقه الرب وأعانه وأخذ بناصيته وثبَّت أقدامه على سواء الصراط، فإن الله تعالى لم يكن يشرع لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط، فهذا قبيح في الشرع والعقل معًا، ويستحيل أن تأتي به شريعة من الشرائع وفي هذا ردٌّ على من يقول: لو أن الله تعبدنا بالشرك لكنا ملزمين به. فهذا قول ساقط وتقرير متهافت. فالشرك مستقر قبحه في كل عقل وإن لم يرد به شرع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٤٩١): «وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد حجة في بطلان الشرك لا يحتاج ذلك إلى رسول، فإنه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا» ونفس الكلام ذكره ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٥٦٤).

وقال ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص٢٠٤): «فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه نقص في حق ربوبيته وإلهيته وتوحيده وظن به ظن سوء ، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفطر جوازه، وقبحه مستقر في الفطر السليمة فوق كل قبح» أ.هـ

وقال(ص٢١٠): «فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله، وأنه لا يغفره بغير التوبة منه، وأنه يوجب الخلود في النار، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه، بل يستحيل على الله سبحانه أن يشرع لعباده عبادة إله غيره، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف =

كماله ونعوت جلاله، وكيف يظن بالمنفرد بالربوبية والإلهية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك، أو يرضى به، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا» أ.هـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٥٢ -٢٥٣): «وكثير من هؤلاء يعتقدون أن في ذلك ما لا يجوز أن يعلم بالعقل: كالمعاد وحسن التوحيد والعدل والصدق، وقبح الشرك والظلم والكذب. والقرآن يبين الأدلة العقلية الدالة على ذلك، وينكر على من لم يستدل بها، ويبين أنه بالعقل يعرف: المعاد وحسن عبادته وحده وحسن شكره، وقبح الشرك وكفر نعمه، كما قد بسطت الكلام على ذلك في مواضع» أ.هـ

وقال ابن القيم في كتاب «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢): «الشرائع كلها في أصولها وإن تباينت متفقة مركوز حسنها في العقول، ولو وقعت على غير ما هي عليه لخرجت عن الحكمة والمصلحة والرحمة، بل من المحال أن تأتي بخلاف ما أتت به ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ وكيف يجوِّز ذو العقل أن ترد شريعة أحكم الحاكمين بضد ما وردت به» أ.هـ ثم ذكر الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وما فيها من حسن وكمال، وكذلك ذكر الضحايا والهدايا والأيمان والنذور وما فيها من حسن تقرر في العقول قبل ورود الشرع به ثم ذكر المطاعم والمشارب والملابس والمناكح فقال في (ص٥). «فهي داخلة فيما يقيم الأبدان ويحفظها من الفساد والهلاك» ثم فرق بين المباح والمحظور والحسن والقبيح والضار والنافع والطيب والخبيث. فقال: «وتأمل ذلك في المناكح فإن من المستقر في العقول والفطر أن قضاء هذا الوطر في الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات والجدات مستقبح في كل عقل مستهجن في كل فطرة، ومن المحال أن يكون المباح من ذلك مساوياً للمحظور في نفس الأمر، ولا فرق بينهما إلا مجرد التحكم بالمشيئة. سبحانك هذا بهتان عظيم!! وكيف يكون في نفس الأمر نكاح الأم واستفراشها مساويًا لنكاح الأجنبية واستفراشها، وإنما فرق بينهما محض الأمر» ثم قال في (ص٨، ٩) : «فضرب لهم سبحانه مثلاً من عقولهم يدلهم على قبح عبادتهم لغيره وأن هذا أمر مستقر قبحه وهجنته في كل عقل وإن لم يرد به الشرع، وهل في العقل أنكر وأقبح من عبادة من لو اجتمعوا كلهم لم يخلقوا ذبابًا واحدًا وإن يسلبهم الذباب شيئًا لم يقدروا على الانتصار منه واستنقاذ ما سلبهم إياه وترك عبادة الخلاق العليم القادر على كل شيء، الذي ليس كمثله شيء، أفلا تراه كيف احتج عليهم بما
=

[وما][١] السر في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]

قلنا: الشرك شركان:

شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله.

أما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن ونشبع الكلام فيه، إن شاء الله تعالى.

وأما الشرك الأول فهو نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل ، و هو أقبح أنواع الشرك : كشرك فرعون في قوله : ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ٢٣]. وقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ [أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ][٢] فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر ٣٦ ، ٣٧] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

=

ركبه في العقول من حسن عبادته وحده وقبح عبادة غيره» أ.هـ

(١) في الأصل:« وأما » وما أثبته هو الصواب إن شاء الله. وجاء في «الجواب الكافي» (ص١٩٢) «وما السبب في كونه لا يغفره».

(٢) ما بين المعكوفين سقط من الأصل.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] والشرك والتعطيل [متلازمان][١] فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك. لكي الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرًّا بالخالق سبحانه وصفاته [٤/أ]، ولكنه مُعَطلةُ حقَّ التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل ، وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: [تعطيل][٢] المصنوع عن صانعه.

الثاني : تعطيل الصانع عن كماله الثابت له.

الثالث : تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد.

ومن هذا الشرك : شرك أهل الوحدة ، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، ويسمونها العقول والنفوس.

ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة.

النزع الثاني: شرك التمثيل، وهو شرك من جعل مع الله إلهًا آخر: كالنصاري في المسيح، واليهود في عزير، والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وإسناد حوادث [الشر][٣] إلى الظلمة.

---

(١) في الأصل : "ملتزمان" والتصويب من الجواب الكافي ص ١٩٢

(٢) في الأصل : "التعطيل" والصواب ما أثبته.

(٣) تصحفت في الأصل إلى : "الشرك".

وشرك القدرية المجوسية مختصر منه، وهؤلاء أكثر مشركي العالم ، وهم طوائف جمة، منهم من يعبد أجزاءً سماوية، ومنهم من يعبد أجزاءً أرضية، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر [الآلهة] [١]، ومنهم من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة ، ومنهم من يزعم أنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل إليه وأعتني به، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى [الفوقاني ، والفوقاني] [٢]يقربه إلى من هو فوقه، حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى. فتارة تكثر الوسائط، وتارة تقل[٣] .

فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السؤال[٤].

فنقول : اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق ، وتشبيه المخلوقات بالخالق.

أما الخالق: فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه

---

(١) تصفحت في الأصل إلى "الإلهية".

(٢) تصفحت في الأصل إلى : "الفرقاني و الفرقاني" . بالراء بدل الواو . وصوبتها من "الجواب الكافي" ص ١٩٤.

(٣) من قوله : "فإن قيل : المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى" إلى هنا مستفاد من كلام ابن القيم من كتابه "الجواب الكافي" (صـ ١٩١ - ١٩٤) باختصار وتصرف

(٤) أي السؤال السالف الذكر : "وما السر في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب ؟".

بالخالق تعالى، وسوّى بين التراب ورب الأرباب، فأي فجور وذنب أعظم من هذا ؟! واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص عليه بوجهٍ من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده: عقلاً وشرعاً وفطرةً ، فمن جعل ذلك لغيره فقد [شبه الغير] [(١)] بمن لا شبيه له. ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم [٤/ ب] أخبر من كتب على نفسه الرحمة[(٢)] أنه لا يغفره أبداً.

فمن خصائص الإلهية العبودية التي لا تقوم إلا على ساق الحب والذل . فمن أعطاهما لغيره فقد شبهه بالله تعالى في خالص حقه. وقبح هذا مستقر في العقول والفطر لكن لما غيَّرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم ، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لَم ينزل به [سلطانا] [(٣)]، كما روي ذلك عن الله أعلم الخلق به وبخلقه[(٤)] عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسنا.

ومن خصائص الإلهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبهه به.

---

(١) في الأصل : "شبهه لغير" بينما جاءت العبارة في الجواب الكافي (صـ ٢٠١) : "شبه ذلك الغير" .

(٢) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خلق الله الخلق كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي» أخرجه البخاري (رقم ٣١٩٤) ومسلم (رقم ٢٧٥١) وفي رواية : «قال الله عز وجل : سبقت رحمتي غضبي».

(٣) في الأصل: «سلطان» وما أثبته هو الصواب.

(٤) فعن عِياض بن حِمَارٍ المُجاشعيِّ ، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته :«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا : كل مالٍ نحلته عبداً حلال . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم . وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. وحرمت عليهم ما أحللت لهم. وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» ...أخرجه مسلم (رقم ٢٨٦٥).

ومنها التوكيل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها الحلف باسمه ، فمن حلف بغيره فقد شبهه به.

ومنها حلق الرأس ... إلى غير ذلك.

هذا في جانب التشبيه ، وأما في جانب التشبه ، فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته ، وهو حقيق بأن يهينه اللهُ غاية الهوان ، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه.[1]

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال :«**يقول الله تعالى : العظمة إزاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني في واحد منهما عذبته**».[2]

وإذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة [لتشبهه][3] بالله في مجرد الصنعة ، فما الظن بالمتشبه بالله في الربوبية

---

(١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجناً في جهنم ، يقال له : بُولَسُ. فتعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار**» أخرجه أحمد (٢/ ١٧٩) والحميدي (٢/ ٢٧٢ – ٢٧٣ رقم ٥٩٨) . والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٥٥٧) والترمذي (رقم ٢٤٩٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح. وحسنة الألباني في صحيح الجامع (رقم ٨٠٤٠) قال المباركفوري في "تحفة الأحوذي" (٧/ ١٩٣):"والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطأهم أهل الحشر بأرجلهم من هوانهم على الله. وفي النهاية: الذر : النمل الأحمر الصغير ، واحدها ذرة" ا .هـ

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٢٠) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما بلفظ قريب هذا وأبو داود (رقم ٤٠٩٠) وابن ماجه (رقم٤١٧٤).

(٣) في الأصل: (التشبه) والتصويب من "الجواب الكافي" (صـ٢٠٢).

والألوهية ، كما قال ﷺ : «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم**»[١].

وفي [الصحيحين] [٢] عنه ﷺ أنه قال : «**يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو شعيرة**»[٣]. فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منهما.

وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضي القضاة ونحوه: وقد ثبت في [الصحيحين] [٤]عنه أنه قال:«**إن أخنع الأسماء عند الله عز رجل .. تسمّى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله**»[٥].

وفي لفظ : «**أغيظ رجل عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢١٠٥ ، ٦١٠٩) ومسلم (رقم ٢١٠٨ ، ٢١٠٩).

(٢) في الأصل : "الصحيح" والتصويب من "الجواب الكافي" (صـ٢٠٢) فالحديث عند البخاري ومسلم رحمهما الله.

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١).

(٤) في الأصل : " الصحيح " وصوابه ما أثبته ، لأن الحديث فيهما.

(٥) أخرجه البخاري (رقم ٦٢٠٥ ، ٦٢٠٦) وفي الموضع الأول بلفظ : "أخنى" وفي الموضوع الثاني " أخنع " كما هو هنا . ومسلم (رقم ٢١٤٣).

قال سفيان : يقول غيره : تفسيره شاهان شاه.

وقال أحمد بن حنبل : سألت أبا عمرو عن أخنع ؟ فقال : أوضع.

وقيل : أخنع بمعنى أفجر . يقال : خنع الرجل إلى المرأة ، والمرأة إليه ، أي دعاها إلى الفجور.

(٦) أخرجه مسلم (رقم ٢١٤٣ / ٢١).

وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ، ولذلك كان من ظن أنه إذا [٥/أ] تقرب إلى غيره بعبادته يقربه ذلك الغير إليه ، فإنه مخطئ لكونه شبهه به، وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلا له. والشرك منعه سبحانه حقه ، فهذا قبيح عقلاً وشرعاً ، ولذلك لم يُشْرَعْ ، ولم يُغْفَرْ لفاعله.

واعلم أن الذي ظن أن الرب لا يسمع له ولا يجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك أو تسأل ذلك، منه فقد ظن بالله ظن السوء ، فإنه إن ظن أنه لا يعلم ولا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه ذلك، فهذا نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه، وكفى بذلك ذنباً، وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يُلَيِّنُهُ ويُعَطِّفُهُ عليهم فقد أساء بإفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده.

وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به ، ولهذا يتوعدهم في كتابة على إساءة الظن به أعظم وعيد ، كما قال تعالى : ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦].

وقال تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦ ، ٨٧] أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره ، وظننتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضروريات عباده لمن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك.

وهذا بخلاف الملوك، فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة، لحاجتهم

وعجزهم وضعفهم وقصور [عملهم][(١)] عن إدراك حوائج المضطرين.

فأما من لا يشغله سمع عن سمع [(٢)]، وسبقت رحمته غضبه ، وكتب على نفسه الرحمة [(٣)]، فما تصنع الوسائط عنده ؟ فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن ، ومستحيل أن يشرعه لعباده ، بل ذلك ممتنع في العقول والفطر.

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه، كما قررناه ، لاسيما إذا كان ذلك المجعول عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكاً له ، كما قال تعالى : ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

---

(١) رسمت في الأصل هكذا : "علهم". وصوبتها من "الجواب الكافي" (صـ٢٠٤).

(٢) أخرج البخاري تعليقاً في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١].

(٣) قال ابن القيم في "بدائع الفوائد" (٢/ ١٦١ ، ١٦٢) : "قد أخبر سبحانه في كتابه أنه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] فهو الموجب، وهو متعلق الإيجاب الذي أوجبه، فأوجب بنفسه على نفسه، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى بما يوضحه كل الإيضاح، ويكشف حقيقته بقوله في الحديث الصحيح: «**لما قضى الله الخلق كتب بيده على نفسه في كتاب فهو عنده موضوع فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**» وفي لفظ: «**سبقت غضبي**» فتأمل كيف أكد هذا الطلب والإيجاب بذكر فعل الكتابة،وصفة اليد، ومحل الكتابة، وأنه كتاب، وذكر مستقر الكتاب، وأنه عنده فوق العرش، فهذا إيجاب مؤكد بأنواع من التأكيد، وهو إيجاب منه على نفسه» انظر بدائع التفسير (٢/ ١٤٢-١٤٣).

أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم:٢٨] أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي؟! فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظمني حق عظمتي[1].

---

(١) قال ابن القيم بعد ذلك في «الجواب الكافي» (ص٢٠٥): «ولا أفردني بما أنا منفرد به وحدي دون خلقي» أ.هـ وقال أيضًا في «مدارج السالكين» (١/ ٢٣٩): «يحتج سبحانه عليهم بما في عقولهم من قبح كون مملوك أحدهم شريكًا له، فإذا كان أحدكم يستقبح أن يكون مملوكه شريكه، ولا يرضى ذلك فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي؟ وهذا يبين أن قبح عبادة غير الله تعالي مستقر في العقول والفطر. والسمع نبه العقول وأرشدها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك...» أ. هـ

وقال في «إعلام الموقعين» (١/ ١٥٩) : « وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها، معلوم لها، فقال: هل لكم مما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم، كما يخاف الشريك شريكه. وقال ابن عباس : يخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا، والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبدُه شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟ فإذا كان هذا الحكم باطلاً في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم؛ إذ ليس عبيدكم ملكًا لكم حقيقة، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنتم وهم عبيد لي ـ فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي، مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي؟ فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول» أ.هـ

وبالجملة فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظن أنه يوصل إليه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ [٥/ ب] مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج:٧٣] الآية[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، فما قدروا القويَّ العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل.

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل

---

(١) قال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ١٨١): «وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات، والغني عن جميع المخلوقات وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات، فأعطوها صورًا وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه.

وقال - رحمه الله - في كتاب «الروح» (ص٣١٣): «فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه فمن لم يسمعه فقد عصى أمره، كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأوضح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها.. ثم قال: فهل قدَّر القويَّ العزيز حق قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها، فأقام سبحانه حجة التوحيد وبين ذلك بأعذب ألفاظ وأحسنها». أ. هـ

وقال - رحمه الله - في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٨، ٩): «فضرب لهم سبحانه مثلاً من عقولهم يدلهم على قبح عبادتهم لغيره، وأن هذا أمر مستقر قبحه وهجنته في كل عقل وإن لم يرد به الشرع وهل في العقل أنكر وأقبح من عبادة من لو اجتمعوا كلهم لم يخلقوا ذبابًا واحدًا، وإن يسلبهم الذباب شيئًا لم يقدروا على الانتصار منه واستنقاذ ما سلبهم إياه، وترك عبادة الخلاق العليم القادر على كل شيء. الذي ليس مثله شيء، أفلا تراه كيف احتج عليهم بما ركبه في العقول من حسن عبادته وحده وقبح عبادة غيره». أ.هـ

ضلالهم راجعًا إلى شيئين:

أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء.

والثاني: أنهم لم يقدروا الرب حق قدره.

فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل [كتابًا][1] بل ترك الخلق سدًى، وخلقهم عبثًا، ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعاتهم ومعاصيهم، وأخرجهما عن خلقه وقدرته، ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا: إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله، بل يعاقبه على فعله سبحانه. وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه، فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟

وقول هؤلاء أشر من قول المجوس القدرية الأذلين.

ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ورضاه ومحبته وغضبه وحكمته مطلقًا وحقيقة فعله، ولم يجعل له فعلاً اختياريًا، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه.

ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبةً وولدًا، أو جعله يحل في مخلوقاته، أو جعله عين هذا الوجود.

ولا قدره حق قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته، وجعل فيهم الملك، ووضع أولياء رسوله وأهل بيته، وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى الله عن قول الرافضة.

---

(١) رسمت في الأصل هكذا: «كتابّ» بتشديد الباء ثاني الحروف، والتصويب من كتاب «الجواب الكافي» (ص٢٠٥).

وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في حق رب العالمين: إنه أرسل ملكًا ظالمًا فادعى النبوة، وكذب على الله، ومكث زمنًا طويلاً يقول: أمرني ربي بكذا، ونهاني عن كذا. ويستبيح دماء [أنبياء][1] الله وأحبائه، والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه، ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه، ويقيم دولته على الظهور والزيادة، ويذل أعداءه أكثر من ثمانمائة عام. فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء.

ولا قدره [حق قدره][2] من زعم أنه لا يحيي الموتى، ولا يبعث من في القبور، ليبين لعباده الذين كانوا فيه يختلفون، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

وبالجملة، فهذا باب واسع، والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد [شيطانًا][3] قال تعالى: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[يس:٦٠] فما عبد أحد أحدًا من بني آدم كائنًا من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان [٦/أ]، فيستمتع العابد [بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعابد][4] في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى، وذلك غاية

(١) في الأصل: «أبناء» وكذا في المطبوعة ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٢) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته من «الجواب الكافي» (ص٢٠٨).

(٣) في الأصل:«شيطان» وما أثبته هو الصواب.

(٤) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، فأثبته من الضوء المنير على التفسير (٥/ ١٢١) نقلاً عن الجواب الكافي (ص١٩١) نسخة أخرى غير التي عندي، بينما جاء فيها: إلا وقعت عبادته للشيطان

=

رضا الشيطان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي: من إغوائهم وضلالهم. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الأنعام: ١٢٨] الآية، فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله تعالى، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه، وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه فقط، بل يستحيل على الله أن يشرع لعباده إلهًا غيره، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله[1].

واعلم أن الناس في عبادة الله والاستعانة به أقسام: أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها.

فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم، ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته، وهوالذي علمه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل، فقال:«**يا معاذ! والله إني أحبك فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة: الله أعني على ذكرك وشكرك وحسن**

=

فيستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له.

(١) من قوله:«فنقول: اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه الخالق بالمخلوق» إلى هنا مستفاد من كلام ابن قيم الجوزية من كتابه «الجواب الكافي» (صـ٢٠٠ـ ٢١٠) مع شيء من التصرف والاختصار. وبهذا ينتهي نقل الإمام المقريزي عن الجواب الكافي، ثم تبعه النقل عن ابن القيم أيضاً من كتابه الرائع الشيق «مدارج السالكين» (١/ ٩٠ـ١١٤) وتخلله فقرة من التمهيد لابن عبد البر (٧/ ٨٣).

عبادتك»[١] فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى[٢].

ويقابل هؤلاء القسم الثاني المعرضون عن عبادته والاستعانة به، فلا عبادة لهم ولا استعانة، بل إن سأله أحدهم واستعان به، فعلى حظوظه وشهواته، والله تعالى يسأله من في السموات والأرض، ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء[٣].

وأبغض خلق الله تعالى إبليس، ومع هذا أجاب سؤاله[٤]، وقضى حاجته، ومتعه بها ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده.

وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً عن الله، فليتدبر العاقل هذا، وليعلم أن إجابة الله

---

(١) أخرجه ابن حبان كما في الإحسان (٣/ ٢٣٤ رقم ٢٠١٧، ٢٠١٨) وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٤٤ـ٢٤٥) وأبو داود (٢/ ١٨٠ـ ١٨١رقم ١٥٢٢) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٦٩ رقم٧٥١) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٠ رقم ١١٠) (٢٠/ ١٢٥ رقم٢٥٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ١٠٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ١١٧) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٣) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن الصغير (١/ ١٩ رقم١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٦٩).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ٢٠):«ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علَّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده. ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم.. فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء» ا.هـ

(٣) كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠].

(٤) حيث قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥].

لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه، بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه، ويكون منعه منها حماية له وصيانة، والمعصوم من عصمه الله، والإنسان على نفسه بصيرة.

وعلامة هذا أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر إذا رآه [٦/ب] سبحانه يقضي حوائج غيره يسيء ظنه به تعالى، وقلبه محشوٌّ بذلك وهو لا يشعر، وأمارة ذلك حمله على الأقدار وعتابه في الباطن لها، ولقد كشف الله هذا المعنى غاية الكشف في قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٥ـ١٧] أي ليس كل من أعطيته ونعَّمته وخوَّلته فقد أكرمته، وما ذاك لكرامته عليّ، ولكنِ ابتلاءٌ مني وامتحانٌ له: أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه عنه وأخوله لغيره؟ وليس كل من ابتليته فضيَّقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هوانه عليّ، ولكنِ ابتلاءٌ مني وامتحانٌ: أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته أم يسخط فيكون حظه السخط(١)؟

وبالجملة، فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة

---

(١) وقال ابن القيم رحمه الله في كتاب: «التبيان في أقسام القرآن» (صـ ٢٠): «وأخبر أن توسعته على من وسّع عليه ـ وإن كان إكراماً له في الدنيا ـ فليس ذلك إكراماً على الحقيقة، ولا يدل على أنه كريم عنده، من أهل كرامته ومحبته. وأن تقتيره على من قتر عليه لا يدل على إهانته له وسقوط منزلته عنده، بل يوسع ابتلاءً وامتحاناً، ويقتر ابتلاءً وامتحاناً فيبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب» ا.هـ

الرزق وتقديره، فإنه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته، ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه، وإنما يكرم سبحانه من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته. فغاية سعادة الأبد في عبادة الله وحده والاستعانة بها عليها(١).

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، وهؤلاء نوعان:

أهل القدر القائلون بأنه سبحانه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل، فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأل إياها، وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد. قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده(٢).

النوع الثاني: من لهم عبادة وأوراد، ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وأنها بدون القدر:

---

(١) وقال ابن القيم في كتاب «الفوائد»(صـ١٥٢): «ومن علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره، وكلما زيد في عمره نقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم»ا.هـ

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (رقم ٩٢٥) واللالكائي (رقم ١٢٢٤) قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٠٠) رواه الطبراني في الأوسط وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٢٣٠٣).

كالموات الذي لا تأثير له، وكالمعدوم الذي لا وجود لـه، وأن القـدر كـالروح المحرك لها، والمُعَوَّل علـى المحـرك الأول، قلـم تنفـذ بصـائرهم مـن السـبب إلى المسبب، ومن الآلة إلى الفاعل، فقل نصيبهم من الاستعانة.

وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب اسـتعانتهم وتوكلـهم، ونصـيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم، ولو توكل العبـد علـى الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله.

فإن قيل: ما حقيقة الاستعانة عملاً؟

قلنا: هي التي يعبر عنها [٧/ أ] بالتوكل، وهـي حالـة للقلـب تنشـأ عـن معرفة الله وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع، وأنه ما شاء كان ومـا لم يشأ لم يكن، فتوجب [اعتماداً][١] عليه وتفويضاً إليه وثقة بـه، فتصـير نسـبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه، فيما ينوبه من رغبته ورهبته، فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآفات لا يلتجئ إلى غيرهما، فإن كان العبد مـع هـذا الاعتماد من أهل التقوى كانـت لـه العاقبـة الحميـدة، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢].

والقسم الرابع: من له استعانة [بلا][٢] عبادة، وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع، ولم يدر ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليـه في حظوظـه فأسـعفه بها.

---

(١) في الأصل: «اعتماد» وما أثبته هو الصواب.

(٢) في الأصل: «بل» وما أثبته هو الصواب.

وهذا لا عاقبة له، سواء كانت أموالاً أو رئاسات أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك، فذلك حظه في دنياه وآخرته.

واعلم أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله وحده إلا بأصلين.

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: إخلاص العبودية لله تعالى(١).

والناس في هذين الأصلين أربعة أقسام:

ـ أهل الإخلاص والمتابعة، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم ومنعهم وإعطاؤهم وحبهم وبغضهم، كل ذلك لله لا يريدون من العباد جزاء ولا شكوراً، عدُّوا الناس كأصحاب القبور، لا يملكون ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فإنه لا يعامل [أحداً](٢) من الخلق إلا لجهله بالله تعالى وجهله بالخلق.

والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملاً صواباً عارياً

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ١٨٩): «ودين الإسلام بني على أصلين: أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نعبده بما شرعه من الدين. وهو ما أمرت به الرسل أمر إيجاب أو أمر استحباب، فيعبد في كل زمان بما أمر في ذلك الزمان. فلما كانت شريعة التوراة محكمة كان العاملون بها مسلمين وكذلك شريعة الإنجيل. وكذلك في أول الإسلام لما كان النبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس كانت صلاته إليه من الإسلام، ولما أمر بالتوجه إلى الكعبة كانت الصلاة إليها من الإسلام، والعدول عنها إلى الصخرة خروجاً عن دين الإسلام، فكل من لم يعبد الله بعد مبعث محمد ﷺ بما شرعه الله من واجب ومستحب فليس بمسلم» ا. هـ

(٢) في الأصل: «أحد» وما أثبته هو الصواب.

منه، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت، قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] وأحسن العمل أخلصه وأصوبه، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على وفق سنة رسول الله ﷺ، وهذا هو العمل الصالح المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠] وهو العمل الحسن[1] في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] وهو الذي أمر به النبي ﷺ في قوله: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**[2]» وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلا بعداً من الله تعالى. لا يعبد إلا بأمره لا بالأهواء والآراء.

- الضرب الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة له، وهؤلاء شرار الخلق، وهم المتزينون بأعمال الخير يراءون بها الناس، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط [٧/ب] المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة، فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في كتاب «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٢): «قال الفضيل بن عياض: هو أخلص العمل وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً» ا.هـ

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٢٦٩٧) وفي كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود. ومسلم (رقم ١٧١٨).

أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُوا۟ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُوا۟ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) [آل عمران: ١٨٨].

ـ الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله، لكنها على غير متابعة الأمر: كحال العباد المنتسبين إلى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده.

والشأن أنه ليس في عبادة الله [فقط، بل في عبادة الله](٢) كما أراد الله. ومنهم من يمكث في خلواته [تاركاً](٣) للجمعة، ويرى ذلك قربة(٤)، ويرى مواصلة صوم النهار بالليل قربة(٥)، وأن صيام يوم الفطر

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ٨٤): «يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص» ا.هـ

(٢) ما بين المعكوفين سقط من الأصل، فأثبته من المطبوعة.

(٣) في الأصل: «تارك» وما أثبته هوالصواب.

(٤) كما يقع ممن ينتسب للزهد والتصوف، فيدخل عليهم الشيطان ويلبس ويوحي لهم بأن التكاليف قد سقطت عنهم، فيكتفون بأوراد وتعويذات ما أنزل الله بها من سلطان، ويتركون الجمع والجماعات، ويعدون ذلك قربة وكرامة ومنزلة عليا عند ربهم افتراءً عليه، قد ضلوا وما كانوا مهتدين.

(٥) فقد ثبت أن هذا الصوم منهي عنه، فقد أخرج البخاري (رقم ١٩٦٥) ومسلم (رقم ١١٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال. فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله! تواصل! قال رسول الله ﷺ:«**وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**» فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً. ثم رأوا الهلال. فقال:«**لو تأخر الهلال لزدتكم**» كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا.

تنبيه: جاء في نسخة علي حسن عبد الحميد: «ويرى مواصلة صوم النهار، والقيام بالليل قربة» بزيادة قوله:«والقيام» التي غيرت المعنى المراد فإن قيام الليل قربة، كما لا يخفى، ولكن المصنف ذكر

=

قربة[١]، وأمثال ذلك.

ـ الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله تعالى: كطاعات المرائي، وكرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم[٢]، ويحج [ليقال][٣]، ويقرأ ويعلّم ويؤلّف ليقال[٤]، فهذه أعمال صالحة لكنها

=

بعض العبادات المنتقدة ممن يزعم الإخلاص ولكنه يخالف السنة عن جهل كحال العباد المنتسبين إلى الزهد والفقر.

(١) فعن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما: يوم فطركم من صيامكم، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم. أخرجه البخاري (رقم ١٩٩٠) ومسلم (١١٣٧).

(٢) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» أخرجه البخاري (رقم ٢٨١٠) ومسلم (رقم ١٩٠٤).

(٣) رسمت في الأصل هكذا: «لليقال».

(٤) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن. فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم. وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت.ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه. ثم ألقي في النار**».

أخرجه مسلم (رقم ١٩٠٥).

غير مقبولة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]. فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها، والقائم بهما [هم][١] أهل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

ثم أهل مقام (إياك نعبد) لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق، وهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها، قالوا: لأنه أبعد الأشياء من هواها، وهو حقيقة التعبد، [والأجر على][٢] قدر المشقة[٣]، [وروى][٤] حديثاً ليس له أصل: «أفضل [العبادة][٥] أحمزها»[٦] أي أصعبها وأشقها، وهؤلاء هم أرباب المجاهدات والجور على النفوس، قالوا: وإنما تستقيم النفوس بذلك، إذ [طبعها][٧] الكسل والمهانة

---

(١) رسمت في الأصل هكذا:«هوى».

(٢) في الأصل: «والأجر وعلى» بزيادة «واو» والصواب حذفها.

(٣) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله! يصدر الناس بنسكين وأَصْدُرُ بنسك؟ فقيل لها:«**انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي، ثم ائتينا بمكان كذا، ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك**» أخرجه البخاري (رقم ١٧٨٧) ومسلم (رقم ١٢١١/ ١٢٦).

(٤) رسمت في الأصل هكذا: «وروىّ» ولعل المثبت هو الصواب.

(٥) في الأصل:«العباد» وما أثبته هو الصواب.

(٦) ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٢٣٣) وكذا ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٤٤٠) وقال: في حديث ابن عباس: سُئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «**أحمزها**» أي أقواها وأشدها. يقال: رجل حامز الفؤاد وحميزه: أي شديده.

(٧) في الأصل:«طبعه» وما أثبته هو الصواب.

والإخلاد إلى الراحة، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق.

الصنف الثاني: قالوا: أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد في الدنيا، والتقلل منها غاية الإمكان، واطِّراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها، ثم هؤلاء قسمان:

فعوامهم: ظنوا أن هذا غاية، فشمروا إليه وعملوا عليه، [قالوا][١]: هو أفضل من درجة العلم والعبادة، ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها.

وخواصهم: رأوا هذا [مقصوداً][٢] لغيره، وإنما مقصودهم به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والاشتغال بمراضيه، فرأوا أفضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان [٨/أ]، ثم هؤلاء قسمان:

فالعارفون: إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرقهم وأذهب جمعهم.

والمنحرفون: منهم يقولون: المقصود من القلب جمعيته[٣]، فإذا جاء ما يعرفونه عن الله لم يلتفتوا إليه، ويقولون:

يُطالبُ بالأورادِ من كان غـافلاً فكيف بِقَلْبٍ كُلُّ أوقاتِهِ وِرْدُ[٤]

ثم هؤلاء أيضاً قسمان:

---

(١) رسمت في الأصل هكذا: «قالوو».

(٢) في الأصل: «مقصود» وما أثبته هو الصواب.

(٣) في الأصل: «المقصود من القلب جميع جمعيته» بزيادة قوله: «جميع» والأولى حذفها.

(٤) ذكره ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» (١/ ١٨٠) ط دار طيبة.

منهم من يترك الواجبات والفرائض [لجمعيته][(١)].

ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل وتعلم العلم النافع لجمعيته.

والحق أن الجمعية حظ القلب، وإجابة داعي الله حق الرب، فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس في شيء.

الصنف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل، لقوله ﷺ: «**الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله**»[(٢)]. قالوا: [وعمل][(٣)] العابد قاصر على نفسه، وعمل النَّفَّاع متعد إلى الغير، فأين أحدهما من الآخر. ولهذا كان «**فضل**

---

(١) في الأصل: «ولجمعيته» بزيادة الواو والأولى حذفها.

(٢) أخرجه أبو يعلى (رقم ٣٣١٥، ٣٣٧٠، ٣٤٧٨) والبزار (رقم ١٩٤٩) والطبراني في الكبير (رقم ١٠٠٣٣) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠٢) في ترجمة علقمة بن قيس النخعي وفي (٤/ ٢٣٧) في ترجمة إبراهيم بن يزيد النخعي. وقال في الموضعين: غريب من حديث الحكم. وقال الهيثمي في المجمع(٨/ ١٩٤): «رواه أبو يعلى والبزار وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو متروك. وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (رقم ٨٩٧) وقال: «تفرد به يوسف وهو ضعيف جدًّا». وقال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٥٠٥، ٥٠٦ رقم ٤١٣٥):«قال ابن الجوزي: حديث لا يصح ـ وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩ رقم ٩٨٧٧): «يوسف بن عطية الصفار.. مجمع على ضعفه ـ ثم قال: ومن مناكيره عن ثابت عن أنس مرفوعاً: «**الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله**». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ٣٧٢ رقم ١٩٠٠).

(٣) في الأصل: «ولعمل) بزيادة حرف اللام والأولى حذف اللام.

العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[١]. وقد قال ﷺ لعليٍّ: «لأن يهدي الله بك [رجلاً][٢] واحداً خير لك من حمر النعم[٣]»، وقال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»[٤]، وقال: «إن الله وملائكته يصلون على معلمي الخير»[٥]، وقال: «إن العالم يستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر، والنملة في جحرها»[٦] قالوا: وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي تسبب فيه[٧]، والأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (رقم ٣٦٤١) والترمذي (رقم ٢٦٨٢) وابن ماجه (رقم ٢٢٣) وابن حبان كما في الموارد (رقم ٨٠) وأحمد في مسنده (١٩٦/٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٢٩٧).

(٢) في الأصل: «رجل» وما أثبته هو الصواب.

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٣٠٠٩) ومسلم (رقم ٢٤٠٦)

(٤) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٧٤).

(٥) أخرجه الترمذي (رقم ٢٦٨٥) والطبراني في الكبير (رقم ٧٩١٢) ولفظه فيهما: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**» وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٣٨).

(٦) أخرجه أبو داود (رقم ٣٦٤١) والترمذي (رقم ٢٦٨٢) وابن ماجه (رقم ٢٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٢٩٧).

(٧) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» أخرجه مسلم (رقم ١٦٣١) والترمذي (رقم ١٣٧٦) وأبو داود (رقم ٢٨٨٠).

معاشهم ومعادهم. لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع. ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس[١].

ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك.

قالوا: ومن ذلك العلم والتعلم، ونحو هذه الأمور الفاضلة.

الصنف الرابع: قالوا: أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى، واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت [و][٢] وظيفته.

فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد وإن آل [صده] إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، بل من [ترك][٣] إتمام الفرض كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف: القيام بحقه والاشتغال به[٤].

---

(١) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» أخرجه البخاري (رقم ٥٠٦٣) ومسلم (رقم ١٤٠١) واللفظ للبخاري.

(٢) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته لاستقامة الكلام.

(٣) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته من المطبوعة.

(٤) فعن أبي شريح الخزاعي قال: سمع أذناي ووعاه قلبي: ا
قيل: ما جائزته؟ قال: «**يوم وليلة، ومن كان يؤمن بالله و**
بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»أخرجه البخار

والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء[(١)].

والأفضل في وقت الأذان: ترك ما هو فيه من الأوراد، والاشتغال بإجابة المؤذن[(٢)].

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت [٨/ ب] والخروج إلى المسجد وإن بَعُدَ[(٣)].

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج: المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن[(٤)].

=

في الإيمان (ورقم ٤٨/ ١٤)في اللقطة.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة، صلاة الليل**» أخرجه مسلم (رقم ١١٦٣). وقال رسول الله ﷺ: «**أفضل الساعات جوف الليل الآخر**» صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٥٥١)

(٢) فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن**» أخرجه البخاري (رقم ٦١١) ومسلم (رقم ٣٨٣).وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**» أخرجه البخاري (رقم ٦١٤).

(٣) لقوله ﷺ: «**أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين**» أخرجه مسلم (رقم ٨٥/ ١٤٠).

(٤) لقوله ﷺ:«**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً**» حسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٠٩٦).

والأفضل في السفر: مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة، وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة.

والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت وقوف عرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر[١].

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد، وهو أفضل من الجهاد غير المتعين[٢].

والأفضل في العشر الأواخر من رمضان: لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء[٣].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٠٣).

(٢) فعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه**» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «**ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء**». أخرجه البخاري (رقم ٩٦٩).

(٣) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٢/ ٨٧): «وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها ويصير الهم كله به والخطرات كلها بذكره والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له ولا ما

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم [أو موته][(١)]: عيادته وحضور جنازته، وتشييعه، وتقديم ذلك على جمعيتك[(٢)].

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذى الناس لك: الصبر والتحمل مع خلطتك لهم، والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي يخالطهم[(٣)] ولا يصبر على أذاهم[(٤)]. وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه، وعزلتهم في الشر أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلّله فخلطتهم خير من اعتزالهم، وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد، فمتى خرج أحدهم من الفرع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته، فهو يعبد الله على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد

=

يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم».

(١) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته من المطبوعة.

(٢) فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز وعيادة المريض ...» أخرجه البخاري (رقم ١٢٣٩) ومسلم (٢٠٦٦)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» أخرجه البخاري (رقم ١٢٤٠) ومسلم (رقم ٢١٦٢).

(٣) كذا بالأصل، بينما لفظ الحديث: «الذي لا يخالط».

(٤) فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: وذكر الحديث، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٦٥١) وانظر السلسلة الصحيحة (رقم ٩٣٩).

بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى[١].

إن رأيت العلماء رأيته معهم، وكذلك في الذاكرين والمتصدقين وأرباب الجمعية ووقوف القلب على الله، فهذا هو العبد الجامع السائر إلى الله في كل طريق، والوافد إليه مع كل فريق.

واستحضر هاهنا حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقول النبي ﷺ بحضوره: «**هل منكم أحد أطعم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا. قال:«**هل منكم أحد أصبح اليوم صائما؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**هل منكم أحد عاد اليوم [مريضاً]؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**هل منكم أحد تبع جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا. الحديث[٢] هذا الحديث رُوي من طريق عبد الغني ابن أبي عقيل ثنا [يغنم][٣] بن سالم عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ في

---

(١) فانظر ـ رحمك الله ـ إلى دقة هذا الفهم، وبعد غور هذا الفقه من هذا الإمام العالم الرباني ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ حيث نقل المقريزي ـ رحمه الله ـ عنه هذه الدرر، فحريٌ بك أيها الأخ المبارك أن تضع يدك على هذا الكنز الفائق، وتنهل من هذا النهر الرائق، واحرص على أن تكون ـ رعاك الله ـ صاحب التعبد المطلق الذي ليس له غرض في تعبد بعينه، وتتبع مرضاة ربك، فإذا كانت مرضاته في كلامك فتكلم. وإذا كانت مرضاته في سكوتك فاسكت، وإذا كانت مرضاته في حركاتك فتحرك، وإذا كانت مرضاته في سكونك فاسكن. فلا يكن لك هم إلا إرضاء ربك وفعل محابه واجتناب مساخطه. وكن على ذلك حتى يأتيك اليقين.

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٠٢٨) وجاء فيه. فقال رسول الله ﷺ : «**ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة**».

(٣) في الأصل: «نعيم» والتصويب من التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٩٣) وضبطه ابن ماكولا في «الإكمال» (٧/ ٣٥٨): «أوله ياء مفتوحة معجمة باثنتين من تحتها بعدها غين معجمة ثم نون =

جماعة من أصحابه. فقال: « من صام اليوم؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «من عاد [مريضاً][(١)] اليوم؟» قال أبو بكر: أنا قال: «من شهد اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «وجبت لك الجنة». و[يغنم][(٢)] وإن تكلّم فيه لكن تابعه [سلمة][(٣)] بن وردان[(٤)].

وله أصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:«من أنفق [٩/ أ] زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام نودي من باب الريان». فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ما

=

مفتوحة، فهو يغنم بن سالم بن قنبر خادم علي رضي الله عنه». وذكره ابن حجر في «تبصير المنتبه» (٤/ ١٤٢٤) وقال: «عن أنس، تركوه» وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٤٥٩ رقم ٩٨٤٥): «أتى عن أنس بعجائب. وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال ابن حبان: كان يضع على أنس بن مالك. وقال ابن يونس: حدث عن أنس فكذب. وقال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة»ا.هـ قلت: رواية مسلم السابقة الذكر تغني عن مثل هذا.

(١) في الأصل:«مريض» وما أثبته هو الصواب.

(٢) في الأصل:«نعيم» وقد صوبتها من مصادر التخريج وكتب الرجال.

(٣) في الأصل:«سلم» والتصويب من «التقريب» (رقم ٢٥٢٧) وقال ابن حجر: ضعيف.

(٤) أخرج هذه الرواية من طريقه سلمة بن وردان أحمد في مسنده (٣/ ١١٨) ولكن القائل: أنا هو عمر. خلافاً للرواية الصحيحة التي عند مسلم. وكذا عند أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم ٥٨٥) والبزار كما في «كشف الأستار» (رقم ١٠٤٣) والبغوي في «شرح السنة» (رقم ١٦٤٧).

على من يُدعى من هذه الأبواب كلها ضرورة. فهل يُدعى أحد من هذه الأبواب كلها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[١].

هكذا رواه عن مالك[٢] موصولاً مسنداً: يحيى بن يحيى، ومعن بن عيسى؛ وعبد الله بن مبارك ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلاً، وليس هو عند القعنبي، لا مرسلاً ولا مسنداً[٣].

ومعنى قوله: «**من أنفق زوجين**» يعني شيئين من نوع واحد[٤]، نحو: درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين، وكذلك من صلى ركعتين، أو مشى في سبيل الله خطوتين أو صام يومين، ونحو ذلك.

وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أقل التكرار، وأقل [وجوه][٥] المداومة على

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٨٩٧) ومسلم (رقم ١٠٢٧).

(٢) أخرجه مالك في موطئه (٢/ ٤٦٩ رقم ٤٩) في كتاب الجهاد.

(٣) هذه الفقرة مستفادة من كلام ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٨٣) ولكن تعقبه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ١١٢) بقوله:«هذا أخرجه الدارقطني في الموطآت من طريق يحيى بن بكير موصولاً فلعله اختلف عليه فيه، وأخرجه أيضاً من طريق القعنبي فلعله حدّث به خارج الموطأ» ا.هـ

(٤) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٣١٧): «الأصل في الزوج: الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيئين مقترنين، شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان» ا.هـ وانظر «الفائق» للزمخشري (٢/ ١٣٢).

(٥) في الأصل: «وجود» وصوبتها من المطبوعة. بينما جاء فيها قوله:«وأقل وجوه المداومة والمداومة على العمل ...» بزيادة كلمة: «والمداومة» وجعلها بين معكوفين ثم ذكر في الحاشية قوله: زيادة يقتضيها السياق. قلت: والسياق لا يحتاج إليها.

العمل من أعمال البر، [لأن][(١)] الاثنين أقل الجمع.

فهذا كالغيث أين وقع نفع، صحب اللهَ بلا خلقٍ، وصحب الخلق بلا نفس، إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين، وتخلى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها، فما [أغربه][(٢)] بين الناس، وما أشد وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه [إليه][(٣)].

واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرائق، وهم في ذلك أربعة أصناف.

الصنف الأول: نفاة الحكم والتعليل، الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرف الإرادة، فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر، من غير أن يكون سبباً لسعادة في معاش ولا معاد ولا سبباً لنجاة، وإنما القيامَ بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة، كما قالوا في الخلق: لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به، ولا لحكمة تعود إليه منه، وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها، وليس في النار سبب الإحراق، ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد.

وهكذا الأمر عندهم سواء، لا فرق بين الخلق والأمر، ولا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور[(٤)]، ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا،

---

(١) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته من المطبوعة والتمهيد لابن عبد البر(٧/ ١٨٥).

(٢) في الأصل: «أعزبه» ولعل المثبت هو الأقرب لمراد المصنف.

(٣) في الأصل:«إليها» ولعل المثبت هو الصواب.

(٤) في الأصل: «المحظور والمأمور» ولكن وضع الناسخ علامتي التقديم والتأخير فوقهما.

من غير أن يقوم بالمأمور صفة تقتضي حسنه، ولا بالمنهي عنه صفة تقتضي قبحه. ولهذا الأصل لوازم وفروع كثيرة. وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها، ولا يتنعمون بها، ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك: تكاليف، أي كلفوا بها، ولو سمى مدعي محبة ملك من الملوك أوغيره ما يأمر به: تكليفاً، لم يعد محبًّا له. وأول من صدرت عنه المقالة: الجعد بن درهم[1].

الصنف الثاني: القدرية، الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه، بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته. فعندهم [٩/ ب] أن العبادات شرعت أثماناً لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره. قالوا: ولهذا يجعلها ـ سبحانه ـ عوضاً كقوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠] وفي الصحيح: **«إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها»**[2].

قالوا: وقد سمَّاها جزاءً وأجراً وثواباً، لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله أي يرجع إليه.

---

(١) ترجمه الحافظ الذهبي في ميزانه (١/ ٣٩٩ رقم ١٤٨٢) فقال: «الجعد بن درهم عداده في التابعين. مبتدع ضال. زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر. والقصة مشهورة.

(٢) جزء من حديث أبي ذر الطويل عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه «**قال: يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي ...**» أخرجه مسلم (رقم ٢٥٧٧).

قالوا: ويدل عليه الموازنة، فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى، وهاتان الطائفتان متقابلتان:

فالجبرية لم تجعل للأعمال [ارتباطاً][١] بالجزاء ألبتة، وجوَّزت أن يعذب الله من أفنى عمره في الطاعة، وينعم من أفنى عمره في مخالفته، وكلاهما سواء بالنسبة إليه، والكل راجع إلى محض المشيئة.

والقدرية أوجبت عليه سبحانه رعاية المصالح، وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال، وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منه الصدقة عليه بلا ثمن، فجعلوا تفضله سبحانه على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطاء ما يعطيه أجرة على عمله، أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل. فهؤلاء والذين لم يجعلوا[٢] للأعمال تأثيراً في الجزاء ألبتة طائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم.

وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والأعمال الصالحة من توفيق الله وفضله، وليست قدراً لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد [الأجزاء][٣] القليلة من نعمه. «فلو **عذّب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت**

(١) في الأصل: «ارتباط» وما أثبته هو الصواب.

(٢) في الأصل: «لم يجعلوا ولم يجعلو» هكذا.

(٣) في الأصل: «أجزاء».

رحمته لهم [خيراً][(١)] من أعمالهم»[(٢)].

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف :٧٢] مع قوله ﷺ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**»[(٣)] تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال، ولا تنافي بينهما، لأن توارد النفي والإثبات ليس على محل واحد. [فالمنفي][(٤)] باء الثمنية[(٥)] واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال ردًّا على القدرية المجوسية التي زعمت أن الفضل بالثواب ابتداءً متضمن تنقيصاً[(٦)].

والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببية ردًّا على القدرية الجبرية، الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها،

---

(١) في الأصل: «خير» وما أثبته هو الصواب.

(٢) جزء من حديث زيد بن ثابت أخرجه أحمد (٥/ ١٨٥، ١٨٩)وأبو داود (رقم ٤٦٩٩) وابن ماجه (رقم ٧٧) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٨٤٣) واللالكائي (رقم ١٠٩٢، ١٠٩٣) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٤) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٢٤٥) وعبد بن حميد (رقم ٢٤٧) وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٠٩).

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن يُدْخِلَ أحداً عملُهُ الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضلٍ ورحمةٍ، فسددوا وقاربوا ...**» أخرجه البخاري (رقم ٥٦٧٣) ومسلم (رقم ٢٨١٦).

(٤) في الأصل: «فالنفي» والمثبت من المطبوعة.

(٥) باء الثمنية. وهي التي يسميها النحاة: باء التعويض أو المقابلة نحو: بعتك هذا الثوب بهذه الدنانير. انظر معجم القواعد العربية (صـ١٢١). وشرح ابن عقيل (٣/ ٢٢).

(٦) كذا بالأصل، بينما في المطبوعة جاءت العبارة هكذا: «متضمنٌ لتكدير المنة».

وإنما غايتها أن تكون أمارة.

والسنة النبوية هي أن عموم قدرته[١] لا ينافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها، وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعاً من الحق، فإنها ارتكبت لأجله نوعاً من الباطل! بل [أنواعاً][٢] ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾[٣] [البقرة:٢١٣].

الصنف الثالث: الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية، فلو عُطِّلت العبادة لالتحقت بنفوس [١٠/أ] السباع والبهائم؛ فالعبادة تخرجها مشابهة للعقول، فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها. وهذا يقوله طائفتان.

إحداهما: من يقرب إلى الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار.

---

(١) كذا بالأصل، بينما في المطبوعة:«هي أن عموم مشيئة الله وقدرته».

(٢) تصحفت في الأصل إلى :«أنواعها».

(٣) كذا بالأصل، وهي التلاوة، بينما جاء في المطبوعة:«فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه». فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام. أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٧٥رقم ٤٠٤٨) والحاكم (٢/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٠١ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٣٧٢: وصحح ابن حبان من حديث أبي أمامة: أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون. وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٠٣): وهذا هو القول الصحيح في الآية.

والطائفة الثانية: من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة، فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية، ومخالفة العوائد.

ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى، فإذا حصل لها ذلك بقي متحيِّراً في حفظ أوراده والاشتغال [بالوارد][1] عنها.

ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها، وهم صنفان أيضاً:

أحدهما: من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للناموس.

والآخرون: يوجبونها حفظاً للوارد، وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها إلى حالها الأولى من البهيمية، فهذه نهاية إقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله، ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريقٍ من هذه الطرق الثلاثة أو مجموعها.

والصنف الرابع: القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسبب، فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبني على معرفة حقيقة الإلهية، ومعنى كونه سبحانه إلها، وأن العبادة موجب الإلهية وأثرها ومقتضاها، وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم، والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع، والإحسان بالرحمة، والعطاء بالجود. فعندهم من قام بمعرفتها على نحو الذي فسرناها به لغة وشرعاً، مصدراً وموردا استقام له

---

(١) في الأصل: «بالأوراد» والمثبت من المطبوعة.

معرفة حكمة العبادة وغايتها، واعلم أنها هي الغاية التي خلق له العباد، ولها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنة والنار.

وقد صرح سبحانه بذلك في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالعبادة التي ما وجدت الخلائق كلها إلا لأجلها، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] أي هملاً[١] قال الشافعي: لا يُؤمر ولا يُنهى[٢]. وقال غيره: لا يثاب ولا يعاقب ـ على الأمر وهوطلب العبادة وإرادتها وحقيقة العبادة امتثالها، ولهذا قال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا [بَٰطِلًا][٣]﴾[آل عمران: ١٩١] وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا [ٱلسَّمَٰوَٰتِ][٤] وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥:الآية]. ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية: ٢٢] وأخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه. فإذاكانت السموات والأرض إنما خلقت لهذا فهو غاية الخلق،

---

(١) عزاه السوطي في«الدر المنثور» (٨/ ٣٦٣) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٣٦٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد بزيادة فيه «باطلاً لا يؤمر ولا ينهى». وقال ابن كثير في تفسيره (ص١٣٩٨) ط دار السلام: «قال السدى: يعني لا يبعث. وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهى، والظاهر أن الآية تعم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة.

(٣) في الأصل: «باطل»،وما أثبته هوالتلاوة.

(٤) في الأصل: «السماء»، وما أثبته هو التلاوة.

فكيف يقال: لا غاية له ولا حكمة مقصودة، وأن ذلك لمجرد استئجار العمال حتى لا يتكرر عليهم الثواب بالمنة، وأن ذلك لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية[وارتياضا][١] لمخالفة العوائد.

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم أن الله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره. فأصل العبادة محبة الله تعالى [وإفراده][٢] بالمحبة فلا يحب معه سواء، وإنما يحب ما يحبه لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله [١٠/ب] وملائكته، لأن [محبتهم][٣] من تمام محبته، وليس كمحبة من اتخذ من دونه [أنداداً][٤] يحبهم كحبه.

وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة. ولهذا جعل سبحانه اتباع رسوله ﷺ [علماً][٥] عليها [وشاهداً][٦] لها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] فجعل

---

(١) في الأصل:«وارتياض» وما أثبته هو الصواب.

(٢) في الأصل:«ولإفراده» وما أثبته هوالصواب.

(٣) في الأصل:«محبته» وما أثبته هو الصواب.

(٤) في الأصل:«أنداد» وما أثبته هو الصواب.

(٥) في الأصل:« علم» وما أثبته هو الصواب.

(٦) في الأصل: «شاهد » وما أثبته هو الصواب.

اتباع رسوله [مشروطاً][١] بمحبتهم لله تعالى وشرطاً لمحبة الله لهم. ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع.

فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول ﷺ، ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما[٢]، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهو الإشراك الذي لا يغفره الله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية وكل من قدم قول غير الله على قول الله أو حكم به أو حاكم إليه فليس ممن أحبه[٣].

لكن قد يشتبه الأمر على من يقدم قول أحد وحكمه وطاعته على قوله، [ظنًّا][٤] منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قال الرسول ﷺ، فيطيعه ويحاكم إليه ويتلقى أقواله كذلك، فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك. وأما

---

(١) في الأصل:«مشروط» وما أثبته هو الصواب.

(٢) فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» أخرجه البخاري (رقم ١٥) ومسلم (رقم ٤٤).

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (صـ٢٣٦): «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ وإنما الشأن أن تُحَبّ. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ ا.هـ

(٤) في الأصل: «ظن» وما أثبته هو الصواب.

إذا قدر على الوصول إلى الرسول ﷺ وعرف أنه غير من اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور: كمسألة معينة، ولم يلتفت إلى قول الرسول ﷺ ولا إلى من هو أولى به فهذا يخاف عليه.

وكل ما يتعلل به من عدم العلم وعدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين والاحتجاج بالأشباه، والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم بمراده ﷺ، فهي كلها تعللات لا تفيد[1].

---

(١) قال ابن القيم في طريق الهجرتين (٤١٢ـ ٤١٣): «نعم لا بد في هذا من تفصيل به يزول الإشكال، وهو الفرق بين مقلد تمكن من العلم ومعرفة الحق فأعرض عنه، ومقلد لم يتمكن من ذلك بوجه، والقسمان واقعان في الوجود، فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه فهم قسمان أيضاً: أحدهما مريد للهدى مؤثر له محب له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم من يرشده، فهذا احكمه حكم أرباب الفترات، ومن لم تبلغه الدعوة. الثاني معرض لا إرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه. فالأول يقول: يارب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ولا أقد على غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي. والثاني راضٍ بما هو عليه لا يؤثر غيره عليه ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حل عجزه وقدرته وكلاهما عاجز، وهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق: فالأول كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به فعدل عنه بعد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً. والثاني كمن لم يطلبه بل مات على شركه وإن كان لو طلبه لعجز عنه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض: فتأمل هذا الموضع، والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق. وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا، فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول. هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه. هذا في أحكام الثواب والعقاب. وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر

=

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم ﷺ، إلا أن ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهو داخل تحت الوعيد، فإن استحل مع ذلك سب من خالفه وقرض عرضه ودينه بلسانه، أو انتقل من هذا إلى عقوبته أو السعي في إذاه، فهو من الظلمة المعتدين ونوّاب المفسدين.

واعلم أن العبادة أربع قواعد:

وهي التحقيق بما يحب الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح(١).

فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب العبادة [حقًّا](٢)

=

الأمر» ا.هـ

(١) قال الآجري في «كتاب الشريعة» (٢/ ٦١١): «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث: قال محمد بن الحسين: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً، دل على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين ... ثم قال:«فالأعمال ـ رحمكم الله ـ بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله بجوارحه مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمناً ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيباً لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقاً منه لإيمانه، وبالله التوفيق» ا.هـ.

(٢) في الأصل:«حق» وما أثبته هو الصواب.

هم أصحابها.

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله عن نفسه أو أخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه، وما أشبه ذلك.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك والدعاء إليه والذب [عنه][1] وتبيين البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ أمره.

وعمل القلب: كالمحبة له والتوكل عليه، والإنابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر على أوامره ونواهيه [١١/أ] وأقداره والرضا به وله وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والإخبات إليه والطمأنينة ونحو ذلك من أعمال القلوب، التي فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح.

وأما أعمال الجوارح: فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز من الخلق ونحو ذلك.

فقول العبد في صلاته: «إياك نعبد» التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها.

وقوله: «وإياك نستعين» طلب الإعانة عليها والتوفيق لها.

وقوله: «اهدنا الصراط المستقيم» متضمن للأمرين على التفضيل، وإلهام القيام بهما، وسلوك طريق السائرين إلى الله.

والله سبحانه الموفق بمنه وكرمه والحمد لله وحده. تمت[2]. [١١/ب].

---

(١) ما بين المعكوفين ليس بالأصل، فأثبته لاستقامة الكلام.

(٢) جاء في نهاية الأصل تمت هذه النسخة المباركة بعون الله وحسن توفيقه بمنه وكرمه ضحى يوم الأربعاء سنة ١٣١٠هـ بقلم العبد الفقير إلى الله عبده بن عبده مطلق الفهيد غفرالله له ولوالديه.
=

=

وصلى الله وسلم على سيد الأولين وسيد الآخرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أمين. ببلد الرس.

وذكر العلامة صديق حسن خان في كتابه القيم «الدين الخالص» جلَّ هذه الرسالة المباركة، ثم قال رحمه الله (١/ ٣٤٢): «هذا آخر كلام المقريزي رحمه الله تعالى في كتابه «تجريد التوحيد المفيد» ولله دره وعلى الله أجره، فما أبلغ هذا البيان، وما أشده هداية إلى صراط الرحمن وسبيل الإيمان وطريق الجنان. وما أجمعه لبيان الشرك وأنواعه وأقسامه وحقائقه وطرائقه! ولعلك لا تجد مثله في هذا الباب. وما أولاه ـ مع اختصاره في جامعيته ـ بأن يكتب بمداد ماء العيون الباكية على غربة الإسلام وأهله، على صفائح صدور المؤمنين بالله وباليوم الآخر» ا.هـ

قال العبد الفقير إلى رحمة مولاه صبري بن سلامة بن سلامة بن شاهين: انتهيت من تحقيق هذه الرسالة المباركة والتعليق عليها يوم السبت الموافق ١٤ من شهر صفر سنة ١٤٢٠هـ والمقابل ٢٩ من شهر مايو سنة ١٩٩٩م بمدينة الرياض راجياً الله عز وجل أن يتقبل هذه الجهود، ويبارك في مساعينا، ويخلص نياتنا، ويدخر لنا الثواب والجزاء الحسن يوم العرض عليه، إنه سبحانه جواد كريم بر رحيم، وصل الله وسلم وبارك على عبدك محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

قلت: وانتهيت من تصحيح هذه الرسالة فجر يوم الاثنين ١٥ ربيع الثاني سنة ١٤٢٦هـ الموافق ٢٣/ ٥ / ٢٠٠٥م بعد أن ظلت محبوسة عندي أكثر من ست سنوات بين الأوراق، وشاء الله عز وجل أن تخرج في هذا التوقيت، على أمل أن ينفع الله بها من شاء من عباده وألا يحرمنا أجر الدلالة على الخير والدعوة إلى صراط العزيز الحميد.

تطهير الاعتقاد
عـــن
ادران الإلحـــاد

ح دار القبس للنشر والتوزيع: ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المقريزي، أحمد بن علي
تجريد التوحيد المفيد ويليه تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد/
أحمد بن علي المقريزي؛ محمد بن إسماعيل الصنعاني؛ صبري بن سلامة شاهين-
الرياض- ١٤٢٦هـ
..ص ٢٦٤؛ .. ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٨-٢٠٢-٤٩..٩٩٦
١- التوحيد ٢- علم الكلام ٣- البدع في الإسلام أ. الصنعاني، محمد بن إسماعيل (مؤلف) ب. شاهين، صبري بن سلامة (محقق) ج. العنوان
ديوي ٢٤٠ ٤٢٥٩/ ١٤٢٦

ردمك: ٨-٢٠٢-٤٩..٩٩٦ رقم الإيداع: ١٤٢٦/٤٢٥٩

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

حقوق الطبع
محفوظة للمحقق

دار القبس
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض- ص- ب ٣٨٠٩٣٧- الرمز البريدي ١١٣٤٥
هاتف: ٤٣٥١٣٩٥ - فاكس ٢٦٨١٠٤٥

تطهير الاعتقاد
عن
أدران الإلحاد

تأليف

الإمام العالم العلامة

محمد بن إسماعيل الصنعاني

- رحمه الله - ت ١١٨٢هـ

تحقيق

صبري بن سلامة شاهين

دار القبس

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي هدانا للتوحيد، ودعانا إلى القول السديد، وأرشدنا إلى إبطال الشرك والتنديد.

والحمد لله الذي أمرنا بترك التقليد، ونبذ كل بدع جديد، وحذرنا من كل جواظ عنيد، وكل خوّان رعديد، واستعملنا لهداية التائه الشريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من انقاد لأمره، وأذعن لحكمه وشرعه في سره وجهره،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، المتصف بأجمل الصفات، والمنعوت بأفضل النعوت، فكل من زاغ عن شرعه وهديه فهو ضائع ذليل ممقوت.

أما بعد: فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [هود: ١ ـ ٤].

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ومعنى يعبدون: يوحدون، والعبادة هي التوحيد، لأن الخصومة بين الرسل وأممهم فيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] فمن دعا غير الله من ميت أو غائب أو استغاث به فهو مشرك كافر وإن لم يقصد إلا مجرد التقرب إلى الله وطلب الشفاعة عنده.

وقد دخل كثير من هذه الأمة في الشرك بالله، والتعلق على من سواه، ويسمون ذلك توسلاً وتشفعاً. وتغيير الأسماء لا اعتبار به، ولا تزول حقيقة الشيء ولا حكمه بزوال اسمه، وانتقاله في عرف الناس باسم آخر.

ولما علم الشيطان أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألهاً أخرجه في قالب آخر تقبله النفوس، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليشربن أناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها**»[1] وكذلك من زنى وسمى ما فعله نكاحاً فتغيير الأسماء لا يزيل الحقائق، وكذا من ارتكب شيئاً من الأمور الشركية فهو مشرك، وإن سمى ذلك توسلاً وتشفعاً.

يوضح ذلك ما ذكر الله في كتابه عن اليهود والنصارى بقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما أن عدي بن حاتم قدم على النبي ﷺ، وكان قد تنصر في الجاهلية، فسمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٢) وأبو داود (رقم ٣٦٨٨) وابن ماجه (رقم ٣٣٨٥، ٤٠٢٠) وابن حبان (رقم ٦٧٥٨) والطبراني في الكبير (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ رقم ٣٤١٩) والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٩٥)، (١٠/ ٢٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٤٥٣، ٥٤٥٤).

وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال: يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم! فقال ﷺ: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام، فذاك عبادتهم إياهم**»(١).

وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه الآية: إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية لم يسموا أحبارهم ورهبانهم أرباباً ولا آلهة، ولا كانوا يظنون أن فعلهم هذا معهم عبادة لهم، ولهذا قال عدي: إنهم لم يعبدوهم. وحكم الشيء تابع لحقيقته، لا لاسمه، ولا لاعتقاد فاعله، فهؤلاء كانوا يعتقدون أن طاعتهم في ذلك ليست بعبادة لهم، فلم يكن ذلك عذراً لهم، ولا مزيلاً لاسم فعلهم، ولا لحقيقته وحكمه.

يوضح ذلك: ما روى الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٠٩٥) وحسنه. وكذا حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧)، وانظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ السعدي بتحقيقي (ص٩٦، ٢٢٤).

[الأعراف: ١٣٨] **لتتبعن سنن من كان قبلكم**»[1]. فهؤلاء ما كانوا يظنون أن الذي طلبوه مما تنفيه لا إله إلا الله، فلم يكن جهلهم مغيرًا لحقيقة هذا الأمر وحكمه.

ومن كان له معرفة بما بعث الله به رسوله علم أن ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم والعكوف عند ضرائحهم والسجود لهم والنذر لهم أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأقبح وأشنع من قول الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

قال بعض المحققين رحمه الله تعالى: فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عليها اتخاذ إله مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده؟! فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟! انتهى.

ولقد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد، وسد الذرائع التي تفضي إلى الشرك والتنديد، فقال فيما صح عنه ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2] ونهى عن إيقاد السرج عليها، فقال ﷺ: «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢١٨) والترمذي (رقم ٢١٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٦٠١).

(٢) أخرجه الإمام مالك مرسلاً (١/ ١٦٨ رقم ٤٢٣) والإمام أحمد مسندًا (٢/ ٢٤٦).

والسرج»[١] ونهى أن تتخذ عيداً، ونهى عن البناء عليها، وأمر بتسويتها بالأرض، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته[٢]. ونهى عن تجصيص القبور[٣] والكتابة عليها[٤].

ولقد هيَّأ الله عز وجل لنصرة دينه والدفاع عنه والدعوة إليه أئمة أعلام على مر الدهور والأزمان، أقام الله بهم الحجة، وأوضح بهم المحجة، وأزال بهم الشبهة، وجعلهم الله غصصاً في حلوق أهل البدع والكفريات والشركيات، وصيرّهم الله قذىً في أعين أهل الجاهلات والضلالات، وكان منهم الشيخ العلامة محمد بن إسماعيل سمي البخاري رحمهم الله عز وجل فهذا الشيخ الأمير الصنعاني لم يسلم من الطعن، مثله مثل أهل الصلاح يكون عرضة لسهام أهل البدع والفجور، فلم ينج أحد من ألسنتهم، حتى رسل الله وأنبيائه، فالكل تعرض للهمز واللمز والطعن والقيل والقال، ولكن الله لم

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٣٢٣٦) والترمذي (رقم ٣٢٠) وحسنه والنسائي (٤/ ٩٤ـ ٩٥ رقم ٢٠٤١) وابن ماجه (رقم ١٥٧٥) والإمام أحمد (١/ ٢٢٩) والحاكم (١/ ٣٧٤) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٢٢٥) وصحح بلفظ: «زوّارات القبور» دون لفظ «السرج» انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد بتحقيقي (ص١٦٤ ـ ١٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٩٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (رقم ٩٧٠).

(٤) الدرر السنية (١/ ٥٦٧ ـ ٥٧٠).

يدع أولياءه وأحبابه إلا ويقيض لهم جنوداً يذبون عنهم، ويدافعون عن أعراضهم، وكما قال سبحانه: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨] فقيض الله الشيخ العلامة سليمان بن سحمان فألف رسالته القيمة: «**تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين**» دافع فيها عن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحم الله الجميع وأبان الحق لكل ذي عينين.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى:

قد وقفت سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين بعد الهجرة النبوية على منظومة وشرحها، تنسب إلى الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى أرسلها إلينا بعض الإخوان، وهي بقلم محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليماني، فلما تأملتها علمت يقيناً أنها موضوعة مكذوبة على الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، وذلك أن اعتراضه على الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بذلك اعتراض جاهل يتمعلم، يصان عنه كلام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني لعلو قدره؛ وعظم فضله وإمامته، وتمام رغبته في اتباع السنة وذم البدع وأهلها، فكيف يجوز أن ينسب إليه مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل لا يعرف الأدلة الشرعية، والأحكام المعلومة النبوية؟! وهل يقول مثل هذا الاعتراض إلا جاهل، فلو لم يكن عن الأمير محمد قول يناقض هذا لعلمنا أنه لا يقوله، لأنه يناقض ما ذكره في (**تطهير الاعتقاد**) وفي غيره من كتبه.

وقد بلغني أن الذي وضع هذا النظم وشرحه رجل من ولد ولده، وهو اللائق به لعدم معرفته ورسوخه في العلم، فاستعنت الله على رد إفكه وعدوانه وكذبه وظلمه وبهتانه، ليعلم الواقف عليها براءة الأمير محمد بن إسماعيل منها، وأنها موضوعة مكذوبة عليه.

قال شارح النظم: لما بلغت هذه الأبيات نجداً وصل إلينا بعد أعوام من بلوغها من أهل نجد رجل عالم يسمى الشيخ مربد بن أحمد اليمني، كان وصوله في شهر صفر عام ست وسبعين ومائة وألف، وأقام لدينا ثمانية أشهر، وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه، وفارقنا في عشرين من شوال سنة رجع إلى وطنه وصل من طريق الحجاز مع الحجاج، وكان من تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي وجهنا إليه الأبيات، وأخبرنا ببلوغها ولم يأت بجواب عنها، وكان قد تقدم في الوصول إلينا بعد بلوغها الشيخ الفاضل عبد الرحمن النجدي، ووصف لنا من حال ابن عبد الوهاب أشياء أنكرناها من سفك الدماء ونهب الأموال وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار إلى آخره.

والجواب: أن نقول: قد كان من المعلوم عند الخاص والعام أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد نشأ في أناس قد اندرست فيهم معالم الدين، ووقع فيهم من الشرك والبدع ما عم وطم في كثير من البلاد، إلا بقايا متمسكين بالدين يعلمهم الله تعالى، وأما الأكثرون فعاد المعروف بينهم

منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، ففتح الله بصيرة شيخ الإسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنبياءه، فعرف الناس ما في كتاب ربهم من أدلة توحيده، الذي خلقهم له وما حرم الله عليم من الشرك، الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، فقال لهم ما قاله المرسلون لأممهم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ فحجب كثيراً منهم عن قبول هذه الدعوة ما اعتادوه، ونشأوا عليه من الشرك والبدع فنصبوا العداوة لمن دعاهم إلى توحيد ربهم وطاعته، ولمن استجاب له وقبل دعوته، وأصغى إلى حجج الله وبيناته كحال من خلا من أعداء الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾.

إذا تحققت ما ذكرته لك من حال الشيخ رحمه الله تعالى ودعوته إلى توحيد الله بأنواع العبادة وترك عبادة ما سواه، وما كان عليه أهل نجد قبل دعوته على دين الله ورسوله، فاعلم أن هذا الرجل الذي يسمى مربد بن أحمد رجل من أهل حريملا، لا يعرف بعلم ولا دين، ولا كان من تلامذة الشيخ محمد رحمه الله تعالى، ولم يكن له قدم صدق في هذا الدين، ولا معرفة له، بل كان ممن شرق بهذا الدين لما أظهره الله، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وكان قد ألف ما كان عليه قومه من الشرك بالله من دعاء الأولياء والصالحين وغير ذلك، مما كان عليه أهل الجاهلية، وداخله

بعض الحقد والحسد، فأوجب له ذلك تلفيق ما موه به من الأكاذيب والترهات على الشيخ محمد رحمه الله وفر على صنعاء لما دخل أهل نجد في دين الله، ولم يكن له في نجد مساعد على هذه الأكاذيب، وكذلك الرجل الآخر المسمى بعبد الرحمن النجدي لم يكن من أهل العلم والدين، ولا يعرف له نسب ينتمي إليه، بل كان من غوامض الناس الخاملين، وقد انقرض عصر الدرعية وبعده بأعوام لم نسمع لهذين الرجلين بخبر، ولم نقف لهما على أثر، وكان قد دخل أهل اليمن في ولاية المسلمين، وعرفوا صحة هذا الدين، ولم يشتهر هذا النظم عن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله ولا هذا الشرح، ولا ثبت هذا الرجوع عنه ولا ظهر ولا اشتهر في تلك المدد المديدة والسنين العديدة، حتى جاء هذا المزور فوضع هذه المنظومة وجعل عليها هذا الشرح اللائق به، فلله الحمد وله المنة حيث كان نظامه واعتراضه بهذه المثابة، التي لم تكن على طريق الحق والإصابة، بل كان مبناه على شفا جرف هار من الأكاذيب والترهات، التي لا يصغى إليها إلا القلوب المقفلات، ولا يغتر بها إلا أهل الجهالات والضلالات ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ ومن جملة هذه الأكاذيب ما ذكره عن عبد الرحمن النجدي من الأوضاع التي لا تجدي أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يسفك الدماء، وينهب الأموال، ويتجارى على قتل النفوس ولو بالاغتيال، وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار،

وهذا كله كذب وسيأتي الجواب عن ذلك إن شاء الله تعالى.

فصـــل

وأما قوله: فبقي معنا ترد فيما نقل الشيخ عبد الرحمن النجدي حتى وصل الشيخ مربد بن أحمد، وله نباهة ووصل ببعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفير أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم، وحقق لنا أحواله إلى آخر ما قال:

فالجواب: أن يقال: قد كان من المعلوم أن هذا الرجل كما وصفنا حاله أولاً أنه لا يوثق بنقله، ولا يعول عليه، لنقصان دينه وعقله، فأما ما ذكر من تكفيره لأهل الإيمان وقتلهم ونهبهم فكذب وبهتان، وزور وعدوان، فلم يكفر رحمه الله إلا عباد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين وغيرهم، ممن أشرك بالله، وجعل له أنداداً بعد إقامة الحجة ووضوح المحجة، وبعد أن بدءوه بالقتال، فحينئذ قاتلهم وسفك دماءهم ونهب أموالهم، ومعه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وقد وافقه الأمير محمد بن إسماعيل على ذلك، وأقره عليه.

وأما قوله: وذكر لي أنه إنما عظم شأنه بوصول الأبيات التي وجهناها إليه.

فأقول: لا جرم أن هذا القول لا يقوله الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله، ولا يليق بجاله وجلالته وإمامته وورعه وزهده ،وأنه

لا يتشبع بما لم يعط، فإن هذا لا كان ولا يكون، وقد رفع الله قدر الشيخ بما علَّمه من العلم، وما حباه من العقل، ووضع له القبول في قلوب الناس قبل أن تصل إليه هذه المنظومة. وهذه المقالة من هذا الشارح تدل على قلة عقله وعدم علمه ورغبته فيما عند الله، فإنه إنما قال هذا ليترفع به ويتكثر به، وهذا ليس من شأن العلماء العالمين والأئمة المحققين.

وأما قوله: فإنه تعين نقض ما قدمناه وحل ما أبرمناه.

فالجواب: أن نقول: وهذا مما يدل على أن هذا الكلام ليس من كلام الأمير محمد بن إسماعيل، فإنه كلام متناقض ينقض آخره أوله، لأنه ذكر في آخر النظم أنه لم يرجع عما قاله أولاً وأنه هو الحق، وإنما أنكر القتل والنهب وتكفير المسلمين، وهذه الدعوى تخالف ما قاله في أول نظمه وتنافيه، فعلمنا قطعاً أن هذا النظم والشرح مكذوب موضوع عليه.

(قال) المعترض فيما زور على الإمام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي ... فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

ظننت به خيرا وقلت عسى عسى ... نجد ناصحاً يهدي الأنام ويستهدي

فقد خاب فيه الظن لا خاب نصحنا ... وما كل ظن للحقائق لي يهدي

وقد جاءنا من أرضه الشيخ مربد ... فحقق من أحواله كل ما يبدي

وقــد جــاء مــن تأليفـه برسـائل	يكفـر أهـل الأرض فيهـا علـى عمـد
ولفــق في تكفيرهــم كــل حجــة	تراهـا كبيـت العنكبـوت لـدى النقـد
تجـاري علـى إجـرا دمـا كـل مسـلم	مصـل مـزك لا يحـور عـن العهـد
وقــد جاءنــا مــن ربنــا في بــراءة	بـراءتهم مـن كـل كفـر ومـن جحـد
فإخوانــنــا سمــاهم الله فاســتمع	لقـول الإلـه الواحـد الصـمد الفـرد

والجواب: ومن الله نستمد الصواب

ألا قـل لـذي جهـل تهـور في الـرد	وأظهـر مكنونـاً مـن الغـي لا يجـدي
وفــاه بتزويــر وإفــك ومنكــر	وظلـم وعـدوان علـى العـالم المهـدي
وزوَّر نظمــاً للأمــير محمــد	وحاشاه مـن إفـك المـزور ذي الجحـد
لعمـري لقـد أخطـأت رشـدك فاتئـد	فلسـت علـى نهـج مـن الحـق مستبد
وقـد صـح أن الـنظم هـذا تقـول	تقولـه هـذا الغـبي علـى عمـد
ومـا كـان هـذا الـنظم منظـوم عـالم	تقـي نقـي بالهـدى للـورى يهـدي
ولكنــه جهــل صــريح مركــب	ومنشـئه عـن مـنهج الرشـد في بعـد
وهــا أنــا ذا أبـدي مخازيـه جهـرة	وأنقـض مـا يبديـه بـالحق والرشـد
لــتعلم أن الفــدم هــذا مــزور	وأن الـذي أبـداه مـن جهلـه المـردي
يخــالف مــا قــال الأمــير محمــد	وقـرر في (الـتطهير) تقريـر ذي نقـد

فـازرى بـه مـن حيـث يحسـب أنـه — أشـاد لـه بيتـاً رفيعـاً مـن المجـد

وحسـبك مـن هـذا ضـلالاً وفريـة — علـى البعـدا فضـلاً عـن الأب والجـد

فجـاء علـى تزويـره بـدلائل — تعـود علـى مـا قـال بـالرد والهـد

إذا صـح مـا قلنـا لـديك فقولـه — **رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي**

رجـوع عـن الحـق الـذي هـو ذاكـر — عن السلف الماضين من كـل ذي رشـد

إلى الغـي مـن كفـر وشـرك وبدعـة — إلى غـير ذا مـن كـل أفعـال ذي الطـرد

فلـو صـح هـذا وهـو لاشـك باطـل — وزور وبهتـان مـن النـاظم المبـدي

لكـان لعمـري ضـحكة وتناقضـا — لمـا قـال في منظومـه عـن ذوي المجـد

فـدونك مـا أبـدى مـن المـدح والثنـا — ومـا قـال في ذم المخـالف والضـد

(قفي واسألي عن عـالم حـل سـوحها — به يهتدي من ضل عن منهج الرشـد)

(محمـد الهـادي لسـنة أحمـد — فياحبـذا الهـادي ويـا حبـذا المهـدي)

(لقـد أنكـرت كـل الطوائـف قولـه — بـلا صـدر في الحـق منهم ولا ورد)

(ومـا كـل قـول بـالقبول مقابـل — ولا كـل قـول واجـب الطـرد والـرد)

سـوى مـا أتـى عـن ربنـا ورسـوله — فـذلك قـول جـل يـاذا عـن الـرد)

(وأمـا أقاويـل الرجـال فإنهـا — تـدور علـى قـدر الأدلـة في النقـد)

(لقـد سـرني مـا جـاءني مـن طريقـه — وكنت أرى هذه الطريقة لـي وحـدي)

(وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي)

(وينشر جهلاً ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندي)

ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد)

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود بئس ذلك من ود)

(وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد)

(وكم عقروا في سوحها من عقيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد)

(وكم طائف حول القبور مقبل ومستلم الأركان منهن باليد)

فهذا هو المعروف من حال شيخنا ودعوته للخلق بالحق والرشد

وسار مسير الشمس في كبد السما وطبق من غرب البلاد إلى الهند

ولم يبق أرض ليس فيها مجدد على أثره يقفو ويهدي ويستهدي

فقل للذي أبدى خزاية جهله وأبرز منظوماً خلياً من الرشد

أعد نظراً فيما توهمت حسنه فإنك لم تنطق بحق ولا رشد

ودعنا من القول المزور والهذا ومن إفكك الواهي ومن جهلك المردي

فقد وافق الشيخ الإمام محمد وصح له عنه خلاف الذي تبدي

وظن به خيراً وقد كان أهله وكان على حق وبالحق يستهدي

وقد جاءهم من أرضه متهوك جهول يسمى مربداً وهو ذو جحد

ففــاه بهتــان وإفــك مــزور　　وكـان عـن التحقيـق والحـق في بعـد
وقـد كـان ذا جهـل ولـيس بعـالم　　وقـد أنكـر التوحيـد للواحـد الفـرد
وظـن طريـق الرشـد غيـاً بزعمـه　　وقـد ألـف المـأفون كفرانـه المـردي
وأعمهـه نـور الهـدى حـين مـا بـدا　　وفـر إلى صـنعا وفـاه بمـا يبـدي
فمـا غـرهم مـن جهلـه وافترائـه　　زخـارف مـا أبـداه ذو الـزور والحقـد
إلى أن تـولى ذلـك العصـر وانقضـى　　وجاء أنـاس بعـدهم مـن ذوي الطـرد
فساغ لديهم زخرف القـول وارتضـوا　　من الظلم والعدوان أقوال ذي الجحـد
وقـد زعـم المـأفون أن رسـائلاً　　أتـاهم بمـا فيهـا التجـاوز للحـد
يكفـر فيهـا الشـيخ مـن كـان مسـلماً　　وفي زعمـه كـل الأنـام علـى عمـد
ولفـق في تكفيرهـم كـل حجـة　　تراهـا كبيـت العنكبـوت لـدى النقـد
وذا فريـة لا يمـتري فيـه عاقـل　　علـى أنـه زور مـن القـول مستبدي
وقـد كـان في الإعـراض سـتر لجهلـه　　ولكنـه أبـدى مخازيـه عـن قصـد
ليخـدع مأفونـاً ومـن كـان جـاهلاً　　وليس علـى نهـج مـن الحـق والرشـد
فمـا كفَّـر الشـيخ الإمـام محمـد　　جميع الورى حاشاه من قول ذي الطـرد
ولا قـال في تلـك الرسـائل كلـها　　بتكفير أهل الأرض من كل مستهدي
ولكنمـا تكفـيره لمـن اعتـدى　　وحـاد عـن التوحيـد بالجعـل للنـد

ويدعو سوى الرحمن جل جلاله ويرجوه بل يخشاه كالمنعم المسدي

وينسك للأموات بل يستغيثهم ويندب من لا يملك النفع للعبد

وذلك إشراك به لاتخاذه مع الله مألوهاً شريكاً بما يبدي

من الحب والتعظيم والخوف والرجا ومن كل مطلوب من الله بالقصد

فإن كان عباد القبور لديكمو هم المسلمين المؤمنين ذوي الرشد

وهم كل أهل الأرض والكل مسلم وما منهمو من كافر جاعل الند

وما قد تلي من آية في ضلالهم ومن سنة للمصطفى خير من يهدي

ملفقة ليست لديكم بحجة وتلك كبيت العنكبوت لدى النقد

فما فوق هذا من ضلال وفرية يجيء بها أهل العناد ذوو الطرد

(وقد أنكرت كل الطوائف قوله بلا صدر في الحق منهم ولا ورد)

كما قاله أعني الأمير محمداً وقد كان ذا علم عليماً بما يبدي

وقالوا كما قد قلتموه تحكماً وهمطا وخرطاً لا يفيد ولايجدي

(تجاري على أجرا دما كل مسلم مصل مزك لا يحول عن العهد)

ثكلتك هل هذا كلام محقق كعالم صنعا ذي الدراية والنقد

فجرتم وجرتم بالأكاذيب الهذى ووضع محالات على العالم المهدي

كقولك في منظوم مينك فرية عليه بما تبديه من جهلك المردي

(وقد جاءنا عن ربنا في براءة ... براءتهم من كل كفر ومن جحد)

(فإخواننا سماهم الله فاستمع ... لقول الإله الواحد الصمد الفرد)

أقول تأمل لا أبالك نصها ... تجد منهلاً عذباً ألذ من الشهد

ففيها البيان المستنير ضياؤه ... لمن كان ذا قلب شهيد وذا رشد

ولكن أهل الزيغ في غمراتهم ... وفي غيهم لا يرعوون لمن يهدي

وآذانهم صم عن الحق والهدى ... وأبصارهم عن رؤية الحق كالرمد

أليست لمن تابوا من الكفر والردى ... ولم يشركوا شيئاً بمعبودنا الفرد

وصلوا وزكوا واستقاموا على الهدى ... فهم أخوة في الدين من غير مارد

فأين الدليل المستفاد بأنهم ... إذا لم يتوبوا لم يكونوا ذوي جحد

فما كفَّر الشيخ الإمام محمد ... سوى من دعا الأموات من ساكن اللحد

ومن لم يتب من كفره وضلاله ... وإشراكه بالسيد الصمد الفرد

وأجرى دماهم طاعة وتقرباً ... إلى الله في قتل الملاحدة اللد

فما كل من صلى وزكى موحداً ... فأبد دليلاً غير ذا فهو لا يجدي

ودعنا من التمويه فالحق واضح ... وليس به لبس لدى كل مستهد

ألا فأرونا يا ذوي الغي والهوى ... كلاماً سوى هذي الأكاذيب مستبد

وجيئوا بتطهير اعتقاد لسيد ... إمام محق ذي الدراية والنقد

نقابل ما قلتم بما في كتابه — وما قاله في الاحتجاج على الضد
لكي تعلموا أن الأمير محمداً — بريء من المنظوم والشرح والرد
وتستيقنوا أن الأكاذيب هذه — ملفقة لفقتموها على عمد
ويعلم أهل العلم بالله أنكم — بذلتم على تلفيقها غاية الجهد
لكي تطمسوا أعلام سنة أحمد — بتزوير أفاك جهول وذي حقد
ونال ذو الإسلام عزًّا ورفعة — ومجداً بنصر الدين والكسر للضد
فلا زال تأييد الإله يمدهم — بنصر وإسعاف على كل ذي حقد
وأزكى صلاة يبهر المسك عرفها — على السيد المعصوم أفضل من يهدي
وأصحابه والآل مع كل تابع — وتابعهم والتابعين على الرشد

فصل

إذا تحققت ما قدمت لك من النظم والنثر في الرد على هذا المزور الذي وضع هذه الأكاذيب من النظم والشرح على السيد الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله، وتبين لك ما في كله من الخطأ والكذب والزور والبهتان والظلم والعدوان، وأن هذا الكلام لا يليق بجناب السيد محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله، فإنه كلام جاهل متناقض، والسيد أجل قدراً من أن يتكلم بمثل هذا الكلام البارد السامج، فعلم هذا المزور دليل النظم الأول بأبيات ذكر فيها أحكام الكفر وتقسيمه، فذكر في

القسم الذي لا يخرج عن الملة قوله:

«قلت: ومن هذا كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويقبل جدرانها، وينذر لها شيئاً من ماله، فإنه كفر عمل لا اعتقاد، فإنه مؤمن بالله وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر، لكن زين لهم الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين، ينفعون ويشفعون ويضرون، فاعتقد ذلك جهلاً كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، لكن هؤلاء يثبتون التوحيد لله، لا يجعلون الأولياء آلهة، كما قاله الكفار إنكاراً على رسول الله ﷺ لما دعاهم إلى كلمة التوحيد ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَٰحِدًا﴾ فهؤلاء جعلوا لله شركاء حقيقة، وقالوا في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فأثبتوا للأصنام شركة مع رب الأنام، وإن كانت عبادتهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له تعالى لأنه إذا كان يملكه وما ملك فليس شريكاً له تعالى، بل مملوك، فعباد الأصنام جعلوا لله أنداداً واتخذوا من دونه شركاء. وتارة يقولون: الشفعاء يقربونهم إلى الله زلفى، بخلاف جهلة المسلمين الذين يعتقدون في أوليائهم النفع والضر، فإنهم مقرون بالوحدانية وإفراده بالإلهية وصدقوا رسله، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفر عملي لا اعتقادي، فالواجب هو وعظهم، وتعريفهم جهلهم، وزجرهم ولو بالتعزير، كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي، كما قدمناه في الأبيات الأصلية، حيث قلنا: وكم هتفوا عند الشدائد باسمها وكما قلنا: وكم عقروا في سوحها من عقيرة.

وكما قلنا: وكم طائف حول القبور مقبل. إلى آخرها، فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية، فهو من الكفر العملي، فقد ثبت أن هذه الأمة تفعل أموراً من أمور الجاهلية، فهو من الكفر العملي، كحديث: «**أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري، فهذه من الكفر العملي لا يخرج بها الأمة عن الملة، بل هم مع إتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية أضافهم إلى نفسه، فقال: «**من أمتي**».

فإن قلت: الجاهلية تقول في أصنامها: إنهم يقربونا إلى الله زلفى. كما تقوله القبوريون، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما يقوله [أهل] القبور أيضاً.

قلت: لا سواء، فإن القبوريين مثبتون التوحيد لله تعالى بالإلهية، قائلون: إنه لا إله إلا هو. ولو ضربت عنقه على أن يقول: إن الولي إله مع الله لما قالها، بل عنده اعتقاد جهل أن الولي لما أطاع الله من أطاعته كان له عنده تعالى جاه، به يقبل شفاعته، ويرجو نفعه، لا أنه إله مع الله بخلاف الوثني، فإنه امتنع عن قول: لا إله إلا الله، حتى ضربت عنقه زاعماً أن وثنه إله مع الله، ويسميه ربا وإلهاً، كما قال يوسف عليه السلام ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ فسماهم أرباباً لأنهم كانوا يسمونهم بذلك، كما قال الخليل عليه السلام: (هذا ربي) في الثلاث

الآيات مستفهماً لهم مبكتاً متكلماً على أخطائهم، حيث يسمون الكواكب أرباباً، وقال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وقال قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِءَالِهَتِنَآ﴾؟ ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِءَالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ فقال إبراهيم عليه السلام مستفهماً ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾، ومنها تعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الإلهية ولا الربوبية، كما توهمه من توهم من قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما، لا أنه أقر بتوحيد الإلهية، لأنهم يجعلون أوثانهم آلهة وأربابا كما عرفت، فهذا الكفر الجاهلي كفر اعتقاد، ومن لازمه كفر العمل بخلاف من اعتقد في الأولياء النفع والضر مع توحيد الله والإيمان به وبرسله واليوم الآخر، فإنه كفر عمل. فهذا تحقيق بالغ وإيضاح لما هو الحق من غير إفراط ولا تفريط» إلى آخر كلامه.

الجواب: أن يقال: سبحان من طبع على قلوب هؤلاء الجهلة حتى قلبوا الحقائق، وارتكبوا الأحموقة من الشقاشق، فضلوا وأضلوا عباد الله. وهذا الرجل الذي بلغ هذه الأكاذيب قد جاء بها شوهاء شمطاء، لم تمتشط ولم تنتقب، وظن من سفاهة رأيه وقلة علمه وتحقيقه ومعرفته بدين الإسلام، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه ـ أن هذا هو التحقيق

البالغ، وإيضاح الحق من غير إفراط ولا تفريط، وهو كلام باطل متناقض مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، ومخالف لكلام السيد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله، مناقض له، كما سنذكره إن شاء الله قريباً، ولولاً أن هذا النظم وشرحه انتشر واشتهر أنه من كلام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، وصدَّق به من كان في قلبه زيغ، وعنده عداوة لأهل الإسلام الحنفاء لما رفعنا به رأسا، لكن تعين علينا نصر الحق وبيانه والسعي في إبطال ما موه به هذا المبهرج على خفافيش البصائر، وليعلم كل من نظر فيه براءة السيد الأمير محمد بن إسماعيل من هذا الكلام الباطل المتناقض السامج البارد بذكر ما يناقضه ويرده ويبطله مما هو الحق والصواب، الموافق لصريح السنة والكتاب من كلام السيد في «**تطهير الاعتقاد**».

ثم ذكر الشيخ سليمان بن سحمان قطعة كبيرة من كتاب «**تطهير الاعتقاد**» بمقدار ثمان صفحات من (ص ١٨٦ ـ ١٩٣) ثم قال رحمه الله: انتهى ما أردت إيراده من كلام السيد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله من كتابه «**تطهير الاعتقاد**» لتعلم أن هذا النظم والشرح الذي نسبه هذا المزور المبهرج إلى الصنعاني موضوع مكذوب عليه، لا يمتري في ذلك من له أدنى إلمام بالعلوم، ومعرفة بالمنطوق والمفهوم، فإنه كلام جاهل متناقض لم يتحقق بالحقائق الدينية، والعلوم الشرعية، ولم يكن له معرفة بما عليه سلف الأمة وأئمتها. ومن تأمل كلامه الذي نسبه إلى

الصنعاني رحمه الله، وتأمل كلام الأمير محمد بن إسماعيل في «**تطهير الاعتقاد**» الذي ذكرنا منه طرفاً علم أن بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، وتحقق أنه قد كذب عليه وافترى، وإذا أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قوله في الشرح: فعباد الأصنام جعلوا لله أنداداً، واتخذوا من دونه شركاء، وتارة يقولون: شفعاء يقربونهم إلى الله زلفى. بخلاف جهلة المسلمين الذين يعتقدون في أوليائهم النفع والضرر، فإنهم مقرون لله بالوحدانية وإفراده بالإلهية وصدقوا رسله، فالذي أتوه من تعظيم الأولياء كفر عملي لا اعتقادي، فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم وزجرهم ولو بالتعزير، كما أمرنا بحد الزاني والشارب والسارق من أهل الكفر العملي، كما صرحنا به في الأبيات الأصلية حيث قلنا:

وكم هتفوا عند الشدائد باسمها

وكما قلنا:

وكم عقروا في سوحها من عقيرة

وكما قلنا:

وكم طائف إلى آخره. فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية، وهي من الكفر العملي.

وقد ثبت أن هذه الأمة تفعل أموراً من أمور الجاهلية، فهي من الكفر العملي كحديث: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن**»

الحديث إلى قوله:

فإن قلت: الجاهلية تقول في أصنامها: إنهم يقربونهم إلى الله زلفى. كما يقوله القبوريون، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. كما يقوله القبوريون أيضاً.

قلت: لا سواء، فإن القبوريين يثبتون التوحيد لله تعالى بالإلهية قائلين: إنه لا إله إلا هو. ولو ضربت عنقه على أن يقول: إن الولي إله مع الله لما قالها، بل عنده اعتقاد جهل أن الولي لما أطاع الله من أطاعه كان له عند الله تعالى جاه به يقبل شفاعته ويرجو نفعه، لا أنه إله مع الله بخلاف الوثني، فإنه ممتنع عن قول: لا إله إلا الله حتى ضربت عنقه زاعماً أن وثنه إله مع الله، ويسميه ربًّا إلها إلى آخر كلامه، ثم تأمل ما ذكره الأمير في «**تطهير الاعتقاد**».

فإذا جمعت بين هذين الكلامين تبين لك مناقضة أحدهما للآخر، وأن كلام هذا المزور كلام جاهل، ما عرف الكفر العملي من الكفر الاعتقادي. والمقصود براءة الإمام المحقق الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني من نسبة هذا الكلام الباطل المتناقض إليه، وإلا فقد كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن كلام هذا المزور كلام باطل، متضمن لإباحة الشرك بالله وتجويزه، وأنه بمنزلة الطعن في الأنساب والفخر بالأحساب والنياحة على الميت، وغير ذلك مما لا يحكيه ويعقده

من يؤمن بالله واليوم الآخر.

فصـــل

إذا تحققت ما قدمت لك فاعلم أنه راج هذا الكلام الباطل على بعض العلماء، وظن أنه من كلام الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، فاستبشعه غاية الاستبشاع، واستنكره غاية الاستنكار، وأظن أنه ما وقف على كلامه في «**تطهير الاعتقاد**» ولو رآه وعلم به لتيقن أنه موضوع مكذوب على الصنعاني، وحيث جهل الحال قال في كتابه الذي سماه «**الدين الخالص**» في النصيب الثاني بعد ذكر كلام السيد محمد بن إسماعيل: ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما جزم السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله تعالى في شرحه للأبيات التي يقول في أولها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي

فإنه قال: إن كفر هؤلاء المعتقدين للأموات هو من الكفر العملي. فذكره إلى آخره ثم قال صديق[1] رحمه الله: وأقول هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ، بل كلام متناقض متدافع، وبيانه أنه لاشك أن الكفر ينقسم إلى كفر اعتقاد وكفر عمل، لكن دعوى أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل في غاية الفساد، فإنه قد ذكر في هذا البحث أن

---

(١) ليس هذا من كلام العلامة صديق حسن خان رحمه الله، وإنما هو مما نقله من كلام الشوكاني في رسالته الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.

كفر من اعتقد في الأولياء كفر عملي، وهذا عجيب كيف يقول: كفر من اعتقد في الأولياء، ويسمي ذلك اعتقاداً، ثم يقول: إنه من الكفر العملي؟ وهل هذا إلا التناقض البحت والتدافع الخالص؟ انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم ويقبل جدرانها، وينذر لها بشيء من ماله هو كفر عمل، فليت شعري ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة وتقبيل الجدران ونذر النذورات، هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد؟ فهذا لا يفعله إلا مجنون، أم الباعث عليه الاعتقاد في الميت، فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد، الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الأفعال؟!

ثم انظر: كيف اعترف بعد أن حكم على هذا بالكفر بأنه كفر عملي لا كفر اعتقاد بقوله: لكن زين له الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون، فاعتقد ذلك جهلاً، كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر اعتقاد: ككفر أهل الجاهلية؟ وأثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل، وليت شعري أي فائدة لكونه اعتقاد جهل، فإن طوائف الكفر بأسرها وأهل الشرك قاطبة إنما حملهم على الكفر ودفع الحق والبقاء على الباطل الاعتقاد جهلاً، وهل يقول قائل: إن اعتقادهم اعتقاد علم، حتى يكون اعتقاد الجهل عذراً لإخوانهم المعتقدين في الأموات، ثم تمم الاعتذار بقوله: لكن هؤلاء مثبتون للتوحيد إلى آخر ما ذكره، ولا يخفاك أن هذا عذر باطل، فإن إثباتهم التوحيد إن كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون في

ذلك هم واليهود والنصارى والمشركون والمنافقون. وإن كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم، ثم كرر هذا المعنى في كلامه، وجعله السبب في رفع السيف عنهم وهو باطل، فما ترتب عليه مثله باطل فلا نطول برده.

بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم، وهو أن الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده، وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور، كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ وبقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وبقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ بخلاف المعتقدين في الأموات فإنهم إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات، ونذروا لهم النذور، وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم. ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج: أنه اضطرب اضطراباً شديداً، فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم، ينادون الأموات، ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون الله قط. قال: ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله، وقد

سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء: أن كثيراً منهم إذا حدث له ولد جعل قسطاً من ماله لبعض الأموات المعتقدين، ويقول: إنه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا، فإذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال. وبالجملة فالسيد المذكور رحمه الله قد جرد النظم إلى ما ينافي ذلك من أفعال المتكلم بكلمة التوحيد، ويخالفه في بحثه السابق إلى الإقرار بالتوحيد الظاهر، واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد فقط من دون نظر إلى من اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل عليه ولا الاشتغال به، فالله سبحانه إنما ينظر إلى القلوب وما صدر من الأفعال عن اعتقاد لا إلى مجرد الألفاظ، وإلا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق.

وأما ما نقله السيد المذكور رحمه الله عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر إلى عملي واعتقادي، فهو كلام صحيح، وعليه جمهور المحققين، ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره: إن الاعتقاد في الأموات على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي. وسننقل هنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من الشرك الأكبر، كما نقله عنه السيد رحمه الله في كلامه السابق، ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم، فإن السائل كثّر الله فوائده قد طلب ذلك في سؤاله. ثم ذكر ما ذكره ابن القيم في شرح المنازل في باب التوبة.

والمقصود أن هذا الكلام الذي نقله صديق[١] عن الصنعاني إن كان ثابتاً عنه فهو باطل، وقد أجاب عنه بما هو كاف شاف. وإن لم يكن ثابتاً عنه بل كان موضوعاً مكذوباً عليه فهو المتبادر إلى الذهن، لأن هذا الكلام لا يليق بجلالة الصنعاني وعلو قدره ومعرفته وعلمه بالحقائق، كما هو معلوم مذكور في «**تطهير الاعتقاد**» وفي غيره من كتبه، ولا يليق هذا الكلام إلا بعقول هؤلاء الوضاعين القاصرين الناقصين المتهوكين الحيارى المفتونين، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومن هنا نعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الإلهية ولا الربوبية، كما توهمه من توهمه من قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما إلى آخره. فزعم هذا الجاهل أن الكفار غير مقرين بتوحيد الربوبية، وإنما أقروا بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما، وهذا عنده ليس بتوحيد الربوبية، فهل بعد هذا الجهل جهل ينتهي إليه؟ وهل سمعت أيها الموحد بأسمج من هذا الكلام؟ وقد تقدم من كلام السيد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني في «**تطهير الاعتقاد**» ما يبطل كلام

---

(١) ليس هذا النقل من كلام الشيخ صديق حسن خان صاحب «الدين الخالص» ولكنه كلام الشوكاني.

هذا المزور المفتري ويناقضه، وبذلك تعلم وتتحقق قطعاً أن هذا النظم وشرحه موضوع مكذوب عليه، والله أعلم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على أشرف المرسلين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه وجميع التابعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[١].

---

(١) تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين (ص٨٢ ـ ٢١٥).

ترجمة الإمام الصنعاني [1]

رحمه الله

١- نسبه ومولده: هو الإمام البدر محمد بن إسماعيل بن صلاح ابن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير. ولد في كحلان باليمن في ليلة الجمعة منتصف جمادي الآخرة عام (١٠٩٩هـ).

٢- طلبه للعلم ورحلاته: انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء عام (١١٠٧هـ) فأتم فيها حفظ القرآن وهو لم يتجاوز العشر سنين، ثم بدأ

---

(١) انظر في ترجمة الصنعاني: البدر الطالع للشوكاني (ص ٦٤٩)، وأبجد العلوم لصديق حسن خان (١/ ١٤٠ ـ ١٥٨) و (٣/ ١٩٢)، والتاج المكلل لصديق حسن (ص٤١٤) ومقدمه محب الدين الخطيب على كتاب العدة، ومصادر الفكر الإسلامي للحبشي، ومصلح اليمن لعبد الرحمن بعكر، ومعجم المؤلفين لكحالة (٣/ ١٣٢)، هذه الترجمة مأخوذة من مقدمة كتاب رفع الالتباس عن تنازع الوصي والعباس للإمام الصنعاني تحقيق حسان الرديعان طبع دار العاصمة بالرياض.

بالطلب فأخذ عن والده الفقه والنحو والبيان، كما أخذ عن علماء صنعاء كالعلامة زيد بن محمد بن الحسن (ت ١١٢٣هـ) والعلامة صلاح بن الحسين الأخفش (ت ١١٤٢هـ) والعلامة عبد الله بن علي الوزير (ت ١١٤٧هـ) والقاضي العلامة علي بن محمد العنسي (ت ١١٣٩)، ومن مشائخه الذين أخذ عنهم العلم صلاح بن حسين الكحلاني والشيخ عبد الخالق بن الزين المزجاجي الزبيدي، والشيخ الحسين محمد المغربي (ت ١١١٩هـ). كما أخذ عن علماء آخرين من أقطار أخرى، فعندما حج أول مرة عام (١١٢٢هـ) أخذ عن خطيب الحرم النبوي الشيخ عبد الرحمن الخطيب بن أبي الغيث. والشيخ طاهر بن إبراهيم بن حسن الكردي المدني، وفي سنة (١١٢٨هـ) قصد مدينة كحلان للقراءة على الشيخ صلاح بن حسين الكحلاني. وفي عام (١١٣٢هـ) حج حجته الثانية، واجتمع في المدينة بالشيخ أبي الحسن بن عبد الهادي السندي، وكانت بينهما مباحثات ومراسلات علمية، وألف بسبب ذلك رسالته (الأنفاس الرحمانية على الإفاضة المدنية) فيما يتعلق بخلق أفعال العباد. وفي محرم سنة (١١٣٣هـ) رجع من المدينة إلى جدة، وركب منها البحر في سفينة إلى اليمن، فانخرقت السفينة، وأشرف من فيها على الهلاك، فكتب محمد الأمير كتاباً إلى بعض أصحابه من تجار جدة يستنجدهم، وجعل الكتاب في شعر رأس أحد البحارين فسبح به في ساحل البحر إلى جدة وعند طلوع

الفجر كانت السنابيك من جدة قد أدركت السفينة المخروقة، وأنقذت الإمام محمد الأمير ومن معه، وقد وصف محمد الأمير هذه الواقعة لوالده في قصيدة بعث بها إليه، وعاد إلى صنعاء في ربيع الأول من نفس السنة، ثم حج حجته الثالثة سنة (١١٣٤هـ) واجتمع في الحجاز بالعلامة الأشبولي، والشيخ عبد الرحمن بن أسلم وغيرهما، وقرأ على العلامة محمد بن أحمد الأسدي شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، وقرأ على الشيخ المقرئ الحسن بن الحسين شاجور، والشيخ سالم بن عبد الله بن سالم البصري، ثم رجع إلى صنعاء. فكان الإمام محمد الأمير رحَّالة في الطلب والتحصيل بارعاً في العلم والتدريس والاجتهاد، فاق أقرانه وأصبح نابغة أوانه وإمام زمانه، يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم، وقد جرى له من المحن والخطوب ما الله به عليم، فقد كان محلاً لوشي الحساد، وحقد أهل الزيغ والفساد، ومع ذلك فقد كان حكيماً محنكاً حليماً. كان يدرس في صنعاء بعد العصر وبين العشائين كل يوم يحضره العلماء والعامة، فكان يشرح كتاب «ضوء النهار» [1] للشيخ الحسن بن أحمد الجلاَّل، وقد شرع في تأليف حاشيته. «منحة الغفار على ضوء

---

(١) هو شرح لكتاب الأزهار في فقه الزيدية للإمام المهدي أحمد بن يحيى، وقد اختصره المهدي في كتاب التذكرة الفاخرة للحسن بن محمد بن الحسن بن أبي السعود النحوي، وهو من عمدة كتب فقه الزيدية. وضوء النهار مطبوع في أربع مجلدات.

النهار»، كما كان يدرس الترغيب والترهيب للحافظ المنذري بعد العصر، وكان دائم الوعظ والخطابة في جامع صنعاء، وكان يبلغ في النصيحة ويبين الأحكام في كل ما يحدث من قضايا وفتن في زمانه، كما خلَّف رحمه الله تلامذة منهم أبناءه عبد الله وإبراهيم ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد بن إسحاق وكان من أبرز تلامذته ومنهم محمد بن أحمد بن إسحاق وغيرهم كثير.

٣- **مواقف من المحن في حياته:** لقد كان للإمام البدر محمد الأمير رحمه الله محن وخطوب وابتلاءات، كما هي حال الأئمة والأنبياء من قبل عندما يصدعون بالحق ويعتصمون بالكتاب والسنة، ويخالفون أهل البدع والزيغ والضلالات، لا يخافون من قول الحق ولو عند سلطان جائر، فقد كان الإمام محمد الأمير يعيش بين متعصبة جهال في عهد المتوكل على الله باليمن ممن ينتمون إلى مذهب أهل البيت من الزيدية وغيرهم، فعندما كان الإمام الصنعاني يشرح كتاب «الضوء النهار» سعى الحساد إلى الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين بأن هذا الكتاب وشارحه على غير مذهب أهل البيت، وأن «ضوء النهار» قد أحرقه الإمام القاسم بن محمد، وهو من أجداده الذين حكموا اليمن، فأرسل المتوكل إلى الإمام الصنعاني يعاتبه في ذلك، فقال لرسول الإمام المتوكل: أبلغ الإمام أن هذا الكتاب لم يكن مؤلفه موجوداً في دولة الإمام القاسم بن محمد، بعدها أشار جماعة للصنعاني أن يخرج

على الإمام المتوكل مع من خرجوا عليه من أبناء عمومة المتوكل من آل إسحاق، فامتنع الإمام الصنعاني. بعدها خرج إلى كحلان فتواترت الأخبار بأن الإمام الصنعاني خرج عليه مع آل إسحاق فأرسل إليه المتوكل عن طريق عامله في كحلان، فطلبه فوجده ليلاً فأطلعه على ما وصل إليه، وقال له: إني أخاف عليك من المتوكل، اذهب سرًّا إلى آل إسحاق، وأنا أجيب الإمام: إني بحثت عنك فلم أجدك. فامتنع الصنعاني وعزم على إجابة المتوكل، فسار إلى صنعاء فدخل على المتوكل، فقال له المتوكل: ما حملك على القصيدة التي نظمتها أنت وبنو إسحاق، وهي قصيدة تحث الناس على الخروج على الإمام، وذكر منكرات العصر التي انتشرت في عهد المتوكل، ومطلعها:

سماعاً عباد الله أهل البصائر لقول له ينفي منام النواظر

فقال الصنعاني: هل وجدتها بخطي أو قامت لك شهادة بأنها لي؟ أو كُذِبَ عليك كما قيل لك: إني مع بني إسحاق. وتبين لك أني في كحلان. فرضي بعدها المتوكل، وأذن له في دخول صنعاء، فعاد إلى التدريس والوعظ والخطابة.

إخماده لنار الفتنة بين الأئمة: وقد كان للصنعاني رحمه الله الفضل العظيم في إصلاح الخلاف بين الأئمة الذين يخرجون على المتوكل، فقد

أصلح بين محمد بن إسحاق والمتوكل، كما كان له فضل عظيم وموقف حكيم عندما خرج على المتوكل ابنه المنصور حسين، فتلافت هذه الفتنة وانطفأت بسببه، كما أصلح بين ابني المتوكل أحمد والمنصور. وبعد موت المتوكل خشي الصنعاني اضطرام الفتنة على الولاية، فخرج إلى مكة سنة ١١٣٩هـ وهي حجته الرابعة، فاجتمع هناك بالعلماء والمحققين، وأخذ عنهم وأخذوا عنه، وبعد ذلك مكث في الطائف مدة، ثم بلغه سنة ١١٤٠هـ أن الإمامة تمت لأصدقائه السادة آل إسحاق، وأن ابن المتوكل المنصور قد بايع لهم وولي صنعاء، فعاد بعد ذلك إلى اليمن، وبلغه أن الإمامة استقرت للناصر محمد بن إسحاق، فاستقر بشهارة وامتنع عن دخول صنعاء لوجود ابن المتوكل فيها، فلازم في شهارة التدريس والتأليف والفتوى، فقد ألف فيها كتاب «التنوير شرح الجامع الصغير» في أربع مجلدات، وكان الإمام الصنعاني يخشى انقلاب المنصور بن المتوكل عليه لصلته بآل إسحاق، وكان المنصور يحرص على مجيء الصنعاني إلى صنعاء، فطلبه وأمّنه فيها ومع ذلك لم تطمئن نفس الصنعاني حتى جاءت سنة ١١٤٨هـ بعدها عاد على صنعاء، وعرض عليه المنصور بعض المناصب، فامتنع عنها وتفرغ للتدريس والخطابة، وفيها جرى له من مضايقة حساده، كما جرى له في عهد المتوكل بأنه انحرف عن مذهب أهل البيت، وبعثوا برسالتين إلى المنصور يبلغونه بذلك، فغضب المنصور فاستدعاه لهذا الأمر، فقرأ الصنعاني الرسالتين، ونقض ما فيها أمام

المنصور، فأمره أن يرد عليهم، فألف رسالته التي سماها «السهم الصائب للقول الكاذب» وتناقلها العلماء. وكان من شعره رحمه الله في غربته بين هؤلاء الجهال:

غريب بين إخواني وأهلي وفي وطني وعند أبي وأمي
دعوت إلى طريقة خير هاد فهل ناديت في آذان صم
لبست في التصبر خير درع ولقيت السهام مجن حلمي

ومن فضائل الصنعاني على تلك البلاد أنه كان السبب في تدمير بعض الأصنام وإزالتها من تلك البلاد، فقد كانت في صنعاء أصنام لطائفة البانيان من وثني الهند في «ثغر المخا»، فناصح الصنعاني الإمام المهدي العباس أن يزيلها فأزالها، وكانت لهذه الأصنام أموال ترصد لها وللعامل عليها تبلغ خمسين ألف ريال. كما أن الصنعاني كان دائم المناصحة للأئمة، مما جعل له مقاماً عظيماً عندهم، فقد ناصح المهدي أن يأمر بإخراج أناس من عماله إلى الناس أوقات الصلاة، ليأمروهم ويذكروهم، كما ناصحه بإرسال معلمين على القرى والهجر، ليعلمون الناس الصلاة وبعض الأحكام التي يجهلونها.

ومع هذه الفضائل العظيمة والمناقب الجمة له، إلا أن حساده مازالوا يكيدون له، ولكن مكانته عند الأئمة هي التي جعلت هؤلاء الحساد لا تقوم لهم قائمة، ففي عام ١١٦٦هـ كان الجامع يضيق بالناس أثناء خطبة الجمعة مما حدى بالبعض الصلاة بسطح الجامع، ولاحظ الإمام محمد

الأمير هذا الأمر، فأصبح يختصر الخطبة، كما أصبح لا يذكر بعض الأئمة في الدعاء مما اعتاد الخطباء ذكرهم في ذلك الوقت: كالإمام القاسم وغيره، فنزغ الشيطان قلوب بعض الجهال، ووسوس لهم وقاموا لذلك وقعدوا، وأكبروا هذا الأمر وتجمهروا يريدون قتله، وكان على رأسهم المولى محمد بن علي بن الحسين بن المهدي من رؤساء الدولة، ومن آل الإمام إلا أنه جاهل، وكذا شايعه المولي علي بن عبد الله بن القاسم، وكان الأخير يدعي العلم، فلما علم المولى محمد بن إسحاق وآل إسحاق أوقفوهم ووبخوهم، ومع ذلك لم تنطفئ هذه الفتنة، إلا أن الإمام المهدي عرَّفهم أن الأمر هين، وأنه سيكلم الصنعاني بهذا الأمر، وأن لا يعود إلى ترك ذكرهم في الخطبة، فلم يقنعهم ذلك، وأصروا على حبس الصنعاني وإلا سيقتل، فرأى الإمام المهدي هيجان العامة وطغيان الجهال، فحبسه في دار تابعة له، ثم لما هدأت الفتنة أمر المهدي بحبس رؤساء الفتنة، فبقي علي بن عبد الله في السجن خمسة عشر عاماً، وحبس محمد بن علي بن الحسين إلى أن توفي في السجن عام ١١٧٣هـ، وأنشد الصنعاني أبياتاً وهو في السجن بعد سنة ١١٦٦هـ وأرسلها إلى بعض العلماء:

وما السجن إلا منحة عند محنة	أشابه فيه جدي القاسم الرسي
ويوسف المختار في شعب عامر	وكم فاضل قد صار في حضرة القدس
وما حبسوني أنني جئت منكراً	ولا أنني نافست في الملك والكرسي
ولكنني أحييت سنة أحمد	وأبرزتها شمساً على العُرْب والفُرْس

فقال أولو الجهل المركب إنني أردت خلاف الآل عمداً بلا لبس
فإن أصول الآل تأبى بأنني أقلّد الأعمى يقاد بلا حس
إذا لم يكن للاجتهاد مزية من الجهل يا ويح العلوم من البخس

وفي عام ١١٦٦هـ حضر من القسطنطينية الشيخ أحمد بن صالح الرومي أحد علمائها قاصداً محمد الأمير، ليحل له بعض المشكلات التي عرضت عليه، ووصل أيضاً إليه الشيخ لطف الرومي وقرأ عليه في البخاري، كما جاءه علماء زبيد كالشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي وهو من شيوخ الصنعاني، فأخذ عنه في الأمهات الست في الحديث.

٤- مؤلفات الصنعاني:

لقد بلغت مؤلفات الصنعاني مائة مؤلف منها الكبير ومنها رسائل صغيرة، وإليك بعض هذه المؤلفات مع بيان حالها من الطبع والتحقيق ومكان وجود غير المطبوع منها على قدر الاستطاعة:

١- إجابة السائل شرح بغية الآمل. وهو شرح في مجلد على منظومة الكافل في أصول الفقه لابن مهران، منه نسخة بمكتبة المؤرخ محمد بن يحيى زبارة (ت ١٣٨٠هـ) في صنعاء.

٢- الأجوبة المرضية على الأسئلة الصعدية.

٣- الإحراز لما في أساس البلاغة للزمخشري من كناية وإيجاز. ألفه بمكة.

٤- الإدراك لضعف أدلة تحريم التنباك. منها نسخة في مكتبة عبد الله الحبشي بقلم المؤلف.

٥- الأدلة الجلية في تحريم نظر الأجنبية. منها نسخة في مكتبة جامع الغربية بصنعاء.

٦- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد. طبع بتحقيق صلاح الدين مقبول أحمد بالدار السلفية وطبع ضمن الرسائل المنيرية (ج٤/ ص١ ـ ٤٧).

٧- إزالة التهمة ببيان ما يجوز من مخالطة الظلمة. ذكرها عقيل ابن محمد بن زيد المقطري، وأنه حققها.

٨- إسبال المطر بشرح قصب السكر نظم نخبة الفكر. منها نسخة بخط المؤلف في مكتبة الحبشي، وأخرى في جامعة الملك سعود بالرياض، طبعت طبع حجري بالهند إشراف محمد نذير الأثري، وشرحها عبد الكريم مراد الأثري نشرته دار الثقافة بمكة سنة ١٣٨٠هـ.

٩- استيفاء الأقوال في تحريم الإسبال على الرجال. طبع بتحقيق عقيل المقطري بدار القدس في صنعاء.

١٠-الإصابة في الدعوات المجابة. منها نسخة في المكتبة الغربية بصنعاء.

١١- إقامة البرهان على جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن.

١٢- إقامة الدليل على ضعف أدلة التكفير بالتأويل. منها نسخة في مكتبة جامع الغربية.

١٣- الاقتباس لمعرفة الحق من أنواع القياس. طبع بتحقيق عبدالله بن محمد الحاشدي بمكتبة السوادي بجدة.

١٤- إقناع الباحث بإقامة الأدلة بصحة الوصية للوارث.

١٥- الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات. طبع بتحقيق مجموعة من طلاب العلم بإشراف حسين العواجي سنة ١٤١٧هـ.

١٦- الأنفاس الرحمانية على الإفاضة المدنية. وهي رسالة إلى الشيخ أبي الحسن السندي فيما يتعلق بخلق أفعال العباد. منها نسخة في مكتبة جامع الغربية.

١٧- الأنوار شرح إيثار الحق على الخلق. والإيثار للشيخ محمد ابن إبراهيم الوزير.

١٨- الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن. منها نسخة في المكتبة الغربية نسخت عام ١١٧٥هـ.

١٩- إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة. شرح حديث «**كل مولود يولد على الفطرة**» طبع بتحقيق محمد صبحي حسن حلاق بدار ابن

حزم، وينقل عن ابنه إبراهيم أنه هو أول مؤلفاته، وتوجد له نسخ خطية في المكتبة الغربية، وفي مكتبة حجة باليمن.

٢٠- بحث في إيقاع الطلاق بلفظ التحريم. طبع بتحقيق عقيل المقطري بدار القدس بصنعاء.

٢١- بحوث في مسألة العمارة في بيوت الأوقاف. علق بها على رسالة للأهدل بعنوان «القول السديد على من قال بجواز البناء في باطن جامع زبيد».

٢٢- بذل الموجود في حكم الأعمار وامرأة المفقود. منها نسخة في المكتبة الغربية.

٢٣- تأنيس الغريب نظم بشري الكئيب بلقاء الحبيب. منظومة على بشرى الكئيب للسيوطي وهي أول نظم له كما قاله في أول كتابه، طبعت مع جمع الشتيت في مكة ١٣٨١هـ بدار الثقافة، وطبعت مرة أخرى سنة ١٣٩٨هـ بكراتشي.

٢٤- التحبير شرح تيسير الوصول إلى جامع الأصول. لم يكمل، ومنها نسخة بخط المؤلف في المكتبة الغربية.

٢٥- تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد. طبع بتحقيق علي محمد سنان بدار الكتاب الإسلامي بالمدينة. وطبع بالقاهرة أيضاً سنة ١٣٧٣هـ.

٢٦- تفسير فتح الرحمن. منها نسخة بخط المؤلف في المكتبة الغربية.

٢٧- التنوير شرح الجامع الصغير. وهو شرح لجامع السيوطي، ألفه بمدينة شهارة قبل اطلاعه على شرح المناوي، ومنها نسخة في مكتبة الحبشي بخط المؤلف في ثلاث مجلدات، وأخرى في المكتبة الغربية.

٢٨- توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار في علوم الحديث والآثار. والتنقيح للإمام محمد بن إبراهيم الوزير، وقد حقق فيه شروط أئمة الحديث. طبع بتحقيق ونشر محمد محيي الدين عبد الحميد بالقاهرة عام ١٣٦٦هـ في مجلدين.

٢٩- الثمان المسائل المرضية. طبع في جدة في ١٦ صفحة.

٣٠- ثمرات النظر في علم الأثر. وهي حاشية على نخبة الفكر. وذكر عقيل بن محمد المقطري أنه شرع في تحقيقها ومنها نسخة في مكتبة الحبشي وأخرى في المكتبة الغربية وأخرى في المكتبة التيمورية برقم (٣٨١).

٣١- جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت. وهي للسيوطي، تكلم فيها عن عالم البرزخ والمعاد طبع بمكة بدار الثقافة بإشراف حسن محمد مشاط سنة ١٣٨١هـ.

٣٢- حاشية على شرح الرضى على الكافية. وكان يؤلفها رحمه الله

عند تلقيه الدروس من الشيخ عبد الله بن علي الوزير، وقد بلغ بها إلى بحث المنادى، ومنها نسخة بمكتبة حفيد الصنعاني محمد بن عبد الخالق الأمير بصنعاء.

٣٣- حديث افتراق أمتي على نيف وسبعين فرقة. طبع بتحقيق سعد السعدان وتقديم الشيخ عبد الرحمن المحمود بدار العاصمة بالرياض.

٣٤- الحراسة في مخالفة المشروع من السياسة. منها نسخة بمكتبة الآصفية بالهند رقم (١٣٨) علم الكلام، نسخت عام ١١٧٦هـ.

٣٥- حل الأقفال عما في رسالة الزكاة للجلال من الإشكال. ذكره الحبشي في مصادره بـ (حل العقال)، ومنها نسخة في المكتبة الغربية، وذكر المقطري أن عنده نسخة منها.

٣٦- الدراية شرح العناية. في أصول الفقه، العناية منظومة لعبد الله ابن الوزير وقد بلغ بها إلى بحث الإجماع، وهي على كتاب هداية السول، وقد طبع معها بصنعاء.

٣٧- ديوان شعر. للصنعاني جمعه له ابنه عبد الله ورتبه على الحروف وهو في ٤٦٨ صفحة، وغالبه في المباحث العلمية والتوجع من أبناء عصره والرد عليهم. طبع بمطبعة المدني ١٣٨٤هـ.

٣٨- رسالة جواب لسؤال: هل التحدي بالقرآن مستمر.

٣٩- رسالة شريفة في: الأعداد للحروف وعلم الأوفاق وكم الباقي

من عمر الدنيا وجواب رسالة عن المهدي المنتظر. طبعت بتحقيق مجاهد حسن المطحني وتقديم الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله بدار القدس بصنعاء.

٤٠- رسالة في تحريم قبض السياسات. منها نسخة في مكتبة الحبشي بحضرموت.

٤١- رسالة في ربا النسيئة. طبعت بتحقيق عقيل المقطري بدار القدس.

٤٢- رسالة في صحة صلاة المفترض خلف المتنفل. طبعت بتحقيق عقيل المقطري.

٤٣- رسالة في المفاضلة بين الصحاح والقاموس. وأبان فيها أن الصحاح والقاموس يشتركان في الجمع بين الحقيقة والمجاز.

٤٤- رسالة نفيسة. ألفها للمهدي العباس في وجوب إزالة أصنام لوثني الهند كانت في ثغر المخا بصنعاء.

٤٥- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار. طبع بتحقيق وتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي عام ١٤٠٥هـ، ومنه نسخة في المكتبة الغربية.

٤٦- رفع الالتباس عن تنازع الوصي والعباس.

٤٧- الروض النضير في خطب السيد محمد الأمير. جمعه ابنه إبراهيم

ومنه نسخة في المكتبة الغربية.

٤٨- الروضة الندية شرح التحفة العلوية. والتحفة منظومة في مناقب الإمام علي. طبع بالهند سنة ١٣٢٢هـ وبصنعاء سنة ١٣٧١هـ في ٣٥٢ صفحة.

٤٩- سبل السلام شرح بلوغ المرام. وقد اختصره من شرح شيخه القاضي الحسين بن محمد المغربي (ت ١١١٩هـ) وأضاف في السبل فوائد لم تذكر في البدر التمام، وقد طبع طبعات كثيرة، أقدمها طبعة الهند سنة ١٣٠٢هـ.

٥٠- السهم الصائب في نحر القول الكاذب. ألفها عام ١١٥٣هـ.

٥١- السيف الباتر في يمين الصابر الشاكر. اختصره من (عدة الصابرين) لابن القيم، ومنه نسخة في المكتبة الغربية، وذكره المقطري أن عنده صورة منها.

٥٢- العدة. وهي حاشية على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، وشرع بها وهو في مكة عام ١١٣٤هـ عند قراءته شرح ابن دقيق العيد على العلامة محمد بن أحمد الأسدي، وقد طبعتها المطبعة السلفية سنة ١٣٧٩هـ بتحقيق علي الهندي وتقديم محب الدين الخطيب.

٥٣- فتح الخالق شرح ممادح رب الخلائق. في مجلدين والأصل للشيخ

محمد بن إبراهيم الوزير، ومنها نسخة في مكتبة أحمد الوادعي باليمن.

٥٤- قصب السكر نظم نخبة الفكر.

٥٥- القصيدة الدالية. وهي قصيدة طويلة مدح فيها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب طبعت في المكتب الإسلامي.

٥٦- القول المجتبى في تحقيق ما يحرم من الربا. طبع بتحقيق عقيل ابن محمد المقطري.

٥٧- كشف الأستار على البحر الزخار. وهي قولات جامعة من الطهارة إلى الزكاة.

٥٨- اللمعة في تحقيق شرائط الجمعة. طبع بتحقيق عقيل المقطري ومنه نسخة في المكتبة الغربية.

٥٩- مثير الغرام إلى طيبة والبلد الحرام. طبع بتحقيق محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم.

٦٠- محو الحوبة بشرح أبيات التوبة. منها نسخة بخط المؤلف بمكتبة السيد محمد المنصور.

٦١- المسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة في سنن الصلاة والزيدية، منها نسخة في المكتبة الغربية وعند عقيل المقطري.

٦٢- المسألة الثاقبة الأنظار في تصحيح أدلة فسخ امرأة المعسر

بالإعسار. منها نسخة في المكتبة الغربية.

٦٣- مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن.

٦٤- مفاخرة أدبية بين العنب والتمر. طبعت مع ديوانه.

٦٥- مفاخرة بين الريحان والورد. طبعت مع ديوانه.

٦٦- مقامة تحكي أحوال الكتب في اليمن. طبعت مع ديوانه.

٦٧- منحة الغفار على ضوء النهار شرح الأزهار. مطبوع، ومنه نسخة في المكتبة الغربية نسخت عام ١١٨٠هـ وأخرى مصورة في مكتبة دار الآثار والكتب باليمن برقم (٢٢٤٩).

٦٨- منسك في الحج. ومعه قصيدة له في المناسك وعدد أبياتها ٤٨٣ بيتاً وطبع بالقاهرة سنة ١٣٤٨هـ.

٦٩- نصرة المعبود في الرد على أهل وحدة الوجود.

٧٠- نظم بلوغ المرام. طبع في عدن سنة ١٣٦٦هـ.

٧١- نهاية التحرير في الرد على قولهم ليس في مختلف فيه نكير.

٧٢- هداية ذوي الألباب إلى كيفية الحكم بين أهل الكتاب. منها نسخة بخط المؤلف عند حفيده محمد عبد الخالق الأمير.

٧٣- الوفاء بأدلة حل بيع النساء. منها نسخة في المكتبة الغربية.

٧٤- اليواقيت في المواقيت. طبع بتحقيق تركي بن عبد الله الوادعي

وتقديم الشيخ مقبل بن هادي الوادعي بدار الحرمين بالقاهرة.

وهناك مؤلفات أخرى له مخطوطة في مكتبة دار الآثار والكتب، ومخطوطات مكتبة الأوقاف، وفي حجة وشبام وصنعاء، وفي المكتبات العامة والخاصة.

٥ ـ آخر حياته: في آخر حياة الصنعاني حدثت فتنة من أهل برط من بلاد أرحب الهمدانيين بعد أن دخل عليهم عبد الله بن يوسف بن المتوكل على الله، وألقى في أذهان العوام والجهال منهم أنه إنما خرج من صنعاء منكراً لما حدث من تغيير مذهب أهل البيت، وأن الإمام محمد الأمير هو السبب والساعي لذلك، فهاج العوام لذلك ولمطامع دنيوية أخرى، وقد خاطب أهل برط العلماء والأعيان في مدينة «حوت» وأهل «حصن كوكبان»، ثم إلى علماء وأعيان مدينة «ذمار» بشأن الصنعاني وما غير فيه مذهب الأئمة الأطهار، ونحو هذه الترهات وطلبوا منهم القيام معهم على الدولة، فأجاب أهل هذه المدن أنهم على ما هو عليه الإمام محمد الأمير في مذهبه وأقواله واجتهاداته، فأنشد الحسين بن مهدي النعمي وكان في صنعاء أبياتاً يقول فيها:

وقلتم بأن ابن الأمير محمداً ... يخالف أهل البيت من غير مسعد

وليس اختلاف الآل في المعلم ضائراً ... ولا هو عيب عند كل موحِّد

أجاب عليكم أهل حوت وبينوا ... لكم كل بحث بالدليل المؤكد

ومـن كوكبـان قـد أتـتكم نصـائح　　　وفيهـا بـراهين بقـول مجـوّد
ومن سـفح صـنعاء مـن إمـام معـارف　　　ومـن بـاذل نصـح العبـاد ورشـد
كـذا مـن ذمـار قـد أتـتكم رسـائل　　　ولـيس يـرد الحـق مـن كـان يهتـدي

وانتهت هذه الفتنة التي طالما تهيج ثم تهدأ، وعلم أهل برط أنهم خدعوا من عبد الله بن يوسف بن المتوكل وعادوا إلى أوطانهم واندحر رؤوس الفتنة. وقبيل وفاته بشهر أرسل الإمام محمد الأمير مع ابنه إبراهيم قصيدة إلى أشراف مكة وولاة أمورها يناصحهم عما يصدر من عبيدهم من النهب والسلب، ولعلها من آخر أشعاره

وقد دفن بالحوطة في الجنوب الغربي من منارة مسجد المدرسة المنسوبة للإمام شرف الدين بأعلى صنعاء، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة وأعلى درجاته في الصالحين.

وقد رثاه جماعة من أهل العلم والفضل نثراً، وشعراً، فمـن ذلـك مـا قاله تلميذه الشيخ عبد الله بن أحمد بن إسحاق:

أحقاً قضى شيخ الشـيوخ محمـد　　　وعطل مـن بـدر الكمـال منازلـه
هو الشمس عم البر والبحر نورهـا　　　وما ضر ذاك النور من هو جاهله
فمـن لكتـاب الله والسـنن الـتي　　　رأى نشرها فرضاً فعمـت نوافلـه

عملي في الرسالة:

لقد وقفت على ثلاث نسخ خطية لكتاب «**تطهير الاعتقاد**» الأولى من المكتبة السعودية برقم (٣٠٧/ ٨٦) وأشرت إليها بحرف (أ) وهي الآن ضمن محفوظات مكتبة الملك فهد الوطنية. والثانية من جامعة الملك سعود برقم (١٦٣٨/ ٨) وأشرت إليها بحرف (س) والثالثة من دار الكتب المصرية برقم (٩٨) وأشرت إليها بحرف (ق).

وقد عثرت أيضاً على خمس نسخ مطبوعة: الأولى بتحقيق عبد الله بن يوسف نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، والثانية بتحقيق محمد صبحي حسن الحلاق نشر دار الهجرة، صنعاء اليمن، والثالثة بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، والرابعة بتحقيق فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر مكتبة دار الفيحاء، دمشق وبيروت، والخامسة بتحقيق شريف هزاع، نشر مكتبة الضياء جدة.

- قمت بمقارنة النسخ الخطية واعتمدتها واستأنست بالنسخ المطبوعة في تصويب خطأ أو استدراك نقص.
- صنعت مقدمة نقلت فيها من كلام الشيخ العلامة سليمان بن سحمان من كتابه تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين، وقد وُفِّق المؤلف رحمه الله في الدفاع عن الشيخين محمد بن

عبد الوهاب ومحمد بن إسماعيل الصنعاني رحمهما الله، فنقلت في المقدمة ما يخص الإمام الصنعاني دفاعاً عنه وذبا عن معتقده ودينه، الذي ما فتأ أهل الكذب في الطعن فيه بإشاعة أن الصنعاني رجع عما قاله في الشيخ محمد بن عبد الوهاب. والحق يقال: إن الصنعاني لم يرجع عما قاله، ولم يحد عن الحق الذي دعا إليه ونادى به.

- صنعت ترجمة للمصنف رحمه الله واستفدتها من صنيع الأخ حسان الرديعان حفظه الله لكثرة أشغالي وهجوم العوائق التي حالت دون أن أصنعها بنفسي، فله الشكر الجزيل على ما فعل، فمن لم يشكر الناس لا يشكر الله.
- وضعت هوامش كما هي عادتي في تحقيقي للكتب تفيد الكتاب والقارئ على حد سواء، وكما يقال: «**لا يضيء الكتاب حتى يُظْلَمَ**» يعني بالهوامش[1].

ورحم الله القائل:

فيا منكرًا هذا تأخَّرْ فإنه   حرامٌ على الخُفَّاشِ أن يبصر الشَّمْسَا[2]

---

(١) انظر: الجامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٧٧) نقلاً عن النظائر (ص٣٠٣) لفضيلة الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله ورعاه.

(٢) ذكره ابن قيم الجوزية في طريق الهجرتين (ص٥٦) ولم ينسبه إلى أحد.

قال الإمام العلامة الحبر الفهامة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني
رحمه الله تعالى الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى
يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد فلا يتخذون لله ندا ولا يدعون
مع الله أحدا ولا يتكلون إلا عليه ولا يفزعون في كل حال إلا إليه
ولا يدعون بغير أسمائه الحسنى ولا يتوصلون إليه بالشفعاء من
ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ربا ومعبودا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أمره أن يقول
قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله وكفى بالله شهيدا
صلى الله عليه وعلى آله التابعين له في السلامة عن العيوب
وتطهير القلوب عن كل شيء يشوب وبعد فهذا تطهير الاعتقاد
عن أدران الإلحاد وجب تأليفه وتعين علي ترصيفه لما
رأيته وعلمته يقينا من عموم اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار
والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع د
يار الإسلام وهو الاعتقاد في القبور أو في الأحياء ممن يدعي
العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور لا يحضر
للمسلمين مسجدا ولا يرى لله راكعا وساجدا ولا يعرف السنة ولا
الكتاب ولا يهاب البعث ولا الحساب فوجب علي أن أنكر ما
أوجب الله إنكاره ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره
فاعلم أن ها هنا أصولا هي من قواعد الدين ومن أهم
ما يجب معرفته على الموحدين الأصل الأول أنه قد علم من ضرورة
الدين أن كل ما في القرآن فهو حق لا باطل وصدق لا كذب وهدى
لا ضلالة وعلم لا جهالة ويقين لا شك فيه فهذا أصل لا يتم إسلام
أحد ولا إيمانه إلا بالإقرار بهذا الأصل وهذا أمر مجمع عليه لا خلاف

فيه الأصل الثاني أن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء
العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة وكل رسول أول ما يقرع به أسماع
قومه قوله يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ألا تعبدوا إلا الله أن
اعبدوا الله واتقوه وأطيعون وهذا هو الذي تضمنه قول لا إله
إلا الله فإنها دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معنا
ها لا مجرد قولها باللسان ومعناها هو إفراد الله بالإلهية والعبادة
والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه وهذا الأصل لا مرية فيما
تضمنه ولا شك فيه وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه الأصل الثالث
أن التوحيد قسمان القسم الأول توحيد الربوبية والخالقية والر
زقية ونحوها ومعناها أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو
الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله
فيه شريكا بل هم مقرون به كما سيأتي والقسم الثاني توحيد
العبادة ومعناه إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها
فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ شريك يشعر بالإقرار
بالله تعالى فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين
الله عند قولهم في خطاب المشركين أفي الله شك هل من خالق غير الله
ونهيا لهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة
رسولا أي قائلين لأممهم أن اعبدوا الله فأفاد بقوله في كل أمة أن
جميع الأمم لم يرسل إليهم الرسل ويبعث إليهم إلا لطلب توحيد
العبادة لا للتعرف بأن الله هو الخالق للعالم وأنه رب السموات
والأرض فإنهم مقرون بهذا ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا
بصيغة التقرير نحو هل من خالق غير الله أفمن يخلق كمن لا يخلق
أفي الله شك فاطر السموات والأرض أروني ماذا خلقوا الذين من

صورة اللوحة الأولى من (أ)

لم يمسها شيء بل ذلك انه رأى انسانا عند بعض ملوك الهند الى بولاتي مسلمة
ثم قطعها عضوا عضوا ثم رمى بكل عضو الى جهة فرقا حتى اذا لم ير احدا شيئا
من تلك الاعضاء ثم صاح وبكى فلم يشعر الحاضرون الا وقد نزل كل عضو على انفراده
وانضم الى الاخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حيا سويا ذكر هذا في رحلته
وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة
والف واملاها علينا الغلام مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد ابن اسعد
رحمه الله في الاغاني لابي الفرج بسنده ان ساحرا كان عند الوليد ابن عقبة
فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج فراه جندب فذهب الى بيته فاشتمل
على سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال اتاتون السحر وانتم تبصرون ثم ضرب
وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر فانذعر الناس وسجنه الوليد وكتب
بذلك الى عثمان وكان على السجن رجل نصراني فلما رأى جندبا يقوم الليل
ويصبح صائما قال والله ان قوما هذا شرهم لقوم صدق فوكل بالسجن
رجلا ودخل الكوفة وسأل عن افضل اهلها فقالوا الاشعث ابن قيس
فاستضافه فرأى ابا محمد يعني الاشعث ينام بالليل ثم يصبح فيدعو بغدائه
فخرج من عنده وسأل اي الكوفة افضل فقالوا جرير ابن عبد الله فوجده
ينام بالليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة وقال ربي رب جندب
وديني دين جندب فاسلم واخرجها البيهقي في السنن الكبرى
بمغايرة في القصة فذكر بسنده الى ابي الاسود ان الوليد ابن عقبة كان بالعراق
يلعب بين يديه ساحر فكان يضرب راس الرجل ثم يصيح به فيقوم خارجا
فيرد اليه راسه فقال الناس سبحان الله يحيي الموتى وراه رجل من صالحي المهاجرين
فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فا
خترط الرجل سيفه فضرب عنقه فقال ان كان صادقا فليحي نفسه
فامر الوليد دينار صاحب السجن بسجنه انتهى بل العجب من هذا

السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت وانها اخذت فيها فقالت لها بعد
ان لقيته في الارض اطلع فيطلع ثم قالت احمل فحمل ثم فركته ثم قالت ايبس
فيبس ثم قالت له اطحن فالطحن ثم قالت له اختبز فاختبز وكانت
لا تريد شيئا الا كان والاحوال الشيطانية لا تنحصر وكفى بما ياتي به الدجال
والمعيار اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما انتهى ما اوردناه ٥ ٥

والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا
وصلى الله على محمد النبي الامي وعلى
اله وصحبه وسلم
ولا حول ولا قوة
الا بالله
العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر واعن يا كريم
قال الشيخ العلامة محمد ابن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رضي الله عنه
وارضاه في كتابه الذي كتبه في سيره من تبوك ناس المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع
مائة ثم قال بعد كلام له سبق وبعد حمد الله الذي هو لها اهل و
الصلاة على خاتم انبيائه و رسله محمد صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه يقول
في كتابه وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله
ان الله شديد العقاب وقد اشتملت هذه الاية على جميع مصالح العباد
في معاشهم ومعادهم فيما بينهم في بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم
فان كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين واجب بينه
وبين الله وواجب بينه وبين الخلق فاما ما بينه وبين الخلق من
المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيهما ان يكون اجتماعهم
بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة

صورة اللوحة الأخيرة من (أ)

كتاب تطهير الاعتقاد عن ادران
الالحاد للأمير العالم الرباني محمد
بن اسمعيل الصنعاني
رحمه الله وجزاه [illegible]
عن الاسلام [illegible]

هذه النسخة مما من الله بها على عبده عبد الله بن ابراهيم بن محمد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه
بتوحيد العبادة كل الافراد فلا يتخذون له ندا ولا يدعون مع الله احدا
ولا يتكلون الا عليه ولا يفزعون في كل حالاتهم الا اليه ولا يدعونه بغير
اسمائه الحسنى ولا يتوصلون اليه بالشفعاء من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه فاروني ماذا خلق الذين من دونه واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له ربا معبودا واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي
امره الله ان يقول قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا [illegible]
تطهير القلوب عن اعتقاد كل شيء يشوب وبعد فهذا تطهير
الاعتقاد عن ادران الالحاد وجب علي تاليفه وتعين علي ترصيفه
لما رايته وعلمته يقينا من عموم اتخاذ العباد الانداد في جميع
الامصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة وجميع
ديار الاسلام وهو الاعتقاد في القبور وفي الاحياء ممن يدعي العلم
بالمغيبات والمكاشفات وهو من اهل الفجور لا يحضر للمسلمين مسجدا
ولا يركع لله ركعة ولا يسجد سجدة ولا يعرف السنة ولا الكتاب ولا يهاب البعث
ولا الحساب فوجب علي ان انكر ما اوجب الله انكاره ولا اكون
من الذين يكتمون ما اوجب الله اظهاره فاعلم ان ها هنا اصولا هي من

صورة اللوحة الأولى من (س)

علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن اسعد رحمه الله وفي الأغاني لأبي الفرج بسنده ان ساحرا كان عند الوليد بن عقبة فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج فرآه جندب رضي الله عنه فذهب الى بيته فاشتمل على سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال أتأتون السحر وأنتم تبصرون ثم ضرب البقرة فقطعها وقطع الساحر فانذعر الناس فحبسه الوليد وكتب بذلك الى عثمان رضي الله عنه وكان على السجن رجل نصراني فلما رأى جندبا يقوم الليل ويصبح صائما قال النصراني والله ان قوما هذا شرهم لقوم صدق فوكل بالسجن رجلا ودخل الكوفة وسأل عن افضل اهلها فقالوا الأشعث بن قيس فاستضافه فرأى ابا محمد يعني الأشعث ينام بالليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فخرج من عنده وسأل اي اهل الكوفة افضل فقالوا جرير بن عبد الله فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلة وقال ربي رب جندب وديني دين جندب واسلم واخرجها البيهقي في السنن الكبرى بمغايرة في القصة فذكر بسنده الى ابي الأسود ان الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم خارجا فيرتد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحيي الموتى فرآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه فقال ان كان صادقا فليحيي نفسه فأمر به الوليد صاحب السجن فسجنه انتهى بل اعجب من هذا ما اخرجه الحافظ ابو بكر البيهقي باسناده في قصة طويلة وفيها ان امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت وانها اخذت قمحا فقالت له بعد ان القته في الأرض اطلع فطلع فقالت احقل فحقل ثم قالت ايبس فيبس ثم قالت له انطحن فانطحن ثم قالت اختبز فاختبز وكانت لا تريد شيئا الا كان وهذه الأحوال الشيطانية لا تخص وكذا ما قال به النبي صلى الله عليه وسلم في مثال الدجال والمعيار اتباع الكتاب والسنة ومخالفتها انتهى ما اردناه والحمد لله اولا وآخرا ظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وكان الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة نهار السبت ١٤ من شعبان من سنة ١٣٣٣ غفر الله لمن نظر فيها ولوالديه وارحامه واحبابه ومشايخه وجمعهم في دار كرامته بفضله ورحمته انه جواد كريم دائم.

صورة اللوحة الأخيرة من (س)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد
العبادة كل الإفراد من اتخاذ الأنداد فلا يتخذون له ندا ولا يدعون مع الله أحدا ولا يتكلون إلا عليه
ولا يفزعون في كل حال إلا إليه ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى ولا يتوسلون إلى الله بالشفعاء من ذا الذي
يشفع عنده إلا بإذنه فأروني ماذا خلق الذين من دونه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربا
معبودا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أمره أن يقول قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا وكفى بالله شهيدا
صلى الله عليه وعلى آله التابعين لهديه في السلامة عن العيوب وتطهير القلوب من أعشار الذنوب وبعد فهذا
تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد وجب علي تأليفه وتعين علي ترصيفه لما رأيته وعلمته يقينا
من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة وجميع
ديار الإسلام وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من
أهل الفجور لا يحضر للمسلمين مسجدا ولا يركع لله ركعة ولا يسجد سجدة ولا يعرف السنة ولا الكتاب ولا يهاب
البعث ولا الحساب فوجب علي أن أنكر ما أوجب الله إنكاره ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب
الله إظهاره فاعلم أن ههنا أصولا هي من قواعد الدين ومن أهم ما يجب معرفته على الموحدين
الأصل الأول أنه قد علم من ضرورة الدين أن كل ما في القرآن فهو حق لا باطل وصدق لا كذب وهدى
لا ضلالة وعلم لا جهالة ويقين لا شك فيه فهذا أصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالإقرار بهذا
الأصل وهذا أمر مجمع عليه لا خلاف فيه الأصل الثاني أن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا
لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة فكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أن لا تعبدوا إلا الله أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون وهذا هو الذي
تضمنه قول لا إله إلا الله فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان
ومعناها هو إفراد الله بالإلهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه وهذا الأصل لا
مرية فيما تضمنه ولا شك فيه وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه الأصل الثالث أن التوحيد قسمان
القسم الأول توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوهما ومعناه أن الله وحده هو الخالق للعالم
وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به
كما سيأتي في الأصل الرابع والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناه إفراد الله وحده
بجميع العبادات الآتي بيانها فهذا الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ شريك يشعر بالإقرار بالله
تعالى فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثاني مثل قولهم في خطاب المشركين
أفي

صورة اللوحة الأولى من (ق)

الاشعث بن قيس فاستضافه فرأى ابا محمد يعني الاشعث ينام بالليل ثم يريد
لغدائه فاستقبل الغد ... فقال رأى رب جندب ودينه دين جندب واسلم
واخرجها البيهقي في السنن الكبرى مطولة في القصة وذكر بسنده الى
ابي الاسود ان الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر فكان
يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله
يحيي الموتى ورآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على
سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضربه فقال ان كان
صادقا فليحيي نفسه فامر الوليد دينارا صاحب السجن فسجنه انتهى
بل اعجب من هذا ما اخرجه الحافظ ابو بكر البيهقي باسناد في قصة طويلة وفيها
ان امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت وانها اخذت
قمحا فقالت له بعد ان القته في الارض اطلع فطلع ثم قالت احقل فحقل ثم
حركته ثم قالت ايبس فيبس ثم قالت له اطحن فاطحن ثم قالت اختبز فاختبز
وكانت لا تريد شيئا الا كان والاحوال الشيطانية لا تنحصر وكفى بما قاله
النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الدجال والمعتبر اتباع الكتاب والسنة
ومن لا يفهمها انتهى ما اردنا والحمد لله اولا واخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا انتهى المؤلف المسمى تطهير الاعتقاد عن درن الالحاد تصنيف
السيد العلامة محمد بن اسمعيل الامير الزيدي الصنعاني ...
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

[illegible]

صورة اللوحة الأخيرة من (ق)

تطهير الاعتقاد
عن
أدران الإلحاد

تأليف

محمد

د


بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، رب يسّر وأعن يا كريم.

* قال الإمام العلامة الحبر الفهامة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى(١).

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد، حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد، [من اتخاذ الأنداد](٢)، فلا يتخذون له ندًّا، ولا يدعون معه أحدًا، ولا يتكلون إلا عليه، ولا يفزعون في كل حال إلا إليه، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى، ولا يتوصلون إليه بالشفعاء ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] [﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾](٣)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربًّا ومعبودًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أمره أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾

---

(١) في (س): «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم». وفي (ق): «بسم الله الرحمن الرحيم» فقط.

(٢) ما بين المعكوفين ليس في (أ) (س) وأثبته من النسخ الأخرى، وكذلك كل ما كان بين معكوفين، فمثبت من النسخ الأخرى.
الأنداد جمع ند، بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده: أي يخالفه. قاله ابن الأثير في النهاية (٥/ ٣٥) وانظر مجمع بحار الأنوار (٤/ ٦٧٧) وقال الهروي في الغريبين (٦/ ١٨٢١): أندادًا: أي أمثالاً، الواحد نِد ونديد، وهو المثل.

(٣) ما بين المعكوفين من (س).

[الأعراف:١٨٨]وكفى بالله شهيدًا، صلى الله عليه وعلى آله التابعين له في السلامة من العيوب[١]، وتطهير القلوب عن [اعتقاد[٢]] كل شيء يشوب.

وبعد، فهذا (**تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد**) وجب [عليَّ] تأليفه [وتصنيفه]، وتعيَّن[٣] عليَّ ترصيفه، لما رأيته وعلمته يقينًا من عموم اتخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور[٤]، أو في الأحياء ممن يدّعي العلم بالمغيبات والمكاشفات، وهو من أهل الفجور[٥]، ولا يحضر للمسلمين مسجدًا، ولا يُرى لله راكعًا ولا ساجدًا، ولا يعرف السنة ولا الكتاب، ولا يهاب البعث ولا الحساب، فوجب عليَّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره[٦]، ولا أكون من الذين يكتمون ما

---

(١) في (ق): «عن العيوب».

(٢) في (ق): «من اعتقاد».

(٣) في (ق): «ولزم».

(٤) كما هو الواقع والمشاهد في كثير من بلدان المسلمين من اعتقاد العامة في المقبور: أنه ينفع ويضر، لذا نجد كثيرًا من الجهلة يهرعون إلى قبور الأولياء والصالحين والمشايخ وقبور مجهولة: ظنًّا منهم واعتقادًا فيهم، أن لديهم حلاً لمعضلاتهم، وتلبية لرغباتهم، فيلجأون إليهم رغبًا ورهبًا من دون الله أو مع الله، تعالى الله عما يعمل الظالمون.

(٥) مثل الدجالين والمشعوذين وآكلي أموال الناس بالباطل من السحرة والعرافين، الذين زيَّن لهم الشيطان أعمالهم، فصدهم عن السبيل، ويحسبون أنهم مهتدون.

(٦) امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الذي قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع بقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».أخرجه مسلم (رقم ٤٩).

أوجب الله إظهاره[١]، فاعلم أن ههنا أصولاً هي من [س/١] قواعد الدين، ومن أهم ما تجب معرفته على الموحدين.

الأصل الأول: أنه قد علم من ضرورة الدين[٢]، أن كل ما في القرآن فهو حق لا باطل، وصدق لا كذب، وهدى لا ضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لاشك فيه. فهذا الأصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالإقرار بهذا الأصل، وهذا أمر مجمع عليه لا خلاف [أ/ ١] فيه.

الأصل الثاني: أن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة. وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [هود: ٢٦] ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح:٣]، وهذا هو الذي تضمنه قول لا إله إلا الله. فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان[٣]. ومعناها هو إفراد الله بالإلهية

---

(١) عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

(٢) في (س): «من ضرورة الدين ومن أهم».

(٣) وهذا هو الموافق لروح الشريعة، فما كان لدين مثل هذا الدين العظيم أن يطالب المنتسبين إليه بقول هذه الأحرف: لا إله إلا الله. ثم هم بعد ذلك يعتقدون خلاف مدلولها، وينقضون معناها، ويدكدكون أصولها، ثم لم تلبث أن تكون كلمات جوفاء فارغة، لا أثر لها في حياتهم. وها هم المنافقون على عهد رسول الله ﷺ يلوكونها بين ألسنتهم صباح مساء، وهم في الدرك الأسفل من النار، عياذًا بالله من غضبه وعقابه وأليم عذابه.

والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه. وهذا الأصل لامرية فيما تضمنه ولا شك فيه، وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه.

الأصل الثالث: أن التوحيد قسمان:

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون، ولا يجعلون لله فيه شريكًا، بل هم مقرون به(١)، كما سيأتي [في الأصل الرابع].

والقسم الثاني: توحيد العبادة، ومعناه إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها. فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى، فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول، ودعاء المشركين إلى الثاني، مثل قولهم(٢) في خطاب المشركين[ق/ ١] ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:١٠] ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣] وتنهاهم عن شرك العبادة، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦] أي قائلين

---

(١) وهذا النوع من التوحيد، وإن سُمي توحيدًا فهو لا ينفع صاحبه، ولا ينجيه من عذاب الله والخلود فيه يوم القيامة، حتى يقرنه بتوحيد العبادة. أو ما يسميه بعض العلماء بتوحيد الإلهية أو التوحيد العملي أو توحيد النية والإرادة والقصد، فكلا التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية لازم في إثبات وصف الإسلام في الدنيا وتحقيق النجاة في الدنيا والآخرة.

(٢) في (أ) (س): «ودعاء المشركين إليه عند قولهم» وفي (ق): «ودعاء المشركين بمثل قولهم»، والمثبت من النسخ الأخرى.

لأممهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾. فأفاد بقوله: ﴿فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أن جميع الأمم لم يرسل إليهم الرسل ولم تبعث إليهم إلا لطلب توحيد العبادة، لا لتعرّف بأن الله هو الخالق للعالم، وأنه رب السموات والأرض، [س/ ٢] فإنهم مقرون بهذا، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣] ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل:١٧] ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] [﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾] [الأنعام:١٤] ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان:١١] ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف:٤] استفهام تقرير لهم، لأنهم مقرون به[١]،/[أ/ ٢] وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأوثان والأصنام ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمه، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى، لأجل أنهم أشركوهم في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم، بل اتخذوهم لأنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما قالوه، فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم، وأنهم شفعاء عند الله، قال الله تعالى ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨] فجعل [الله] تعالى اتخاذهم للشفعاء شركاء [فيه] نزه نفسه عنه، لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل[١] لها،

---

(١) من قوله: «فأروني ماذا خلق الذين من دونه» إلى هنا سقط من (ق)..

فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل[(١)] لها، ولا يغنون عنهم من الله شيئًا؟.[(٢)]

الأصل الرابع: أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون بأن الله تعالى خالقهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] وأنه الذي خلق السموات والأرض لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] وبأنه الرازق الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١] ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ [س/ ٣]بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون:٨٤-٨٩] وهذا فرعون مع علوه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة

---

(١) في (أ): «أهلا».

(٢) في هامش (أ) «بلغ».

الشنعاء[١] يقول الله في حقه حاكيًا عن موسى عليه السلام ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال إبليس ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [أ/٣] [الحشر:١٦] وقال ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر:٣٩] [وقال]: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ [الحجر:٣٦] وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض وربهن ورب ما فيهن ورازقهم[٢]، ولذا تحتج عليهم الرسل بقولهم: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] وبقولهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣] والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه[٣].

الأصل الخامس: أن العبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل، ولم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم، فكان حقيقًا بأقصى غاية الخضوع، كما في الكشاف[٤]، ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد لله تعالى[٥] الذي تفيده

---

(١) وهي قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨] وقوله:﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]

(٢) في (ق): «وخالق السموات والأرض ورب ما فيهما ورازقهم».

(٣) فهم مقرون ومعترفون بأن الله هو ربهم وخالقهم ورازقهم، وهو الذي أحياهم، وهو الذي يميتهم ويبعثهم، لا ينكر ذلك منهم أحد إلا من نكست فطرته ومسخت جبلته وكابر وعاند وهو في قرارة نفسه لا يستطيع أن ينفك عن التسليم بهذا الأمر بأنه مخلوق ومربوب لله رب العالمين.

(٤) للزمخشري (١/ ١٠).

(٥) قال النووي – رحمه الله – في شرح صحيح مسلم (٢/ ٤): وقد نبه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته.

كلمته، التي دعت إليها[1] جميع الرسل، وهو قول: لا إله إلا الله، والمراد اعتقاد معناها [لا مجرد قولها باللسان. ومعناها] إفراد الله بالعبادة والإلهية والنفي والبراءة [من] كل معبود [ق/ ٢] من دونه، وقد علم الكفار هذا [المعنى] لأنهم أهل اللسان العربي، [فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾] [ص:٥]

فَصْــــل

إذا عرفت هذه الأصول فاعلم أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعًا منها:

اعتقادية: وهي أساسها، وذلك أن تعتقد أن الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك مما يجب من لوازم الإلهية.

منها اللفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر [س/ ٤] ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله[2]، وكان كإبليس فإنه يعتقد التوحيد، بل ويقر به كما أسلفناه عنه، إلا أنه لم يمتثل أمر الله بالسجود فكفر. ومن نطق بها

---

(١) في (س) (ق): «التي إليها دعت».

(٢) هذا المعنى مستفاد من قول رسولنا الكريم ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» أخرجه البخاري من حديث ابن عمر (رقم ٢٥) ومسلم(رقم٢٢)

ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه إلى الله، وحكمه حكم المنافقين[(١)].

وبدنية: كالقيام والركوع والسجود في الصلاة. ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف.

ومالية: كإخراج جزء من المال امتثالاً لما أمر به الله تعالى.

وأنواع الواجبات والمندوبات في الأبدان والأموال والأفعال والأقوال كثيرة، لكن هذه أمهاتها، وإذا تقررت هذه الأصول فاعلم [أ/ ٤] أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[(٢)] من أولهم إلى آخرهم، يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك، كما قررناه وكررناه،

---

(١) وحكم المنافقين أن يقبل منهم ظاهرهم وأما سرائرهم فهي موكولة إلى عالم السر وأخفى سبحانه وتعالى. وهنا يرد سؤال وجيه: وأنّى لنا معرفة المنافق الذي يبطن الكفر وقد انقطع الوحي؟ فيقال: إن هذا لحق، وقد قال حذيفة - رضي الله عنه -: إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم: فإنما هو الكفر بعد الإيمان. أخرجه البخاري (رقم٧١١٤).

وعلى هذا فإن من أظهر لنا الكفر الأكبر المخرج من الملة فهو بحسبه، ومن أظهر الكفر الأصغر فهو أيضًا بحسبه. وصدق حذيفة - رضي الله عنه - حين قال:«إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبي ﷺ، كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون. أخرجه البخاري (رقم ٧١١٣).

والنفاق ينقسم إلى قسمين: أكبر وهو مخرج من الملة وهو ما يسمى بالنفاق الاعتقادي، ولا ينفع معه عمل صالح وصاحبه مخلد في النار وفي الدرك الأسفل منها. والقسم الثاني أصغر وهو غير مخلد في النار وغير مخرج من الملة، وهو مايسميه العلماء بالنفاق العملي. أخذًا من قول رسول الله ﷺ : «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» أخرجه البخاري (رقم٣٣) ومسلم (رقم٥٩).

(٢) في حاشية (س): «بلغ».

ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠] أي لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون الأوثان، فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله، ولم ينكروا الله تعالى ولا أنه لا يعبد، بل أقروا أنه يعبد، وأنكروا كونه يفرد بالعبادة، فعبدوا مع الله تعالى غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أندادًا، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة٢٢] [أي وأنتم تعلمون] أنه لا ند له[1]. وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. وكان يسمعهم النبي ﷺ عند قولهم: لا شريك لك، فيقول «قدْ، قدْ. أي أفردوه تعالى بالعبادة. لو تركوا قولهم

---

(١) قال الإمام العالم الرباني ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في كتابه بدائع الفوائد(٤/ ١٣١): وذكر سبحانه في آية البقرة قرار العالم وهو الأرض، وسقفه هو السماء، وأصول منافع العباد وهو الماء الذي أنزله من السماء، فذكر المسكن والساكن وما يحتاج إليه من مصالحه، ونبه تعالى بجعله للأرض فراشًا على تمام حكمته في أن هيأها لاستقرار الحيوان عليها، فجعلها فراشًا ومهادًا وبساطًا وقرارًا، وجعل سقفها بناءً محكمًا مستويًا لا فطور فيه ولا تفاوت ولا عيب. ثم قال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] فتأمل هذه النتيجة وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها، وظفر العقل بها بأول وهلة، وخلوصها من كل شبهة وريبة وقادح. وأن كل متكلم ومستدل ومحاجّ إذا بالغ في تقرير ما يقرره وأطاله وأعرض القول فيه فغايته إن صح ما يذكره أن ينتهي إلى بعض ما في القرآن.

فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من البرهان الشافي في التوحيد، أي إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال، فكيف تجعلون له أندادًا وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله؟! أ.هـ

ـ إلا شريكاً هو لك»(١) فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به تعالى(٢)، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٢٢] ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ [القصص:٦٤] ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥] فنفس اتخاذ الشريك إقرار بالله تعالى، ولم يعبدوا الأصنام بالخضوع لها والتقرب [إليها] بالنذور والنحر لهم، إلا لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله [س/ ٥] زلفى، وتشفع لهم لديه(٣)، فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ما سواه، وأن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل والتقرب إليهم باطل، وأن هذا لا يكون إلا

---

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه (رقم ١١٨٥) عن ابن عباس قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك. قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ويلكم! قَدْ . قَدْ» فيقولون: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت.

قال القاضي عياض: روي بإسكان الدال وكسرها مع التنوين. ومعناه: كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا. حاشية صحيح مسلم (١/ ٨٤٣) وقال ابن الأثير: قَدْ قَدْ بمعنى حَسْب. وتكرارها لتأكيد الأمر. ويقول المتكلم: قَدْنِي أي حَسْبي. وللمخاطب: قَدْك: أي حَسْبُك. النهاية (٤/ ١٩).

(٢) في (ق): «فنفس اتخاذ الشريك إقرار بالله تعالى».

(٣) كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٤): فهذه حال من اتخذ من دونه وليًّا، يزعم أنه يقربه إلى الله، وما أعز من يخلص من هذا؟ بل ما أعز من لا يعادي من أنكره؟!

والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم: أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع، فيه ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد، الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يإذن لمن شاء في الشفاعة لهم، حيث لم يتخذهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله له: صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعًا من دون الله ربه ومولاه.

لله وحده. وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا مقرين، كما عرفت في الأصل الرابع بتوحيد الربوبية. وأنه الخالق [وحده]، والرازق وحده، ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم ـ وهو نوح – عليه السلام – إلى آخرهم ـ وهو محمد بن عبد الله ﷺ[١] ـ هو توحيد العبادة[٢]. ولذا تقول لهم الرسل: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [هود:٢٦]، ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند [أ/ ٥] الشدائد، ومنهم من يعبد أحجارًا ويهتف بها، [ويناديها عند الشدائد] وهي في الأصل [ق/ ٣] صور رجال

---

(١) أول الرسل هو نوح عليه السلام وآخرهم محمد بن عبد الله ﷺ وخاتم النبيين، ثبت ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي فيه: « **فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسمّاك الله عبدًا شكورًا .....**» وفيه: «**فيأتون محمدًا ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك...**» أخرجه البخاري (رقم ٣٣٤٠، ٤٧١٢) ومسلم (رقم١٩٤).

(٢) وهو أصل الدين الذي اتفقت عليه كل الشرائع من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، وهو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: « **والأنبياء إخوة لعلاَّت، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد**» أخرجه البخاري (رقم٣٤٤٣) ومسلم (رقم٢٣٦٥).

وهذا هو توحيد العبادة الذي أشار إليه المصنف بأقسامه الثلاثة:

إفراد الله – عز وجل – بالنسك والشعائر التعبدية من صلاة وزكاة ونذر وذبح وخوف ورجاء، سواء ما يتعلق بأعمال الجوارح أو أعمال القلوب، فلا يشرك مع الله غيره في شيء من ذلك.

والقسم الثاني: إفراد الله – عز وجل – بالمحبة والنصرة والولاية، فلا محبة إلا في الله ولله، ولا نصرة إلا لشرع الله ودينه وفي مرضاته، ولا ولاء إلا لله وفي الله. وما عدا ذلك فهو حظ الشيطان ونصيبه.

والقسم الثالث: إفراد الله – عز وجل – بالحكم والتشريع، فلا حكم إلا حكم الله، ولا شرع إلا ما شرع سبحانه، وما عدا ذلك فهو من وحي الشيطان وتزيينه، وهو حكم الطاغوت وحكم الجاهلية .

صالحين، كانوا يحبونهم ويعتقدون فيهم، فلما هلكوا صوَّروا صورهم تسليًا بها، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، ثم زاد الأمد طولاً فعبدوا الأحجار[1]، ومنهم من يعبد المسيح، ومنهم من يعبد الكواكب، ويهتف بها عند الشدائد، فبعث الله محمدًا ﷺ يدعوهم إلى الله [وحده]، بأن يفردوه بالعبادة، كما أفردوه بالربوبية، أي بربوبية السموات والأرض، وأن يفردوه بكلمة (لا إله إلا الله) وحده معتقدين لمعناها عاملين بمقتضاها[2]، وأن لا يدعوا مع الله أحدًا، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ

---

(١) قال عطاء: عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ودٌّ: كانت بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان. وأما نسر فكانت لحِمْيَرَ لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ، وتنسَّخ العلم عُبِدَتْ. أخرجه البخاري (رقم٤٩٢٠).

(٢) وهذا هو معنى الإيمان كما هو مقرر عند أهل السنة الجماعة وأصحاب الحديث: أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.
وقد سبق أن ذكرت أقوال أهل العلم حول هذا المعنى عند تحقيقي لكتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي - رحمه الله - وهو من منشورات دار القاسم بالرياض. وها أنا ذا أذكر هنا قول الآجري - رحمه الله - في كتابه المفيد «الشريعة» (٢/ ٦١١-٦٤٤)
فقال - رحمه الله -: اعلموا رحمنا الله وإياكم ـ أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق اللسان حتى تكون عملاً بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمنًا، دل على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين... ثم قال:

=

=

فالأعمال ـ رحمكم الله ـ بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله بجوارحه مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأشباه هذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمناً ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبًا لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقًا منه لإيمانه... ثم قال:

وقد قال تعالى في كتابه وبين في غير موضع أن الإيمان لا يكون إلا بعمل، وبينه النبي ﷺ خلاف ما قالت المرجئة الذين لعب بهم الشيطان ... ثم قال:

اعلموا ـ رحمنا الله إياكم ـ يا أهل القرآن ويا أهل العلم بالسنن والآثار ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام: أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تعالى علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم، وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح قرن مع الإيمان العمل الصالح. لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح الذي وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقًا بقلبه وناطقًا بلسانه وعاملاً بجوارحه، لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت.

واعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أني قد تصفحت القرآن فوجدت ما ذكرته في شبيه من خمسين موضعًا من كتاب الله تعالى: أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم وبما وفقهم له من الإيمان العمل الصالح. وهذا رد على من قال: الإيمان معرفة، ورد على من قال: الإيمان المعرفة والقول وإن لم يعمل، نعوذ بالله من قائل هذا.

ثم طفق الآجري – رحمه الله – في عرض الآيات التي تدعم هذا المذهب، وإن لم يستقصِ جميع الآيات، كما أشار محقق الشريعة حفظه الله (٢/ ٦٢٠)

ثم ساق بسنده عن أبي العالية في قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ [البقرة:١٧٧] يقول: تكلموا بكلام الإيمان وحققوه بالعمل.

وقال الربيع بن أنس: وكان الحسن يقول: الإيمان كلام، وحقيقته العمل، فإن لم يحقق القول ـ بالعمل لم ينفعه القول.

=

يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرعد:١٤] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] أي من شروط التصديق بالله ألا يتوكل إلا عليه، وأن يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار[١]، وأمر الله عباده أن يقولوا ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ولا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله تعالى، وإلا كان كاذبًا منهيًا عن [أن يقول]: هذه الكلمة، إذ معناها: نخصك بالعبادة ونفردك بها، وهو معنى قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ـ ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ لما عرف من علم البيان أن [س/٦] تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، أي لا تعبدوا إلا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا إلا الله[٢] ولا تتقوا غيره. كما في الكشاف[٣]. فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله والنداء في الشدائد والرخاء، لا يكون إلا لله وحده [لا شريك له] والاستغاثة والاستعانة بالله وحده واللجأ إلى الله تعالى والنذر [والنحر له تعالى]، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كله لا يكون إلا لله عز وجل[٤]، ومن فعل ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد أو غيره

=

ثم قال – رحمه الله –: كل هذا يدل العاقل على أن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. كذا قال الحسن وغيره.

(١) في (ق): «والاستغاثة».

(٢) قوله: «ولا تعبدوا غيره ولا تتقوا إلا الله» سقط من (ق)..

(٣) للزمخشري رحمه الله (١/ ٢٧٦).

(٤) وكل هذا يندرج تحت ما يسميه علماء أهل السنة بتوحيد الألوهية، أو بتوحيد الإرادة والنية والقصد، أو التوحيد العملي، أو إفراد الله بالنسك والشعائر التعبدية.

فقد أشرك في العبادة[١]، وصار من يُفعل له هذه الأمور إلهًا لعابديه، سواء كان ملكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرًا أو قبرًا أو جنيًّا أو حيًّا أو ميتًا، وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابدًا لذلك [أ/ ٦] المخلوق، وإن أقر بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله تعالى وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم، فإن الله تعالى «**أغنى الشركاء عن الشرك**»[٢]لا يُقبل عمل[٣] شورك

---

(١) في (س): «فهذا شرك في العبادة»

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتابه المفيد «مصباح الظلام»: (ص٣٧): فمن عبد غير الله وعدل بربه وسوّى بينه وبين غيره في خالص حقه: صدق عليه أنه مشرك ضال غير مسلم، وإن عمّر المدارس ونصب القضاة وشيّد المنار ودعا بداعي الفلاح.

وجاء في كتاب الدرر السنية (١/ ٥٠ -٥١): فأما كلام الحنابلة: فقال الشيخ تقي الدين رحمه الله لما ذكر حديث الخوارج: فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فيعلم: أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضًا.

وذلك بأمور: منها الغلو الذي ذمه الله تعالى كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي، بل الغلو في علي ابن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله بأن يقول: يا سيدي فلان أغثني أو أجرني أو أنت حسبي أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل...

وقال في الإقناع في أول باب حكم المرتد: إن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر إجماعًا. أ.هـ

(٢) أخرج الإمام مسلم في صحيحه (رقم٢٩٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

وسوف يذكره المصنف بعد قليل.

(٣) كذا في (أ) بينما في (ق): «يترك عملاً».

فيه غيره، ولا يؤمن به من عبد معه غيره[١].

فَصْل

إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله تعالى مع شركهم في العبادة، ولا يغني عنهم من الله شيئًا، وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون، وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر، وطافوا بهم، ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم، وسجدوا لهم، ومع هذا كله فهم مقرون لله سبحانه بالربوبية وأنه الخالق، ولكنهم لما أشركوا في عبادته جعلهم مشركين ولم يعتد بإقرارهم هذا، لأنه نافاه فعلهم، فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية [٢]، فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة[٣]، فإذا لم يفعلوا ذلك فالإقرار الأول باطل[٤]. وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار، وقالوا: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ [س/ ٧] مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [ق/ ٤]

---

(١) في حاشية (أ): بلغ.

(٢) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما في الدرر السنية (١/ ١١٧-١١٨): وهذه مسألة عظيمة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام ولم

(٣) هذا هو الموافق للعقل والفطرة، فالخالق الرازق المحيي المميت، ومن بيده مقاليد كل شيء: النافع الضار، هو سبحانه أحق وأحرى بأن يتوجه له الخلق خضوعًا وخشوعًا وخوفًا وإذلالاً ورغبة ورهبة، فلا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له وحده دون سواه.

(٤) نعم إذا لم يتوجه العباد إلى ربهم بالطاعة والخضوع والعبادة له وحده فلا ينفعهم إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت. فتوحيد الربوبية لا ينفع صاحبه إذا لم يقرنه العبد بتوحيد الألوهية.

[الشعراء:٩٧، ٩٨] مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه، ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين، ولكن علموا إذ صاروا في النار في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراك في توحيد العبادة صيّرهم كمن سوّى بين الأصنام وبين رب الأنام[١]، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] أي ما يقر أكثرهم في إقراره بالله، وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان[٢]، بل سمى الله الرياء في الطاعات شركًا مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى، وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس [فالمرائي عبد الله لا غيره، لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس]. فلم تقبل له عبادة، وسماها شركًا، كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري [أ/ ٧]**

---

(١) قال ابن القيم - رحمه الله - تعالى في كتاب «جلاء الأفهام» (ص٢٦٦): وقال أهل النار في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] ومن المعلوم أنهم إنما سووهم به ـ سبحانه ـ في الحب والتأله والعبادة، وإلا فلم يقل أحد قط: إن الصنم أو غيره من الأنداد مساو لرب العالمين في صفاته وفي أفعاله وفي خلق السموات والأرض وفي خلق عابده أيضًا، وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة.

(٢) قال ابن القيم - رحمه الله - في «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ٣٦٦): قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] فأثبت لهم إيمانًا مع الشرك، وهذا الإيمان وإن لم يؤثر في إخراجهم من النار كما أثر إيمان أهل التوحيد، بل كانوا معه خالدين فيها بشركهم وكفرهم، فإن النار إنما سعرها عليهم الشرك والظلم.

تركته وشركه»[1] بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركًا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠] فإنه أخرج الإمام أحمد بن حنبل والترمذي من حديث سمرة [بن جندب رضي الله عنه]، أنه قال ﷺ **«لما حملت حواء ـ وكان لا يعيش لها ولد ـ طاف بها إبليس، وقال: لا يعيش لك ولد**[2] **حتى تسميه عبد الحارث. فسمته فعاش، فكان ذلك [من] وحي الشيطان**[3] **وأمره»**[4]، فأنزل الله الآيات وسمّى هذه التسمية شركًا. وكان إبليس تسمى بالحارث[5]، والقصة في الدر المنثور[6] وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.(رقم٢٩٨٥).

(٢) في (أ): «ولدا».

(٣) في (ق): «وكان ذلك وحياً من الشيطان».

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١١) والترمذي (رقم٣٠٧٧) والطبراني في معجمه الكبير (٧/ ٢٦٠-٢٦١ رقم ٦٨٩٥) والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٤٥) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٩٦): رفعه إلى النبي ﷺ خطأ والصواب وقفه. والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٣٤٨ رقم ٣٤٢).
وقال ابن القيم – رحمه الله – في روضة المحبين (ص٣٠٨): فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث. ففعلا، فإن الله سبحانه اجتباه وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك.

(٥) في ثبوت تسمية إبليس بالحارث نظر، لأن الثابت أن هذا الاسم من خير السماء، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن والحارث**» أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٢) بلفظ:«أحب الأسماء إلى الله....»

(٦) انظر: الدر المنثور (٣/ ٦٢٣-٦٢٥) وعزاه إلى أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي
=

فَصْــل

قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك [أو جني] أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر، وأنه يقرب إلى الله [زلفى] أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل به إلى الرب - عز وجل - إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد ﷺ بخصوصه[1] ونحو ذلك ـ فإنه قد أشرك مع الله تعالى غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقده المشركون في الأوثان فضلاً عمن ينذر بماله أو ولده لميت [أو] حي أو يطلب من ذلك ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضه أو قدوم غائبه [س/ ٨] أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه، الذي كان عليه عباد الأصنام. والنذر بالمال للميت

=

الشيخ وابن مردويه والحاكم وغيرهم.

(١) كلام المصنف رحمه الله يوهم بضعف الحديث، ولكن الحديث صحيح، وليس فيه حجة لمن يجيز التوسل بذات النبي ﷺ أو التوسل بجاهه، بل إن الرجل الأعمى توسل إلى الله عز وجل بدعاء النبي ﷺ وهو حي، فقال له: ادع الله أن يعافيني فقال له رسول الله ﷺ: **«إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك»** قال: فادعه، قال: فأمره ﷺ أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيَّ».

والحديث أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٧٨) وابن ماجه (رقم ١٣٨٥) وأحمد (٤/ ١٣٨) والحاكم (١/ ٣١٣، ٥١٩) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال في الموضع الثاني: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ونحوه، والنحر على قبره، والتوسل به، وطلب الحاجات منه هو بعينه [الشرك][1] الذي كانت تفعله الجاهلية. وإنما [كان الجاهلية] يفعلونه لما يسمونه وثنًا وصنمًا، وفعله القبوريون لما يسمونه وليًا[2] أو قبرًا أو مشهدًا[3]، والأسماء لا أثر لها ولا تعتبر إلا المعاني[4]، ضرورة [لغوية] وعقلية وشرعية،

---

(١) في (ق): «هو الشرك بعينه».

(٢) في (ق): «وإنما الجاهلية كانوا يسمون ما يعبدونه وثناً وصنماً، وهؤلاء يسمونه وليًّا».

(٣)هذا هو الواقع المخزي والمؤلم لجموع غفيرة وألوف ممن ينتسبون للإسلام. قال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق: كتب الله لي أن أزور كثيرًا من عواصم العالم الإسلامي. ورأيت في كل صقع من أصقاعه من يتهافت على تلك الأوثان حبًا وتعظيمًا وخشية وإنابة وتضرعًا وافتقادًا، ولا حرج في التمثيل وذكر بعض الأمثلة لتلك الدول التي تبنت الإسلام شعارًا لا عقيدة. ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام، والله المستعان.

ثم ذكر بعض أسماء للقبور التي يقصدها العامة، وذكر ما يحدث عندها من كفر وشرك واضح وجلي عندنا فيه من الله برهان. انظر: دمعة على التوحيد (ص٥٥-٥٨).

ويقول العلامة الشوكاني في رسالته وجوب توحيد الله - عز وجل - (ص٨٠): فإن من يدعو الأموات، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويطلب منهم ما لايقدر عليه إلا الله سبحانه لا يصدر منه ذلك إلا عن اعتقاد كاعتقاد أهل الجاهلية في أصنامهم، هذا إن أراد من الميت الذي يعتقده ما كان تطلبه الجاهلية من أصنامها من تقريبهم إلى الله، فلا فرق بين الأمرين. وإن أراد استقلال من يدعوه من الأموات بأن يطلبه ما لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل - فهذا أمر لم تبلغ إليه الجاهلية.

(٤) وهذا مما ينبغي أن يتفطن له، ولا يليق بالمسلم الموحد أن ينخدع بمثل هذه التلبيسات فخطة إبليس أن يغير المعالم، ويبدل أسماء المعاصي والمنكرات إلى أسماء لا تنفر منها النفوس، فسموا الربا فوائد، وسموا العري والخنا والفجور تقدُّمًا ومدنية وحضارة، وسموا الخمور بأسماء عديدة، وسموا الشرك والكفر الواقع عند القبور محبة للأولياء والصالحين. والأولى والأحرى والأجدر =

فإن من شرب الخمر وسماها ماء ما شرب إلا خمرًا، وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية[١]. وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي أقوام يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها[٢] وصدق ﷺ [فإنه] قد أتي طوائف من الفسقة شربوا الخمر وسموها نبيذًا، وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين هو إبليس لعنه الله فإنه قال [أ/ ٨] لأبي البشر آدم - عليه السلام -: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ فسمّى الشجرة التي نهى الله آدم عن قربانها شجرة الخلد جذبًا لطبعه إليها وهزا لنشاطه إلى قربانها[٣] [غروراً له]، وتدليسًا عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة، وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ـ ظلمًا وعدوانًا ـ: أدبًا. فيقولون: أدب القتل، وأدب السرقة، وأدب التهمة، بتحريف [ق/ ٥]

=

بهؤلاء جميعهم أن تزاد عقوبتهم، لا أن تلتمس لهم المعاذير كما أشار المصنف - رحمه الله - إلى ذلك بقوله بعد قليل: «ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية».

(١) من قوله: «وعقابه عقاب شارب الخمر» إلى هنا سقط من «ق».

(٢) فعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب فيها طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها» أخرجه ابن ماجه (رقم٣٣٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٧٣).

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها...» أخرجه أبو داود (رقم٣٦٨٨) وابن ماجه (رقم٤٠٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٥٣، ٥٤٥٤)

(٣) من قوله: «شجرة الخلد جذباً» إلى هنا سقط من «ق».

اسم الظلم إلى اسم الأدب، كما يحرفونه في بعض المقبوضات[١] إلى اسم النفاعة، وفي بعضها إلى اسم السياقة، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين. وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان[٢]، كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة[٣]، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس، حيث سمّى الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد، فكذلك تسمية القبر مشهدًا، ومن يعتقدون فيه وليًّا لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين [للأوثان] والأصنام، ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونها استلامهم[٤] لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم:

---

(١) في (س): «القبوض».

(٢) في (س): «ظلماً وعدواناً».

(٣) وعلى هذا النسق درج أهل زماننا على تسمية الربا بالفائدة حتى تقبلها النفوس التي فيها بقية من خير، وينطلي أمرها على الهمج الرعاع الذين لا يأبهون من أين تأتيهم المكاسب.

وكذا الأمر فيما يسمونه بالضرائب والرسوم الجمركية التي هي في حقيقة الأمر المكوس المنهي عنها شرعًا، المتوعد مرتكبها بأشد أنواع العذاب، ويكفي فيه من الوعيد قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة صاحب مَكْسٍ**» أخرجه أبو داود (رقم ٢٩٣٧) والدارمي (رقم ١٦٧٣) وابن خزيمة (رقم ٢٣٣٣) وأحمد ٤/ ١٤٣، ١٥٠ والحاكم ١/ ٤٠٤ وقال: على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي وإن كان حديث عقبة بن عامر الجهني ضعيفاً، كما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ٦٣٤١) إلا أنه يتقوى بحديث رويفع بن ثابت «**إن صاحب المكس في النار**» وإن كان الألباني رحمه الله ضعفه أيضاً في ضعيف الجامع (رقم ١٨١٧) فالحديث يرتقي لدرجة الحسن لغيره. أخرجه أحمد ٤/ ١٠٩ والطبراني في الكبير (٤٤٩٣).

قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٣٤٩): المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس، وهو العشّار.

(٤) في (أ) (س): «ويلتمسونه التماسهم».

على الله وعليك[١]، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه:

فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلي، وأهل التهائم لهم في [س/ ٩] كل بلد ميت يهتفون باسمه، ويقولون: يا زيلعي يا ابن العجيل.

وأهل مكة وأهل الطائف: يا ابن العباس، وأهل مصر: يا رفاعي [يا بدوي] والسادة البكرية، وأهل الجبال: يا أباطير، وأهل اليمن: يا ابن علوان، وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر، وهذا بعينه فعل المشركين في الأصنام[٢]، كما قلنا في الأبيات

---

(١) في (ق): «على الله ثم عليك».

(٢) قال العالم العلامة حمد بن ناصر آل معمر التميمي في رسالته «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب» ط دار العاصمة (ص٣٩): «وهؤلاء المشركون اليوم منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لهج به كما يهلج الصبي بذكر أمه، فإذا تعس أحدهم قال: يا ابن عباس أو يا محجوب. ومنهم من يحلف بالله ويكذب ويحلف بابن عباس أو غيره فيصدق ولا يكذب، فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق» ثم قال - رحمه الله -: «فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب إلى الملك، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال المال والدم. وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك، وحكوا الإجماع. قال في الإقناع وشرحه: من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعًا. لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] انتهى نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية من الفتاوى (١/ ١٢٤-١٢٦).

النجدية[١]:

أعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة	أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلاً	وملتمس الأركان منهن بالأيدي[٢][٩/أ]

فإن قال: إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه.

فقل: إن كان النحر لله تعالى فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟

إن قال: نعم. فقل له: هذا النحر لغير الله، بل أشركت معه تعالى غيره[٣]، وإن لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه، أنت تعلم يقينًا أنك ما أردت ذلك أصلاً، ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك إلا لقصده[٤]، ثم كذلك دعاؤهم له فهذا الذي عليه هؤلاء

---

(١) في (ق): «وقد أشرت إلى ذلك في الأبيات النجدية».

(٢) في حاشية (س): «بلغ». وجاء فيها أيضاً: في نسخة: «يلتمس» «باليد».

(٣) قوله: «بل أشركت معه تعالى غيره» سقط من (ق).

(٤) هذه حقيقة واضحة ناصعة لا مرية فيها ولا جدل، فما خرج عابد الصنم والوثن من بيته إلا وهو قاصد بقلبه، متوجه بجوارحه، منجمع بمشاعره وأحاسيسه تجاه القبر، فليس خروجه سدًى أو عبثًا أو بلا قصد ونية ومعتقد، فهو في الحقيقة عابد لغير الله، وإن سمى عبادته هذه بأسماء كاذبة لا أصل لها من الشرع أو مستند يركن إليه ويعتمد عليه. وأولى بهذا أن تضاعف له العقوبة، ويغلظ =

شرك بلا ريب، وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء وينادونهم في شدتهم والرخاء، وهو عاكف على القبائح [والفضائح]، لا يحضر شيئًا حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور [هناك] و لا يحضر جمعة ولا جماعة، [ولا يعود مريضاً] ولا يشيع جنازة، [ولا يكتسب حلالاً] ويضم إلى ذلك دعوى [التوكل و] علم الغيب، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشعش إبليس في قلوبهم وباض فيها وفرّخ، يصدقون بهتانه، ويعظمون شأنه، ويجعلون هذا ندًّا لرب العالمين ومثلاً، فيا للعقول أين ذهبت؟ إذ جهلت الشرائع[1]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾.

فإن قلت: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلفاء مشركين كالذين[س/ ١٠] يعتقدون في الأصنام؟

=

فيه القول، لا أن يربت على كتفه، وتلتمس له المعاذير، ويوظف لـه الشيطان من المخدوعين من يجادل عنه، ويعادي إخوانه الموحدين من أجل عبدة الأوثان والأصنام.

وأما ما يدندن حوله بعض طلبة العلم من شبهات ألقاها على قلوبهم إبليس اللعين حتى يتم لـه تغير وتبديل معالم الدين ـ وهذا هو مأربه وغاية مسعاه ـ وهي قول بعضهم: بأن عابد الصنم هـذا عندما جاء إليه يدعوه أو يذبح له أو يطوف بقبره لم يقصد به الكفر ولم ينو بذلك الخروج من ملة الإسلام.

(١) ويا للقلوب التي انفطرت من غربة الدين وموت الغيرة من قلوب الجموع الغفيرة، فتبدلت الشرائع، وتغيرت المعالم، وتكدرت الحياة، ولعب الشيطان بعقول وقلوب الهمج الرعاع، فصار الشرك عندهم توحيدًا وانقلب الكفر لديهم إيمانًا ويقينًا، فإذا هب غيور للذود عن العقيدة ساموه أشد أنواع العذاب، ورموه عن قوس واحدة بأبلغ آيات العتاب، والأدهى والأمر من ذلك تأتيك الملام ـ أيها الموحد ـ ممن يُنتظر منهم مؤازرتك ومناصرتك على هؤلاء الطغام.

قلت: نعم، قد حصل منهم ما حصل من أولئك، وساووهم في ذلك، بل زادوا عليهم في الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم.

فإن قلت: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله - عز وجل - ولا نجعل له أندادًا، والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس بشرك.

قلت: نعم. ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك، والله تعالى يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي لا لغيره كما يفيده [ق/٦] تقديم الظرف، ويقول: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وقد عرفت بما قدمناه قريبًا، أنه سمّى الرياء شركاً فكيف بما ذكرناه؟ فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم، هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين. ولا ينفعهم قولهم: إنا لا نشرك بالله شيئًا لأن فعلهم/ [أ/ ١٠] أكذب قولهم[١].

فإن قلت: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه؟

قلت: قد صرح الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة، أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد[٢] معناها[٣]، وهذا دال على أنهم لا يعرفون

---

(١) هذا هو بيت القصيد، وهذه هي خلاصة القضية: إن فعلهم أكذب قولهم، فلا عبرة بأقوال لا تنهض أمام الأفعال، ولا معول على كلمات لا تقف حيال الأعمال.

(٢) في (ق): «يعتقد».

(٣) وهذا هو الموافق لروح الشريعة، إذ إن المتكلم بكلمة الكفر لم يتكلم بها، ولم تنبس بها شفتاه إلا عن قلب خلو من الإيمان، نضب منه التوحيد، وانهدم فيه أركان الإسلام، فلم تبق فيه ذرة من =

الإيمان التي تمنعه عن مثل كلمة الكفر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الشيق القيم الرائع «الإيمان»: «فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب، وبيَّن أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدرًا بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام.

وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، لفضلية الشيخ الدكتور صالح الفوزان (ص١٢٩-١٣٠).

وقال سبحانه: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]وقال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار**» أخرجه أحمد ٢/ ٢٣٦ والترمذي (رقم ٢٣١٤) وقال: حسن غريب وفي رواية:«**إن الرجل ليتكلم بالكلمة، وما يرى أنها تبلغ حيث بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفًا**﴾» أخرجها أحمد ٢/ ٤٠٢.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**» البخاري (رقم ٦٤٧٧) ومسلم (رقم ٢٩٨٨).

وفي رواية:«**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**» أخرجه البخاري (رقم٦٤٧٨) ومسلم (رقم٢٩٨٨).

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٣١٠-٣١١): «قوله:«ما يتبين فيها» أي لا يتطلب معناها، أي لا يثبتها بفكره ولا يتأملها حتى يتثبت فيها، فلا يقولها إلا إن ظهرت المصلحة في القول» ثم قال: « قال ابن عبد البر: الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر. وزاد ابن بطال: بالبغي أو بالسعي على المسلم، فتكون سببًا لهلاكه، وإن لم يرد القائل ذلك، لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القائل إثمها» ثم قال: «قال ابن التين: هذا هو الغالب، وربما كانت عند غير ذي سلطان ممن يتأتى منه ذلك. ونقل عن ابن وهب أن المراد بها التلفظ بالسوء والفحش ما لم يرد
=

حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد، فصاروا حينئذ كفارًا كفرًا أصليًّا[١]، فإن

=

بذلك الجحد لأمر الله في الدين. وقال القاضي عياض: يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنى والرفث وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشريعة إن لم يعتقد ذلك. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: هي الكلمة التي لا يعرف القائل حسنها من قبحها. قال: فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه» ثم قال: «قوله« لا يلقي لها بالاً» بالقاف في جميع الروايات، أي لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظن أنها تؤثر شيئًا، وهو من نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

وقال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٣٣٦): «لايرى بها بأسًا» أي سوءًا يعني لا يظن أنها تعد عليه ذنبًا ولا أنه يؤاخذ بها. ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ «يهوي بها» أي يسقط بسببها «سبعين خريفًا في النار» لما فيها من الأوزار التي ليس عند الغافل المسكين منها إشعار».

ولا عجب إذن من صنيع المؤلف، ودع عنك أخي المسلم شغب المشاغبين ومراوغات المراوغين، وخاصة أن شيخ الإسلام - رحمه الله - وهو العمدة في فصل النزاع وفض الخلاف وحسم القضايا فيما يتعلق بمسائل الإيمان والتوحيد والكفر والإشراك فها هو يقول في كتابه الممتع الرائق الشائق الصارم المسلول على شاتم الرسولﷺ (ص١٧٧-١٧٨): «وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كُفْرٌ كَفَرَ بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافرًا؛ إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله» أ.هـ

ثم يأتي بعد ذلك فريق من مدعي العلم يقررون غير ما قرره العلماء الربانيون، ويزعمون ـ وقد كذبوا ـ بأن الشخص لا يكفر إلا إذا اعتقد بقلبه الكفر، وقصد أن يكون من الكافرين. فهيهات هيهات وبعدًا وسحقًا، فها هي رايات أهل السنة وأعلام الهدى نرفعها في وجوههم، تلوح خفاقة لأجيال الأمة القادمة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧].

(١) سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين عن معنى قول الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمة الله عليه: ولا ينفع المشرك قوله: أنا لا أشرك بالله شيئاً، لأن فعله أكذب قوله. فإن قلت: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلون؟ قلت: قد صرح الفقهاء في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها. وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ما هية

=

الله تعالى قد فرض على عباده إفراده بالعبادة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وإخلاصها ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ومن نادى الله ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهارًا وخوفًا وطمعًا، ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة. [فإن الدعاء من العبادة] وقد سماه الله عبادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ بعد قوله ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

فإن قلت: فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلك رسول الله ﷺ في المشركين؟

=

التوحيد، فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً، فإن الله تعالى قد فرض على عباده إفراده بالعبادة أن لا يعبدوا إلا إياه. ذكره في تطهير الاعتقاد.

فأجاب رحمه الله تعالى: قول محمد بن إسماعيل الأمير: إنه لا ينفع قول من فعل الشرك: أنا لا أشرك بالله. يعني أنه إذا فعل الشرك فهو مشرك، وإن سماه بغير اسمه، ونفاه عن نفسه.

وقوله: قد صرح الفقهاء في كتبهم بأن من تكلم بكلمة الكفر يكفر، وإن لم يقصد معناها. فمرادهم بذلك من تكلم بكلام كفر مازحاً وهازلاً، وهو عبارة كثير منهم في قولهم: من أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين وإن كان مازحاً، لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ وأما من تكلم بكلمة كفر لا يعلم أنها كفر يُعرَّف بذلك، فإن رجع فإنه لا يحكم بكفره، كالذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

وقوله: فصاروا كفاراً كفراً أصلياً. يعني أنهم نشأوا على ذلك، فليس حكمهم كالمرتدين الذين كانوا مسلمين ثم صدرت منهم هذه الأمور الشركية، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد وآل محمد وأصحاب محمد وسلم تسليماً كثيراً. انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

قلت: إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم، فقالوا: يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر[(١)]، لا يغني عنهم من الله شيئًا، وأنهم أمثالهم، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك، [س/ ١١] لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه وإفراد التوحيد اعتقادًا وعملاً لله تعالى وحده، وهذا واجب على العلماء أي بيان أن ذلك الاعتقاد الذي تفرعت منه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم، فإذا أبانت العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى إخلاص التوحيد، فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين[(٢)].

---

(١) في (ق): «لا ينفع ولا يضر».

(٢) جاء في حاشية (س) فإنهم قبل التعريف بأنهم على جهالة وضلالة وخصلة من خصال الكفر كافرون كفراً أصغر لا يبيح دماء ولا مالاً ولا سبي حريم ولا أطفال، لأنهم آتون بخصلة كفرية، وهذا هو الذي سماه السلف كفراً دون كفر. وقد حققناه في رسالة مستقلة، سميناها: «تحقيق الفروق بين أنواع الكفر والظلم والفسوق». وهي نافعة جداً، يندفع بها تعارض آيات وأحاديث، فهؤلاء القبوريون ممن اتصف بالكفر الأصغر، وهو معصية عظيمة، فإذا عرفوا ما هم عليه من الضَّلال، ومن عقائد الكفار والضُّلال. وأن التوبة واجبة عليهم عن هذا الاعتقاد وعن فروعه من عبادة القبور والأولياء، واتخاذهم لله سبحانه أنداداً، فإن تابوا فباب التوبة مفتوح، وإن أصروا تعين جهادهم، وحل منهم ما أحل الله لرسوله ﷺ من المشركين».

قلت: هكذا جاء في حاشية (س) وهو كما ترى مخالف لما قرره المصنف في صلب الرسالة، ولولا الأمانة العلمية لما أثبته. ولكني بعد مراجعة الكتاب للمرة الثالثة على المخطوطة الثالثة (ق) وجدت

=

فإن قلت: الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث، فإنه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى عليهم السلام وينتهون إلى محمد ﷺ بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء(١)، فهذا دليل على أن الاستغاثة [بغير الله ليست بمنكر.

قلت: هذا تلبيس فإن الاستغاثة](٢) بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون [عليه] لا ينكرها أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الإسرائيلي والقبطي: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن[أ/ ١١] شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلب أمور [ق/ ٧] لا يقدر عليها إلا الله تعالى من عافية المريض وغيرها، بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الأحياء من اتباع من يعتقدون فيه قد يجعلون له حصة من الولد إن عاش، ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش لهم، ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون(٣). ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض

=

أن هذه النقل في صلب الرسالة، وهو كما قلت مخالف لما قرره الصنعاني في هذه الرسالة، قبل هذه النقل مباشرة وبعده، فيبدو والله أعلم أن هذا من تصرف الناسخ، فقد يكون رآه على هامش إحدى النسخ فظنه أنه من أصل الرسالة وهو ليس كذلك.

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٣٤٠، ٤٧١٢، ٧٥١٠) ومسلم (رقم١٩٣، ١٩٤).

(٢) ما بين المعكوفين سقط من (ق).

(٣) وهذا جلي وواضح، وليس فيه لبس ولا غموض، وخاصة لمن وقف على حقيقة أمر هؤلاء، فتراهم يدعون الأموات ويعفرون أنوفهم ووجوههم على عتبات الأولياء في الشدة والرخاء، داعين

=

أهل القبور: أنه جاءه إنسان بدراهم وحلية نسائه، وقال: هذا لسيدي فلان - يريد صاحب القبر - نصف مهر ابنتي، لأني زوجتها، وكنت ملّكت نصف مهرها فلاناً - يريد صاحب القبر - فهذا شيء ما بلغ إليه عباد الأصنام. [وهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ بلا شك ولا ريب][(١)].

نعم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما يدعون الله تعالى [أن] يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف، وهذا لا شك في جوازه. أعني طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده [س/ ١٢] لبعض، بل قد قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمرًا: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**»[(٢)]. وأمرنا الله تعالى أن ندعوا للمؤمنين والمؤمنات، ونستغفر لهم [يعني قوله تعالى:

=

مستغيثين، وجلين خائفين، راغبين راهبين، عكس ما كان عليه المشركون الأوائل، الذين إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين في حال الشدة والإشراف على الهلكة، فإذا نجاهم ربهم ووطأت أقدامهم أرض النجاة واستشعروا السلامة والأمان فإذا هم مشركون . وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

(١) ما بين المعكوفين سقط من (ق).

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٩ وأبو داود (رقم ١٤٩٨) والترمذي (٣٥٦٢) وابن ماجه (رقم ٢٨٩٤) والبزار (رقم ١١٩) وأبو داود الطيالسي (رقم١٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ٣٨٥) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وكذا صححه محقق عمل اليوم والليلة، بينما ضعفه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، والشيخ الألباني في تحقيقه للمشكاة (رقم٢٢٤٨).

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[١]] وقد قالت أم سليم [رضي الله عنها]: يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له[٢]، وقد كان الصحابة [رضي الله عنهم] يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه، وإنما الكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا على حبلاهم، وأن يسقوا زروعهم[٣]، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين[٤]، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى[٥]. [وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾،﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾][٦] فكيف يطلب من الجماد أو من حي، الجماد خير منه[٧]، لأنه لا

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من (ق).

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أم سليم: أنس خادمك قال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**» أخرجه البخاري (رقم ٦٣٨٠، ٦٣٨١) ومسلم (رقم ٢٤٨٠)

(٣) في (ق): «وأن يسقوا ضرعهم».

(٤) في (س): «ويدروا ضروعهم وأن يحفظوا مواشيهم من العين».

(٥) هذا هو عين ما كان يفعله عباد الأصنام والأوثان والمشركون مع معبوداتهم قبل بعثة النبي ﷺ

(٦) ما بين المعكوفين سقط من (ق).

(٧) مصداق هذا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤].

=

تكليف له عليه[١]. وهذا شيء ما فعله المشركون[٢] في عبادة الأصنام، وهذه بعينها [هي] العبادة. وهذه النذور بالأموال، وجعل قسط منها للقبر[٣]، كما يجعلون شيئًا من الزرع يسمونه تلما في بعض/ [أ/ ١٢] الجهات اليمنية للميت، وكذلك يجعلون له نصيبًا من [أموالهم و] أنعامهم هو بعينه [الذي] كان يفعله المشركون الذين حكى الله تعالى عنهم ذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقدوا إلا فى الله تعالى، وجعلوا لهم جزءًا من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم [مسافرين] للزيارة، وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد، ونحروا تقربًا

=

ومصداق هذا أيضًا قول رسول الله ﷺ: «...... فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرًا لله تبارك وتعالى منه». أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٣٩ والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٩٣ رقم ٤٣٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٣: «رواه أحمد وإسناده حسن. وقد أشار الألباني إلى ضعف هذه الجملة في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٠) عند كلامه على الحديث (رقم٢١)، وكذا ضعفه في ضعيف الجامع (رقم٧٨٣).

(١) قوله: «أو من حي الجماد خير منه، لأنه لا تكليف له عليه» سقط من (ق).

(٢) في (ق): «وهذا عين ما فعله المشركون».

(٣) في (ق): «وجعل الله قسطا منها للقبر». قلت: هذا تصحيف قبيح! كيف يستقيم هذا أن يجعل الله قسطا من هذه النذور بالأموال للقبر؟! إن هذا محض افتراء وكذب فكيف ينسب هذا إلى الله عز وجل؟!

إليهم ـ وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك ـ ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم؟ لا أستبعد [أن فيهم] من يفعل ذلك، [س/١٣] بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد(١) على عتبة باب مشهد الولي، الذي يقصده تعظيمًا له وعبادة، ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه(٢)، وهكذا كان عباد الأصنام ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ وفي الحديث الصحيح «**من حلف فليحلف بالله أو**

---

(١) أقسم بالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، إله السموات والأرض، ورب العرش الكريم، يمين أسأل عنه يوم القيامة بأني رأيت بعيني رأسي من يسجد لأحد أركان قبر السيدة زينب بالقاهرة، وكان ذلك في بداية طلبي للعلم، وساعتها لم أكن أعلم بعدم جواز وصحة الصلاة في المسجد الذي به قبر، فأدركتني صلاة العصر وأنا قريب من مسجد السيدة زينب، فدخلت لأصلي بينما أنا أبحث عن مكان الوضوء دخلت خطأ في الحجرة التي بها القبر فرأيت عجبًا: رأيت من يطوف بالقبر، ومن يتمسح بالأركان، ومن يسجد ومن يرفع يديه داعيًا متذللاً خاشعًا خارجًا من الغرفة، وذاك البائس لم يستطع أن يولي ظهره للقبر، فرأيته يرجع القهقرى ويديه ترتعشان في ذلة وانكسار، فما أن رأيت هذه المشاهد حتى دخلتني الدهشة، وأخذني الرهب إلى أن وجدت نفسي خارج المسجد أبحث عن مسجد آخر لإدراك صلاة العصر، وكان هذا في عام ١٤٠٤هـ.

(٢) لم يصل الحال بهم إلى هذه الدرجة إلا لما رأوا منهم وعاهدوا عليهم، فهم يقسمون الأيمان المغلظة بالله العظيم كذبًا واستخفافًا وتساهلاً وأصبح اسم الله على ألسنتهم سهلاً ميسوراً يحلفون به ولا يأبهون ولا يعظمون، فإذا طلب من الواحد منهم أن يحلف باسم وليه أو معبوده أخذته الرجفة، وعلاه الرمضاء، وبدت على ملامح وجهه بشائر التعظيم التبجيل لشيخه ومعبوده فيحجم عن القسم باسمه إن كان كاذبًا، فصار من سمت هؤلاء وهديهم أنهم إذا حلفوا بالله عُلمَ منهم أنهم كاذبون، وإذا حلفوا باسم وليهم ومعبودهم عُلِمَ منهم أنهم صادقون، فقبل الناس منهم، واطمأنوا إليهم، وهذا واقع لا يجادل فيه إلا مماطل.

ليصمت»[١].

وسمع [رسول الله] ﷺ رجلاً يحلف باللات [والعزى] [ق/ ٨]، فأمره أن يقول: «لا إله إلا الله»[٢]. وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد إسلامه، فإنه قد كفر بذلك[٣]، كما قررناه في «سبل السلام شرح بلوغ المرام»[٤] وفي «منحة الغفار»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم٢٦٧٩) ومسلم (رقم ١٦٤٦).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه: واللات العزى. فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه، تعال أقامرك. فليتصدق».أخرجه البخاري (رقم ٤٨٦٠، ٦١٠٧، ٦٣٠١، ٦٦٥٠) ومسلم (رقم١٦٤٧).

(٣) شغب بعض طلبة العلم على الإمام الصنعاني إذ يقول بذلك في الحالف بغير الله، وهم يعلمون أن العالم المجتهد إذا أخطأ، فهو إن شاء الله غير مأزور، بل مأجور، وخطؤه مغفور له، والإمام الصنعاني وله سلف في ذلك، فها هو الإمام ابن العربي المالكي قال: «من حلف بها جادًّا فهو كافر، ومن قالها جاهلاً أو ذاهلاً يقول: لا إله إلا الله يُكفِّر الله عنه، ويرد قلبه عن السهو إلى الذكر ولسانه إلى الحق وينفي عنه ما جرى به من اللغو» ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦١٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٠/ ٥١٦): قال ابن بطال عن المهلب: أمره ﷺ للحالف باللات والعزى بقوله: لا إله إلا الله. خشية أن يستديم حاله على ما قال، فيخشى عليه من حبوط عمله فيما نطق به من كلمة الكفر بعد الإيمان. قال: ومثله قوله: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» فنفى عنه الإيمان في حالة الزنا خاصة. انتهى. وقال في موضع آخر ليس في هذا الحديث إطلاق الحلف بغير الله، وإنما فيه تعليم من نسي أو جهل، فحلف بذلك أن يبادر إلى ما يكفر عنه ما وقع فيه.

(٤) (٤/ ١٤٣٣-١٤٣٤).

(٥) على ضوء النهار للجلال (٤/ ١٨٤٠-١٨٤١).

فإن قلت: لا سواء، لأن هؤلاء[١] قد قالوا: لا إله إلا الله. وقد قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[٢] وقال لأسامة بن زيد: «**أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟!**»[٣] وهؤلاء يصومون ويصلون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين.

قلت: قد قال ﷺ: «**إلا بحقها**»، وحقها إفراد الله بالإلهية والعبودية لله تعالى، والقبوريون [أ/١٣] لم يفردوا هذه العبادة. فلم تنفعهم كلمة الشهادة، فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها، ولم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء، وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبيًّا لم تنفعه كلمة الشهادة[٤]، ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، ولكن قالوا: إن مسيلمة نبي. فقاتلهم الصحابة وسبوهم؟ فكيف بمن يجعل للولي خاصية الإلهية ويناديه للملمات؟ وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ، وقد كانوا يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولكنهم غلوا في عليّ - رضي الله عنه -، واعتقدوا فيه ما اعتقده

(١) جاء في حاشية (س): «لا شك أن هؤلاء قد»، بينما جاء في (ق) في صلب الرسالة هكذا.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٩٢، ٢٩٤٦) ومسلم (رقم ٢١).

(٣) أخرجه البخاري (رقم٤٢٦٩، ٦٨٧٢) ومسلم (رقم٩٦).

(٤) لأنه أتى بناقض لشهادة: أن محمدًا رسول الله. فمن شهد لغير رسول الله بالنبوة أو الرسالة فقد كفر بمحمد ﷺ وأن طفق ليل نهار يردد ألفاظ وكلمات وحروف هذه الشهادة، فإنه قد هدم قواعدها ونقض أصولها، ولا عبرة ساعتئذ بقول عارٍ عن دلالته وحقيقته ومدلوله ومعناه.

القبوريون وأشباههم، بل عاقبهم عقوبة لم يُعاقِب بها أحدًا[(١)] من العصاة، فإنه حفر لهم الحفائر، وأجج لهم [س/ ١٢] نارًا، وألقاهم فيها، وقال:

إنــي إذا رأيــت أمــرًا منكــرًا[(٢)] أججت نـاري ودعـوت قنبرًا[(٣)]

وقال الشاعر [في عصره]:

لـترم بـي المنيـة حيـث شـاءت إذا لم تـــرم بـــي في الحفـــرتين
إذا مــا أججــوا فــيهن نــارًا رأيــت المـوت نقـدًا غـير ديـن[(٤)]

---

(١) في (أ): «أحد» بالرفع، وفي جميع النسخ الخطية والمطبوعة «أحدًا» بالنصب، وكلاهما له وجه من الإعراب.

(٢) في (س): «لما رأيت الأمر أمراً منكراً».

(٣) ذكر هذه القصة الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) وجاء فيه:
أوقدت ناري. بدل: أججت ناري.
ثم قال الحافظ: وهذا سند حسن. وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق قتادة: أن عليًّا أتي بناس من الزط يعبدون وثنًا فأحرقهم. فسنده منقطع، فإن ثبت حُمِلَ على قصة أخرى. وذكر الحافظ القصة.
انظر: نيل الأوطار للشوكاني (٧/ ١٩٣-١٩٤).

(٤) أخرجه الحميدي في مسنده (١/ ٢٤٤-٢٤٥ رقم ٥٣٣) بسنده عن عكرمة قال: لما بلغ ابن عباس أن عليا أحرق المرتدين يعني الزنادقة. قال ابن عباس: لو كنت أنا لقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» ولم أحرقهم، لقول رسول الله ﷺ: « **لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله**».
قال سفيان: فقال عمار الدهني وهو في المجلس: مجلس عمرو بن دينار وأيوب يحدث بهذا الحديث: إن عليًّا لم يحرقهم، إنما حفر لهم أسرابًا، وكان يدخن عليهم منها حتى قتلهم. فقال عمرو بن دينار: أما سمعت قائلهم وهو يقول:
=

والقصة في (فتح الباري) وغيره من كتب الحديث والسير، وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال: لا إله إلا الله[1]، فكيف من جعل لله ندًّا؟

فإن قلت: قد أنكر ﷺ على أسامة قتله لمن قال: لا إله إلا الله[2]. كما هو معروف في كتب الحديث والسير

قلت: لا شك أن من قال: لا إله إلا الله من الكفار حقن دمه وماله، حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله، ولذا أنزل الله تعالى في قصته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ الآية. فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن

=

لترم بي المنايا حيث شاءت	إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما قربوا حطبًا ونارًا	هناك الموت نقدًا غير دين

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٦/ ١٥١) تصريح الحميدي عن سفيان بتحديث أيوب له به .وذكر البيتين وجاء في الثاني منهما عنده: إذا ما أججوا

(١) قال الله تعالى : ﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد:٥] هذا هو حكم الله فيهم.

(٢) قال أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال: فصبحنا القوم فهزمناهم قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله. قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: «**يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!**» قال: قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا. قال: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!**» قال: فما زال يكررها عليَّ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. أخرجه البخاري (رقم ٤٢٦٩، ٦٨٧٢) ومسلم (رقم٩٦).

من قال كلمة التوحيد، فإن تبين التزامه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن تبين خلافه لم يحقن بمجرد اللفظ ماله ودمه. وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يخالف ذلك[(١)]، ولم تنفع هذه الكلمة بمجردها اليهود، ولا نفعت هذه الكلمة الخوارج/ [أ/ ١٤] مع ما انضم إليها من العبادة، التي [كان] يحتقر الصحابة رضي الله عنهم عبادتهم إلى جنبها، بل أمر [النبي] ﷺ بقتلهم وقال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[(٢)] وذلك لما خالفوا [بعض] الشريعة، وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء[(٣)]، كما ثبتت به الأحاديث.

فثبت أن مجرد قول كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه ما يخالفها من عبادة غير الله.

---

(١) فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قال: قال ابن عباس: كان رجل في غُنَيمَةٍ له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم. فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تلك الغُنيمةُ. أخرجه البخاري (رقم ٤٥٩١) ومسلم (رقم٣٠٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقم٣٣٤٤) ومسلم (رقم١٠٦٤).

(٣) فعن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رؤوسًا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه. ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية، قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أوثلاثًا أو أربعًا حتى عد سبعًا: ما حدثتكموه. أخرجه الحميدي (٢/ ٤٠٤ رقم ٩٠٨) وأحمد (٥/ ٢٥٦) والترمذي (رقم ٣٠٠٠) وابن ماجه (رقم ١٧٦) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

فإن قلت: القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء، يقولون: نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد إلا الله وحده، فلا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج.

قلت: هذا جهل بمعنى العبادة، فإنها ليست منحصرة فيما ذكرت، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمونه معتقدًا، ويضيفون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم [ق/ ٩] وندائهم، والتوسل/ [س/ ١٣] بهم والاستغاثة والاستعانة، والحلف والنذر وغير ذلك. وقد ذكر العلماء: أن من تزيا بزي الكفار صار كافرًا(١)، ومن تكلم

---

(١) فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**».اخرجه أحمد ٢/ ٥٠ وأبو داود (رقم٤٠٣١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى(٢٥/ ٣٣١): هذا حديث جيد. وقال في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٤٠): وهذا إسناد جيد. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٨٣١).

وقال أيضًا – رحمه الله – في الاقتضاء (١/ ٢٤١-٢٤٢): وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١] وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمر أنه قال: من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة. فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في هذا القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرًا أو معصية أو شعارًا لها كان حكمه كذلك، انتهى كلامه رحمه الله .

بكلمة الكفر صار كافرًا[١]، فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقادًا وقولاً وفعلاً؟.

فإن قلت: هذه النذور والنحائر ما حكمها؟

قلت: قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها، يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية، وبقطع الفيافي من أدنى الأرض والأقاصي، فلا يبذل أحد من ماله شيئًا إلا معتقدًا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر، فالناذر للقبر ما أخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهمًا، فإن الأموال عزيزة عند أهلها. قال تعالى ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾، فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله، وأنه لا ينفعه ما يخرجه، ولا يدفع عنه ضررًا، وقد قال ﷺ «**إن النذر لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»[٢]، فيجب رده إليه، وأما القابض للنذر فإنه حرام عليه قبضه، لأنه أكل لمال الناذر بالباطل لا في مقابلة شيء، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟

---

(١) ينظر في ذلك رسالة«ألفاظ الكفر» لإسماعيل بن محمود بن محمد المعروف ببدر الرشيد المتوفى سنة ٧٦٨، وكذا رسالة «الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة» لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، ففيهما فوائد جمة.
ويكفي في ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» أخرجه البخاري (رقم٦٤٧٧) ومسلم (رقم٢٩٨٨) (٥٠) واللفظ له وفي رواية لهما: «... **وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم**».
وانظر شرح الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣١٠-٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٦٠٨، ٦٦٩٢، ٦٦٩٣) ومسلم (رقم ١٦٣٩).

﴿أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾، ولأنه تقرير للناذر/ [أ/ ١٥] على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك[١] [﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾ الآية] فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي[٢]، ولأنه تدليس على الناذر وإيهام له أنه ينفعه الولي ويضره، فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت؟ وأي تدليس أعظم؟ وأي رضاء بالمعصية العظمى أبلغ من هذا؟ وأي تصيير للمنكر معروفًا أعجب من هذا؟ وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب، يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر، فينذر له جزءًا من ماله، أو يقاسمه في غلات أطيانه، ويأتي به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ويوهمونه حقية عقيدته[٣]، وكذلك يأتي بنحيرته[٤] فينحرها بباب بيت الصنم، وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرسل لإزالتها

---

(١) فمن رضي بالكفر والشرك فهو كافر مشرك وإن لم يفعل من ذلك شيئًا سوى الرضى القلبي، قال البدر الرشيد في رسالته: «ألفاظ الكفر»: «وأن من ضحك مع الرضا عمن يتكلم بالكفر كفر» (ا/ ب) مخطوط.

(٢) فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغيّ وحُلْوان الكاهن. أخرجه البخاري (رقم ٢٢٣٧) ومسلم (رقم ١٥٦٧).
ومن قوله: «ورضاه بذلك» إلى «ومهر البغي» سقط من (ق).

(٣) قال الشيخ قاسم في شرح درر البحار: النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب والطعام أو الشمع كذا ـ باطل إجماعًا لوجوه: منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز. ومنها: أنه ظن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر. إلى أن قال: وقد ابتلي الناس بذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي. أ.هـ انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٥١.

(٤) في (ق): «يأتي بالأنعام».

وإحراقها وإتلافها والنهي عنها.

فإن قلت: إن الناذر قد يدرك/ [س/ ١٤] النفع و[دفع] الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله[١].

قلت: كذلك الأصنام كان يدرك منها ما هو أبلغ من هذا، وهو الخطاب من جوفها، والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان، فإن كان هذا دليلاً[٢] على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها، فليكن دليلاً على حقية الأصنام، وهذا هدم للإسلام وتشييد لأركان الأصنام، والتحقيق أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم العناية في إضلال العباد، وقد مكّن الله إبليس من

---

(١) قد يكون ذلك واقعًا ولكن لا يعني صحة ذلك وقبوله، فإن الله - عز وجل - قد يبتلي بعض العباد بمثل ذلك، حيث يتم لهم المراد وتتحقق الرغبات بعد الوفاء بالنذور، فيظنون أن ذلك ببركة الشيخ ابتلاءً واختبارًا لهم وفتنةً، كما يحدث لبعض العصاة أن يمد الله لهم في النعيم والملذات الدنيوية وهم واقعون في شراك المعاصي، فيظنون أنهم بذلك على خير، وإلا لما جاءهم هذا الخير والنعيم الذي هم فيه، ونسوا قول الرسول ﷺ: «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج**» صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٥٦١) والصحيحة (رقم٤١٤).

وقد يكون أيضًا من قبيل دعاء المضطر، حيث يأتي هذا الناذر وهو في غاية التذلل والخضوع والخشوع والانكسار بين يدي القبر والميت، فيدعو الله تعالى مخلصًا له الدين ولكنه أتى القبر ظانًا أن فيه البركة، فيستجيب الله له لاضطراره، فيظن ذلك المخدوع أن الشيخ استجاب له أو توسط له عند ربه وشفع فيه فيزداد بذلك بلاؤه وفتنته والعياذ بالله.

(٢) قوله: «على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها، فليكن دليلاً» سقط من (ق).

الدخول إلى الأبدان والوسوسة في الصدور[١] والتقام القلب بخرطومه[٢]، فكذلك يدخل أجواف الأصنام، ويلقي الكلام في أسماع الأقوام، ومثله يصنعه في أهل عقائد القبوريين، فإن الله تعالى قد أذن له أن يجلب على بني آدم بخيله ورجله، وأن يشاركهم في الأموال والأولاد، وثبت في الأحاديث أن الشياطين تسترق السمع بالأمر الذي يحدثه الله فتلقيه إلى الكهان، وهم الذين يخبرون بالمغيبات، ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة[٣]، ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور [وغيرهم بذلك البهتان والزور] فيقولون للقبورين للقبوريين: إن الولي فعل وفعل[٤]، يرغبونهم فيه،

---

(١) مصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**». أخرجه البخاري (رقم٧١٧١) ومسلم (رقم ٢١٧٥).

(٢) يروى في ذلك حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ : «**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله تعالى خنس، وإن نسي الله التقم قلبه**».أخرجه أبو يعلى في المسند (٧/ ٢٧٨-٢٧٩ رقم ٤٣٠١) وضعّف سنده الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٧٤٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم ١٤٨٠)

بينما أخرج البخاري عن ابن عباس تعليقًا ما يشهد لذلك بقوله :﴿الوسواس﴾ إذا وُلِدَ خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله - عز وجل - ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه.
كتاب التفسير، باب سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ - (ص٩٨٩) ط بيت الأفكار الدولية.

(٣) عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**» أخرجه البخاري (رقم٣٢١٠) ومسلم بلفظ مختلف (رقم٢٢٢٨).

(٤) في (أ): «فيقولون أو غيرهم إنه فعل الولي وفعل».

ويحذرونهم منه، ويرون ملوك الأقطار/ [أ/ ١٦] [وولاة الأمصار] مقررين لذلك [ق/ ١٠] ويولون العمال لقبض النذور، وقد يتولاها من يحسنون الظن فيه من عالم وقاض [أو مفت أو شيخ صوفي][١] فيتم التدليس لإبليس. [وتقر عينه بهذا التلبيس][٢].

فإن قلت: هذا أمر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبق الأرض شرقًا وغربًا، ويمنًا وشامًا، وجنوبًا وشمالاً[٣]، بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام، [ولا قرية من قراه][٤] إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء، يعتقدون فيها[٥] ويعظمونها، وينذرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويحلفون بها ، ويطوفون بفناء القبر، ويسرجونه، [ويلقون عليها الأوراد والرياحين، ويلبسونها الثياب][٦] ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها و [ما في معناها، من] التعظيم [والخضوع والخشوع، والتذلل والافتقار إليه]، بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منها، أو مشهد يقصده المصلون في

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من (ق).

(٢) هذا هو الواقع المؤلم المخزي عندما ترى أناسًا ممن يحملون الشهادات العالية في علوم الشريعة من أكبر وأعرق وأقدم الجامعات الإسلامية ـ يخطبون في الناس ويعظونهم ثم هم أنفسهم يقومون على رعاية إقامة أعياد للمقبورين وجمع النذور والدعوة إلى الاعتقاد في هؤلاء الأموات ومباركة كل ما يمسهم من قريب أو بعيد وإن لله وإنا إليه راجعون وإلى الله المشتكى.

(٣) في (أ): «وعدنا» وفي (س) (ق): «وعدنا وشمالاً».

(٤) ما بين المعكوفين سقط من (ق).

(٥) في (أ) (س) (ق) «يعتقدونها».

(٦) ما بين المعكوفين سقط من (ق).

أوقات الصلاة يصنعون فيه ما ذكر أو بعضًا مما ذكر، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من /[س/ ١٥] الشناعة [والقباحة]، ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع الجهات[١] من الدنيا[٢].

قلت: إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف، وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل، لا ما اتفق عليه العوالم جيلاً بعد جيل، وقبيلاً[٣] بعد قبيل، فاعلم أن هذه الأمور التي نددن حول إنكارها، ونسعى في هدم منارها صادرة من العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعة لهم من غير فرق بين دبير وقبيل، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب جلدته، يلقنونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدونه ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به إلى محل قبره ويلطخونه بترابه، يجعلونه طائفًا في قبره، فينشأ وقد قرّ في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ [عليه] الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل يُرى من يتسمى بالعلم ويدعي الفضل، وينتصب للقضاء

---

(١) في (أ) (س) (ق) «في جهات».

(٢) حذار حذار أيها الموحد أن تدخل عليك هذه الشبهة أوتجد لقلبك وعقلك مسلكًا، والحمد لله لا تخلو الأمة من ناصح ينصح لله ولرسوله ولدينه ولأئمة المسلمين وعامتهم، فهاهم العلماء الربانيون قائمون بأمر الله على حفظ الدين والدفاع عن العقيدة بألسنتهم وأقلامهم، منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً، رحم الله من مات منهم، وحفظ الله من كان منهم على قيد الحياة.

(٣) في (أ): «جيل... وقبيل». وفي (س): «وقبيل».

أو للفتيا أو للتدريس، أو الولاية [والمعرفة]، أو الإمارة [والحكومة]، معظمًا لما يعظمونه، مكرمًا لما يكرمونه، قابضًا للنذور، آكلاً ما ينحر على القبور[1]، فيظن أن هذا دين الإسلام، وأنه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر - إن سكوت [أ/ ١٧] العالِم أو العالَم[2] على وقوع منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر.

ولنضرب لك مثلاً في ذلك، وهي هذه المكوس المسماة بالمجابي[3] المعلوم من ضرورة الدين تحريمها[4]، قد ملأت الديار والبقاع، وصارت أمرًا

---

(١) أما لو رأى الإمام الصنعاني ما يحدث في المدن والقرى والكفور وفي كثير من بقاع العالم الإسلامي لازدادت حسرته وبلغ توجعه مبلغًا عظيمًا، وكان تشنيعه على هؤلاء أعظم وتثريبه عليهم أشق وأطم.

(٢) في (ق): «العالم والغالب».

(٣) المعروفة لدينا في العصر الحاضر بالرسوم الجمركية والضرائب، التي تؤخذ عنوة وقسرًا وظلمًا وأكلاً لأموال الناس بالباطل.

(٤) فتحريم الضرائب والمكوس هذه يندرج تحت أكل أموال الناس بالباطل، الذي نهينا عنه شرعًا، امتثالاً لقول الله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كما أن هذه الضرائب هي أشد وأشنع من ارتكاب جريمة الزنا، فها هي الغامدية التي زنت جاءت إلى رسول الله ﷺ معترفة فأقام عليها الحد الذي شرعه الله تعالى وهو الرجم، وكان ممن رجمها خالد بن الوليد، فلما نضح الدم على وجه خالد سبها، فأنكر عليه رسول الله ﷺ ذلك السب، وقال له: «**مهلاً يا خالد فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مَكْسٍ لغُفِرَ له**» ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت. فمفهوم الحديث أن حرمة المكوس أعظم حرمة من حرمة الزنا والعياذ بالله.

الحديث أخرجه مسلم (رقم١٦٩٥/ ٢٣).

مأنوسًا، لا يلج إنكارها إلى سمع من الأسماع، وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع، في مكة أم القرى، يقبض من القاصدين لأداء فريضة الإسلام[١]، ويلقون في البلد الحرام كل فعل حرام، وسكانها من فضلاء الأنام والعلماء والحكام ساكتون عن الإنكار[٢]، معرضون عن إيراده والإصدار، أفيكون السكوت من العلماء بل من العالَم دليلاً على جوازها، وأخذها وإحرازها؟ [ق/ ١١] هذا لا يقوله من له أدنى إدراك.

بل نضرب لك مثلاً آخر، حرم الله [س/ ١٦] الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق وإجماع العلماء، أحدث فيه بعض الملوك الشراكسة الجهلة الضلال، هذه المقامات الأربعة التي فرقت عبادات العباد واشتملت على ما لايحصيه إلا الله - عز وجل – من الفساد، وفرقت [شمل جماعات] المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين[٣]. بدعة قرت بها عين إبليس اللعين، وصيّرت المسلمين ضحكة للشياطين، وقد سكت الناس عليها، ووفد علماء الآفاق والأبدال والأقطاب إليها، وشاهدها كل ذي عينين، وسمع بها كل ذي

---

(١) هذا كان في زمن الإمام الصنعاني وقبله، أي قبل سنة ١١٨٢ هـ.

(٢) أما الآن، فبحمد الله، فإن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهل الحسبة أعانهم الله لا يقفون على منكر إلا أزالوه أو رفعوه إلى الجهات المختصة لاتخاذ اللازم معهم من إقامة الحد عليهم أو تعزيرهم، فنسألك اللهم أن تمكن لأهل الحسبة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وأن توفقهم لإقامة هذه الشعيرة والضرب على أيدي العابثين الماجنين المتعدين حدود الله.

(٣) الحمد لله، هذا لم يعد موجوداً الآن، فقد أزيلت هذه المقامات الأربعة التي كانت تمثل المذاهب الأربعة [والأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة] واجتمع المصلون خلف إمام واحد.

أذنين، أفهذا السكوت دليل على جوازها[1]؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف. كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريين.

[**فإن قلت:** يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة، حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة]

قلت: الإجماع حقيقته اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ على أمر بعد عصره. وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأئمة الأربعة، وإن كان هذا قولاً باطلاً، وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً، فعلى زعمهم لا إجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة فلا يرد السؤال، فإن هذا الابتداع والفتنة بالقبور، لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة، وعلى ما تحققه فالإجماع وقوعه محال، فإن الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق، وصارت في كل أرض، وتحت كل نجم، فعلماؤها المحققون لا ينحصرون/[أ/ ١٨]، ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم، فمن ادعى الإجماع بعد انتشار الدين، وكثرة علماء المسلمين، فإنها دعوى كاذبة ، كما قاله أئمة التحقيق.

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه، بل سكتوا عن إنكاره لما دل سكوتهم على جوازه، فإنه قد علم من قواعد الشريعة أن وظائف الإنكار ثلاث: أولها الإنكار باليد، وذلك بتغيير المنكر وإزالته. وثانيها: الإنكار باللسان، مع عدم استطاعة التغيير باليد. وثالثها: الإنكار بالقلب عند عدم

---

(١) من قوله: «هذا لا يقوله من له أ دنى إدراك» إلى هنا سقط من (ق).

[استطاعة] التغيير باليد واللسان، فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر[١]، ومثاله [س/ ١٧] مرور فرد من أفراد علماء الدين، بأحد المكاسين، وهو يأخذ أموال المظلومين، فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير باليد على هذا الذي يأخذ أموال المساكين ولا باللسان، لأنه إنما يكون سخرة لأهل العصيان[٢]، فانتفى شرط الإنكار بالوظيفتين، ولم يبق إلا الإنكار بالقلب الذي هو أضعف الإيمان، فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتًا عن الإنكار، مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار أن يعتقد أنه تعذر عليه الإنكار باليد واللسان، وأنه قد أنكر بقلبه، فإن حسن الظن بالمسلمين وأهل الدين واجب، والتأويل لهم مهما أمكن ضربة لازب، فالداخلون إلى الحرم الشريف، والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية[٣]، التي فرقت شمل الدين، وشتتت صلوات المسلمين، معذورون عن الإنكار إلا بالقلب[٤]، كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين[٥]، ومن

---

(١) لحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم (رقم ٤٩).

(٢) لا تعد سخرية أهل العصيان شرطًا في انتفاء الاستطاعة باليد واللسان، ولو كان الأمر كذلك لما وجد أحد يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، لأنه لا يسلم أحد من أذى، وأقل أنواع الأذى هو السخرية والاستهزاء، وأين نحن من قوله تعالى ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧].

(٣) كتب فوقها في (ق): «يعني المقامات الأربعة».

(٤) إن قيل هذا في العوام لكان له وجه واعتبار، أما أهل العلم والسلطان فلا يعذرون بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد أو اللسان.

(٥) جاء في حاشية (س): «بلغ».

هنا يعلم اختلال ما اشتهر عند أئمة الاستدلال، من قولهم في بعض ما يستدلون عليه بالإجماع: إنه وقع ولم ينكر فكان إجماعًا. ووجه اختلاله أن قولهم: ولم ينكر رجم بالغيب، فإنه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الإنكار باليد واللسان، وأنت تشاهد في زمانك أنه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك، وأنت منكر له بقلبك، ويقول الجاهل إذا رآك تشاهده. سكت فلان عن الإنكار. [يقوله] إما لائمًا أو متأسيًا بسكوته، فالسكوت لا يستدل به عارف، وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال/ [أ/ ١٩] [ق/ ١٢] فعل فلان كذا، وسكت الباقون، فكان إجماعًا، [وهذا] مختل من جهتين: الأولى: دعوى أن سكوت الباقين تقرير لفعل فلان لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير. الثانية: قولهم فكان إجماعًا،: فإن الإجماع: اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ. والساكت لا ينسب إليه وفاق ولا خلاف، حتى يعرب عنه لسانه.

قال بعض الملوك وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت: مالك لا تقول كما يقولون؟ فقال: إن تكلمت خالفتهم. فما كل سكوت رضىً[1]،/ [س/ ١٨] فإن هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، [وأعراضهم تحت] قوله وكلمه، فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد؟ فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، [أكبر وسيلة إلى هدم

(١) في (ق): «فما كل سكوت دليل».

الإسلام وخراب بنيانه] غالب من يعمرها، بل كل من يعمرها [هم] الملوك والسلاطين، [والرؤساء والولاة]، إما على قريب لهم، أو على من يحسنون الظن فيه، من عالم أو فاضل [أو صوفي أو فقير، أو شيخ كبير] ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به، ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي [من بعدهم] من يرى قبرًا قد شُيِّد عليه البناء، وسرجت عليه الشموع، وفرش بالفراش الفاخر، [وأرخيت عليه الستور، وألقيت عليه الأوراد والزهور]، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضرر، وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلته كل باطل(١). والأمر ما ثبت في الأحاديث النبوية اللعن على من سرج على القبور وكتب عليها، وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعة معروفة(٢)، فإن ذلك في نفسه منهي عنه،

---

(١) هذه خطوات الشيطان، وهي ذاتها الخطوات التي سلكها أول مرة في تغيير معالم الدين وإحداث الشرك في قوم نوح - عليه السلام - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ. أما ودّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحِمْيَرَ لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبِدَتْ. أخرجه البخاري (رقم ٤٩٢٠).

(٢) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». أخرجه أبو داود (رقم٣٢٣٦) والترمذي (رقم٣٢٠) والنسائي (رقم ٢٠٤٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٤) وحسنه الترمذي، ومال إلى تقويته شيخ الإسلام ابن تيمية

=

ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة.

فإن قلت: هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمّرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها أموال جسيمة؟

قلت: هذا جهل عظيم [بحقيقة الحال]، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ ولا من صحابته، [ولا من تابعيهم وتبع التابعين]، ولا من علماء أمته، [وأئمة ملته] رحمهم الله، بل هذه القبة المعمولة(١) على قبر سيد الأنبياء ﷺ من بعض أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين، وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور/[أ/ ٢٠] في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ذكره في (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية، يتبع فيها الآخر الأول(٢).

=

- رحمه الله - في فتاويه ٢٤/ ٣٤٨-٣٥١.

وورد أيضًا بلفظ: «أن النبي ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: «**لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدًا**». قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً. أخرجه البخاري (رقم١٣٣٠) ومسلم (رقم٥٢٩، ٥٣١).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه. أخرجه مسلم (رقم ٩٧٠) وزاد الترمذي: نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ. (رقم١٠٥٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(١) في (س) (ق): «المعمورة».

(٢) لا شك أن هذه القبة التي على قبر النبي ﷺ ليست من الإسلام في شيء، لا في قبيل ولا في دبير،

=

وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه[١]، لما عمت به البلوى واتبعت الأهواء وأعرض [العلماء] عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا إلى ما مالت العامة إليه[٢]، وصار المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، ولم نجد من الأعيان ناهيًا عن ذلك ولا زاجرًا.

فإن قلت: قد يتفق للأحياء أو للأموات اتصال/[س/ ١٩] جماعات بهم يفعلون خوارق[٣] من الأفعال يتسمون بالمجاذيب، فما حكم ما يأتون به من تلك الأمور، فإنها مما جبلت القلوب على الاعتقاد بها[٤]؟

قلت: وأما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم، ويلوون بها بألسنتهم، ويخرجونها عن لفظها العربي، فهم من أجناد إبليس [اللعين]، ومن أعظم حمر الكون الذين [ألبستهم] ألسنتهم حلل التلبيس [ق/ ١٣] [والتزيين]، فإن إطلاق [لفظ] الجلالة مفرد عن الإخبار عنها

=

بل وجودها من أكبر الفتن التي يزين بها الشيطان على أوليائه من القبوريين، بل إن المفتونين بالمقبورين ليعدون القبة هذه من أكبر دلائلهم على ما هم فيه من باطل، فنسأل الله - عز وجل - أن يبرم لهذا المنكر من يزيله عاجلاً غير آجل.

(١) في (س): «وهذا آخر ما أوردناه مما أردناه».

(٢) من قوله: «وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه» إلى هذا سقط من (ق).

(٣) في (س) : «خوارقا» وهو خطأ، لأنه ممنوع من الصرف لعله واحدة، وهي الجمع الموازن لمفاعل كدراهم ومساجد انظر: أوضح المسالك (٤/ ١١٦).

(٤) في (أ): «مما جبلت القلوب إلى الاعتقادات» وفي (س): «مما جذبت القلوب إلى الاعتقادات». وجاء في حاشيتها: «بلغ». بينما في (ق): «مما جذبت الأمور إلى الاعتقادات».

بقولهم: الله الله. ليس بكلام ولا توحيد، وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف، بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلائها عن معنى من المعاني، ولو أن رجلاً عظيمًا كان يسمي زيدًا وصار جماعة يقولون: زيد زيد. لعدّ ذلك استهزاء وإهانة وسخرية، ولا سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ، ثم انظر هل أتى في لفظة في الكتاب والسنة عند ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها، والذي ملأ الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل؟ وهذه أذكار رسول الله ﷺ [وأدعيته] وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق [والنهيق والنعيق]، الذي اعتاده من هو عن الله تعالى وعن هدي رسول الله ﷺ [وسمته ودله] في مكان سحيق، ثم قد يضيفون إلى الجلالة [الشريفة] أسماء جماعة من الموتى [والمقبورين]، مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين وعبد القادر والعيدروس، بل قد انتهى الحال إلى أنهم يعدون من أهل القبور من أهل الظلم والجراءة كعلي ردمان وعلى الأحمر وأشباههما، [ولقد] صان الله تعالى رسوله ﷺ وأهل الكساء وأعيان الصحابة/ [أ/ ٢١] رضي الله عنهم عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال، فيجمعون أنواعًا من الجهل والشرك [والكفر].

فإن قلت: إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة، ويضيفون إليها [أسماء جماعة من] أهل الخلاعة والبطالة، خوارق [عادات، وأمور تظن كرامات]، كطعن أنفسهم وحملهم لمثل الحنش والحية [والعقرب]، وأكلهم النار [ومسهم إياها بالأيدي وتقلبهم فيها بالأجسام]

قلت: هذه أحوال شيطانية، وإنك لملبس عليك إن ظننتها كرامات

للأموات، [أو حسنات للأحياء فإنه] لما هتف هذا الضال بأسمائهم جعلهم أندادًا لله وشركاء [له في الخلق والأمر]، فهؤلاء الموتى و[المقبورون] أنت تعتقد أنهم أولياء الله تعالى، فهل يرضى ولي الله أن يجعله المجذوب/ [س/ ٢٠] [أو السالك] ندًّا لله وشريكًا له؟ إن زعمت هذا فقد جئت شيئًا إدًّا، وصيّرت هؤلاء الأموات مشركين، وأخرجتهم ـ وحاشاهم عن ذلك ـ عن دائرة الإسلام والدين، حيث جعلتهم أندادًا لله راضين [فرحين]، أو تزعم أن هذه كرامات لهؤلاء الأشقياء المجاذيب الضلال المشركين، التابعين لكل باطل، المنغمسين بين بحار الرذائل، الذين لا يسجدون لله سجدة، ولا يذكرون الله وحده. إن زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين [الكافرين المجانين]. وهدمت بذلك [ضوابط الإسلام] وقواعد الدين [المبين والشرع المتين].

[وللشياطين أعظم عناية في إغواء العباد عن طرق الهداية والرشاد. وقد أخرج أبو بكر البزار في مسنده البحر الزخار عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: كنت مع أبي نريد النبي ﷺ، فلما كنا ببعض الطريق مررنا بحي فبتنا فيه، فإذا الراعي قد جاء إلى أهل الحي يسعى، يقول: لست أرعى لكم، فإن الذئب يجيء كل ليلة يأخذ شاة من الغنم، والصنم ينظر ولا ينكر ولا يغير؟! قالوا: أقم علينا ـ أحسبه قال ـ: حتى نأتيه، فأتوه فتكلموا حوله ثم قال الراعي: أقم الليلة. قال: إني مقيم. قال: قال: إني أقيم الليلة حتى ننظر. قال: فبتنا ليلتنا حتى كان صلاة الغداة، أقبل الراعي يشتد إلى أهل القرية، يقول لهم البشرى ألا ترون الذئب مربوطاً بين الغنم بغير وثاق. قال: فجئنا معهم قال: فقال: نعم هكذا [ق/ ١٤] فاصنع ـ فقدمنا على رسول الله ﷺ فحدثه أبي الحديث،

فقال: يلعب بهم الشيطان. انتهى

فإذا بلغ من الشيطان مثل هذا بأن يتمثل ذئباً، ويقعد بين الغنم ليتم إضلال العباد لعبادة الأوثان، فكيف يستنكر المؤمن الصادق الإيمان أن يلعب بالمقبوريين والمجاذيب، ويتصور ثعباناً يقلبونه في أيديهم، ونارًا يأكلونها، وغير ذلك لمن صدق إيمانه ويقينه.

وذكر ابن تيمية في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» أنه يعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشياطين التي دخلت فيها.

قال: وأعرف من يخاطبه الحجر والشجر، وتقول: هنيئاً لك يا ولي الله. فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك.

قال: وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير، وتقول: صدني حتى يأكلني الفقراء. وتكون الشياطين قد دخلت فيها كما تدخل في الإنسي وتخاطبه بذلك. ومنهم من يكون في البيت مجافاً عليه فيرى نفسه خارجه وبالعكس، وهو لم يفتح، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أدخلته بسرعة وأخرجته بسرعة، ويرونه أنوارًا ويحضر عنده من يطلبه.

ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه.

قال: وأعرف من يخاطبه مخاطبٌ ويقول له: أنا من أمر الله، ويعده أنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ. ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء والمواشي، فإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو

نومه أو ذهابه حصل ما أراد من غير حركة منه في الظاهر. وتحمله إلى مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة، وتقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك. يقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان فيرفع رأسه فيجدهم بلحا. وكله من منكرات الشيطان، وهذا باب لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير، وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ زجر وتنبيه على أنه ليس كل من حصلت له نعمة دنيوية تعد كرامة، وأن الله أكرمه بها، ولا كل من قدر عليه رزقه يكون مهيناً له بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية من لا يحبه ولا هو كريم عنده، يستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده، ويقع بسببها ما يكرهه منه، وأيضاً كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان، فهو من خوارق أعداء الله، لا من كرامات أوليائه، فهذه كلها أحوال شيطانية يتناولها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [ق/ ١٥] الآيات] [1].

وإذا علمت بطلان هذين الأمرين، عرفت أن هذه الأحوال شيطانية، [وأفعال طاغوتية، وأعمال إبليسية]، تفعلها الشياطين لإخوانهم من هؤلاء الضالين، معاونة من الفريقين على إغواء العباد، وقد ثبت في الأحاديث: أن

---

(١) من قوله: «وللشياطين أعظم عناية في إغواء العباد» ص٢٤٤ إلى هنا بمقدار صفحتين من (ق) فقط وليس موجودًا في أية نسخة أخرى سواء مخطوطة أو مطبوعة.

الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان[1]، وهذا أمر مقطوع بوقوعه، فهم الثعابين التي يشاهدها الإنسان في أيدي المجاذيب، وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع، وتعلمه ليس بالعسير، بل بابه أعظم الكفر بالله، وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه[2]، [وقد سحرت اليهود سيد البشر، حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، حتى أعلمه الله بأنه سحر، وأعلمه بمكان السحر، ومن فعل، حتى أخرجه

---

(١) عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة: أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته. قال: فوجدته يصلي، فجلست انتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكًا في عراجين في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها، فأشار إليَّ: أن اجلس فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار. فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم: قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس . قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله فاستأذنه يومًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة**» فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني. فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه، فما يدري أيهما كان أسرع موتًا: الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له. وقلنا: أدع الله يحييه لنا. فقال: «**استغفروا لصاحبكم**» ثم قال: «**إن المدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان**». أخرجه مسلم (رقم٢٢٣٦).

(٢) في (س): «من جعل المصحف في قاذورة». وذكر الناسخ في الحاشية: «في الأصل: وكنيف». وقال: وجدنا غلطاً في النسخة إلى حد قوله: ونحو ذلك نقلناه في ورقة وحدها، فليعلم القارئ والناسخ.

ﷺ، وكفاه الله. القصة في الصحيحين وغيرهما مبسوطة معروفة][١] فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينه من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها عنده خوارق[٢]، فإن للسحر تأثيرًا عظيمًا في الأفعال، وهكذا الذين يقلبون الأعيان كالأشجار وغيرها، وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات، حتى أوجس في نفسه خيفة موسى [عليه السلام] وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم، والسحر يفعل أعظم من هذا، فإنه قد ذكر ابن بطوطة[٣] وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قومًا توقد لهم النار العظيمة/ [أ/ ٢٢] ويلبسون الثياب الرقيقة، ويخوضون في تلك النار، ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء، بل قد ذكر أنه رأى إنسانًا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضوًا عضوًا، ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقًا حتى إذا لم ير أحد شيئًا من تلك الأعضاء، ثم صاح وبكي فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كل عضو على انفراده وانضم إلى الآخر، حتى قام كل واحد منهما على عادته حيًّا سويًّا،

---

(١) ما بين المعكوفين من (ق) فقط.

(٢) في (س): «خوارقا» وهو خطأ.

(٣) في (أ): «ابن بطة» وهو تصحيف وابن بطوطة هذا صاحب الرحلة المشهورة التي بسببها اكتسب شهرته، وذاع بها صيته، ولكنه أتى بالعجائب والغرائب والفضائح، ولو لم يكن فيها سوى افتراؤه على شيخ الإسلام ابن تيمية لكفى بذلك إثمًا وبغيًا وعدوانًا، فقد شنّع على شيخ الإسلام وزعم أنه رآه وهو ينزل عن المنبر في دمشق ويقول: إن الله ينزل مثل نزولي هذا. ولكن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بيّن بالدليل القاطع بلا ريب أن ابن بطوطة افترى وادعى كذبًا وزورًا، حيث إن شيخ الإسلام كان محبوسًا في السجن ولم يخرج منه إلا بعد مغادرة ابن بطوطة لدمشق، فأين رآه هذا الدعي الماجن الكاذب عامله الله بما يستحق.

ذكر هذا في رحلته وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت، طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة وألف، وأملاها/ [س/ ٢١] علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد - رحمه الله -.

وفي الأغاني لأبي الفرج [الأصفهاني][١] بسنده: أن ساحرًا كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يدخل في جوف بقرة، ويخرج، فرآه جندب [رضي الله عنه] فذهب إلى بيته، فاشتمل على سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال [جندب]: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها، فانذعر الناس فسجنه الوليد، وكتب بذلك إلى عثمان[رضي الله عنه] وكان على السجن رجل نصراني[٢] فلما رأى جندبًا يقوم الليل ويصبح صائمًا، قال [النصراني]: والله إن قومًا هذا شرهم[٣] لقوم صدق. فوكل بالسجن رجلاً، ودخل الكوفة، فسأل عن أفضل أهلها، فقالوا:

---

(١) هو علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني الأموي، صاحب كتاب الأغاني، شيعي، وهذا نادر في أموي. كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات، يأتي بأعاجيب: بحدثنا وأخبرنا. وكان طلبه في حدود الثلاثمائة، فكتب ما لا يوصف كثرة حتى لقد اتهم. والظاهر أنه صدوق. وكان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والحديث المسند والنسب ما لم أر قط من يحفظه مثله، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء. واتهم بأنه كان أكذب الناس. وقيل فيه: لم يكن أحد أوثق من أبى الفرج الأصبهاني، ولد في سنة ٢٨٤ وتوفي سنة ٣٥٦، وقد خلط قبل أن يموت. انظر تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠ رقم ٦٢٧٨) وميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤ رقم ٥٨٢٥).

(٢) في (ق): «بطريق».

(٣) في (ق): «أمرهم».

[ق/ ١٦] الأشعث بن قيس فاستضافه فرأى أبا محمد ـ يعني الأشعث ـ ينام الليل، ثم يصبح فيدعو بغدائه[١]، فخرج من عنده وسأل: أي [أهل] الكوفة أفضل؟ فقالوا جرير بن عبد الله، فوجده ينام الليل، ثم يصبح فيدعو بغدائه، فاستقبل القبلة فقال: (ربي رب جندب، وديني دين جندب) فأسلم[٢].

وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى[٣] بمغايرة في القصة، فذكر بسنده إلى أبي الأسود أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم صارخًا فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله يحيي الموتى! ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه ذهب الساحر يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه، فقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه. فأمر به الوليد دينارًا صاحب السجن فسجنه. أ. هـ

بل أعجب من هذا[أ/ ٢٣] ما أخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده في قصة طويلة، وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت، وأنها أخذت قمحًا فقالت له بعد أن ألقته في الأرض: اطلع. فطلع. فقالت: احمل. فحمل[٤]، ثم فركته ثم قالت: إيبس فيبس، ثم قالت: اطحن.

---

(١) من قوله: «فخرج من عنده وسأل» إلى هنا سقط من (ق).

(٢) انظر الأغاني للأصفهاني (٥/ ١٤٣).

(٣) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٣٦).

(٤) في (س) (ق): «احقل فحقل».

فطحن[١]، ثم قالت له: اختبز. فاختبز، وكانت لا تريد شيئًا إلا كان[٢].

والأحوال الشيطانية لا تنحصر، وكفى بما قال به النبي ﷺ في شأن الدجال. والمعيار اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما.

انتهى ما أوردناه والحمد لله [رب العالمين] أولا وآخراً وظاهرًا وباطنًا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٣].

---

(١) في (س): «انطحن فانطحن».

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٣٧).

(٣) جاء في نهاية نسخة (س): وكان الفراغ من تسويد هذه النسخة الشريفة نهار السبت٥ من شعبان سنة ١٣٣١ هـ غفر الله لمؤلفها وكاتبها ووالديه وأرحامه وأقربائه ومشايخه وجمعهم في دار كرامته بفضله ورحمته، إنه جواد كريم والله أعلم.
وفي نهاية (ق): انتهى المؤلف المسمى «تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد» تصنيف السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الزيدي الصنعاني، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
قال العبد الراجي عمو ربه الآمل في رحمة ربه: لقد انتهيت من مراجعة هذا الكتاب المبارك على النسخ الخطية الثلاثة راجياً الله عز وجل أن أكون قد وفقت إلى خدمة هذا الكتاب، وراجياً الله أن ينفع به المؤلف والمحقق والناشر والقارئ وكل من وقف عليه، وكان هذا في منتصف ليلة الأحد ١٢ جمادى الأولى سنة ١٤٢٦ هـ والموافقة ١٩ يونيو سنة ٢٠٠٥ م بمدينة الرياض.

مسألة في الذبائح على القبور وغيرها[١].

الحمد لله، سؤال وصل في غرة جمادى الأولى سنة ١١٧٥هـ ما يقول مولاي - أطال الله بقاه وجزاه عن الإفادة ما يتمناه - في معنى قوله ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٧٣].

هل يؤخذ منه تحريم ما يذبحه أهل الطواغيت مع فصاحة التسمية للفعل، كأن يذبح فلان شاة في باب فلان، ليرضى عنه عن قبح فعله إليه، أو ليجوره من فلان أو ليضبط له فلاناً في دعوى يدعيه عليه، وكأن يذبح الرعية لبيارق السلطان إذا مرت بهم تعظيماً لها، وطلباً لرضى السلطان، وخشية من العقوبة، وكما يذبح لابن علوان ليدفع عن الذابح قضية أو مكافأة له عن نفع يعتقده الذابح، وكما يذبح للعروس تمضي عليه، يقول له العامة الخطو، فإن ولدكم فهم من الآية الكريمة الدلالة على تحريم ذلك، وإن كان مصاحباً للتسمية مع قصد التقرب إلى غير الله، لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[٢] ولا عمل إلا بنية، ويلوح من كلام النيسابوري ما يدل على التحريم، حيث قال: ولو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بها التقرب إلى غير الله كان مرتداً وذبيحته ذبيحة المرتد. هذا لفظه أو معناه،

---

(١) طبعت هذه المسألة في رسالة صغيرة الحجم بتحقيق الشيخ عقيل بن محمد المقطري، قدم لها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله نشر دار القدس ودار ابن حزم.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١) ومسلم (رقم ١٩٠٧).

ولم أر نصاً لأحد من العلماء فيما قصد به التقرب إلى غير الله مع مصاحبة التسمية للذبح بأن يذبح شاة، ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم. ويقصد التقرب إلى غير الله، وبعض العلماء يقول حين سألته: إنه إذا ذكر اسم الله حال الذبح حل المذبوح على أي وجه، سواء قصد بالذبح التقرب إلى الله أو لا. وأن الآية لا تحمل إلا بمعنى الذي ذكره المفسرون من أن المراد ما رفع الصوت باسم الصنم لا غير، وأن ذلك يفهم من قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. فلمولاي الفصل بإيضاح المسألة، وإيضاح الدلالة على التحريم أو التحليل، وإزالة الإشكال، ما يتفق ذلك كما في هذه الأمثلة المذكورة وهل له فرق في تقديم الجار والمجرور وتأخيره، فإن البقرة: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] وإن المائدة: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة:٣] أم المعنى متحد تطولوا بالإفادة وتحرير الجواب ظهر السؤال انتهى والحمد لله.

يتلوالجواب:

أقول هذه المسألة قد تعرض لها العلامة الموزعي في تفسير البيان، فقال بعد كلام ذكره في معنى الإهلال ما لفظه: إذا تقرر هذا فيحتمل أن يكون المراد من قوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ العموم لكل ما ذبح لغير الله من صنم أو غيره، ويحتمل أن يراد به الخصوص، وهو ما ذبح باسم الصنم خاصة بدليل قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة:٣] ولأجل هذا اختلف أهل العلم فيما يذبحه الكتابي للكنائس، وما يذبحه باسم موسى

واسم عيسى عليهما السلام، فمنهم من حلّله، وقصر التحريم على النصب، وإليه ذهب مالك وأصحابه، وذهب الشافعي إلى التعميم عملاً باللفظ والمعنى. أما اللفظ فلعمومه. وأما المعنى فلوجود التعظيم، الذي هو علة التحريم، حتى أطلق بعض أصحابه التحريم على ما يذبح للسلطان عند استقباله إذا يقصد بذلك التعظيم لا التكريم انتهى كلامه.

وأقول: تحقيق المقام وإيضاح المرام أن التحريم في كل ما سرده السائل ـ دامت إفادته ـ وغيرها مما ذكره ما في معناه مبني على أصلين ثابتين:

الأول: أنه لا يخفى أن الله سبحانه جعل إراقة دماء الأنعام، التي خلقها لانتفاع الأنام ـ عبادة يعبدونه بها، ويتقربون إليه بنحرها، فشرع لهم التضحية بإراقة دمائها قربة، يتقربون إليه بها، ولذا ذهب أبو حنيفة وربيعة والثوري إلى أنها واجبة، مستدلين بالأمر في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]. والأصل فيه الوجوب، وإنما اعتذر من لم يقل بالوجوب لحديث: «**كتب عليَّ النحر ولم يكتب عليكم**» أخرجه البزار والحاكم وابن عدي، فجعلوه قرينة على أن الأمر في الآية للندب.

وعلى التقديرين فالتضحية عبادة، سواء كانت سنة أو واجبة، ولذا كان رسول الله ﷺ يقول عند نحره الضحية: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢].

والنسك: العبادة، وثبت في الأحاديث فضل إراقة دم الضحية، كما هو معروف، وجعل تعالى من عبادة العباد له إراقة دماء الهدي، وجعله تقوى بنص قوله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. وسماه نسكاً في فدية الحج، حيث قال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فجعله عبادة وعوضاً عن الصيام والإطعام وكلها عبادات.

وقال في المحصر: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وجعل إراقة الدم شرطاً في حج القرآن، ونحر رسول الله ﷺ مائة بدنة في حجته تقرباً إلى الله وعبادة له، وجعل تعالى البدن من شعائر الله: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦]. والأدلة واسعة في كون إراقة دماء الأنعام قربة وعبادة.

فإذا عرفت هذا الأصل فالأصل الثاني:

هو أن العبادة لا يجوز أن تكون إلا لله وحده لا شريك له بنص قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. ونص: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وهذا الأصل متفق عليه من المسلمين، وبه بعث أعداد رسله الأولين والآخرين، فكل نبي يقول لأمته: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

وإذا تقرر هذان الأصلان عرفت أنه يتخرج منهما قياس قطعي من

الشكل الأول بأن يقال: إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا لله، فينتج: إراقة دماء الأنعام لا يكون إلا لله.

أما دليل المقدمة الأولى فهو الأصل الأول، ودليل الثانية الأصل الثاني، والاستدلال بهذين الأصلين على تحريم ما ذكره السائل من الذبائح وغيرهما أوضح من الاستدلال بعموم الآية، وهما مقرران بما أفاده عمومها، وحينئذ تعلم أن كل دم يراق لغير الله فهو عبادة، وكل عبادة لغير الله محرمة، وبه يعرف أن الحق ما ذهب إليه الشافعي في تحريم كل مذبوح أهل به لغير الله.

فإن قلت: ذبائح الجزارين مما أهل لغير الله ومما ليس بعبادة؟

قلت: بل هو عبادة، لأنه يكتسب للحلال، وطلب الحلال فريضة، وبهذا يتم الجواب بتحريم كل ما ذكره السائل من الأمثلة وغيرها، كالذي يذبح في العمارات، ويراق دمه على الجدران، ومن ذلك الذبح للرضى [في] السوق، كما تفعله القبائل في أسواقها وغير ذلك، وأما قول النيسابوري كما نقله عنه السائل من أن الذابح لغير الله مرتد، وذبيحته ذبيحة مرتد، فإنه غير صحيح، لأن الذابح لغير الله فاعل محرم، وفاعل المحرم لا يصير بفعله مرتداً يباح دمه ويسبى أهله وأولاده وأمواله، غايته أنه كشارب الخمر: فاسق آثم.

نعم لو أنه خص بهذا الذابح على القبور ـ كما مثله السائل بالذبح

لابن علوان ـ كان كلامه قريباً، فإن الذابح لابن علوان مثلاً لا يكون إلا عن اعتقاد أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويشفي المرضى، ويذهب عن الأبدان العليلة الأدواء، وهذا بعينه هو الذي كان عليه عباد الأوثان وأتباع الشيطان، فإنهم كانوا ينحرون لها ويهتفون بأسمائها ويدعونها، ويخافونها ويرجونها، ويطوفون بها وينادونها بمثل: (على الله وعليك). كما يفعله الآن عُبَّاد القبور والقباب والمشاهد، التي يجب هدمها، ويجعلونهم لله أنداداً، وقد بسطنا هذا وطولناه في رسالتنا المسماة بـ (**تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد**)[1].

وأما من قال: إنه إذا ذكر الله الذابح حلت ذبيحته على أي قصد كان، فإنه غير صحيح لما سمعته من الأدلة على التحريم، والتسمية

---

(١) قلت: كيف يتوافق ادعاء أن الصنعاني رحمه الله رجع عما كتبه في «تطهير الاعتقاد» وهو هنا يحيل على هذا الكتاب في تقرير مسألة الذبح على القبور. فهو رحمه الله يؤكد أن ما كتبه وقرره في تطهير الاعتقاد هو المعتمد لديه والمعول عليه، لذا أناشدك أيها القارئ الكريم ألا تركن إلى أقوال الطاعنين الذين يلقون الكلام على عواهنه، لا يدرون موارده من مصادره ولا يعرفون قبيله من دبيره، فعليك بالأئمة الأعلام مصابيح الدجى إذا ادلهم الظلام، بصرني الله وإياك بما فيه النجاة والسلامة في الدنيا والآخرة، وأخذ بأيدينا ونواصينا إلى محابه ومراضيه، وجنبنا مساخطه إنه أكرم مسؤول، عليه توكلت وإليه أنيب.

صبري بن سلامة شاهين

حرر في ضحى يوم الثلاثاء ٧ جمادى الأولى سنة ١٤٢٦هـ الموافق ١٤/٦/٢٠٠٥م

بمدينة الرياض.

لا تحل محرماً، سيما مع أن الجمهور لا يوجبون التسمية، إنما هي مندوبة عندهم.

هذا، وأما تقدم (به) في البقرة وتأخره فيما عداها (فذلك) للاهتمام (والتعين) والمعنى واحد. انتهى الجواب. والله الهادي إلى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

فهـــــرس

كتاب تجريد التوحيد المفيد

الموضوع الصفحة

فهـــــرس

كتاب تطهيـــــر الاعتقاد